

مائة سنة على وزارة المعارف



٩ مارس ١٨٣٧ — ١٧ نوفمبر ١٨٣٨

امير اللواء مصطفى مختار بك مدير المجلس العالي ومدير المدارس
ويصح ان يقال انه أول ناظر للمعارف المصرية في عهد الاسرة العلوية

المقتطف

الجزء الرابع من المجلد التاسع

١ أبريل سنة ١٩٣٧

١٨ محرم سنة ١٣٥٦

ابن تبدأ الحياة

بحث في دقائقها الصغرى

في مقدمة المعضلات التي يواجهها العلماء ، معضلة طبيعة الحياة لهذه المعضلة نواح كثيرة تستوقف انظار الباحثين وتستحث همهم ، كالامراض المستعصية وبرئها ، وتحسين النسل ، ووسائل تجديد الشباب والتعمير ، وغيرها ، ولكنها جميعاً مما لا يمكن ان يحل على الوجه الاتم الا اذا حلت تلك المعضلة الاساسية ، معضلة طبيعة الحياة قد يكشف العلماء حقائق جديدة تميظ اللثام قليلا عن هذه الطبيعة ، ككشفهم ان القطران سبب انواعاً خاصة من السرطان ، او ان الاشعاع يفتك بالنوامي السرطانية ، ولكن النفوذ الى اعماق السر متعذر الا اذا فهمت الحياة من حيث علاقتها بدقائق المادة وما ينطوي فيها من النظام والطاقة قال الانسكلوبيديون الفرنسيون في القرن التاسع عشر ، ان الحياة هي ما يقاوم الموت. ولكن ما هو الموت؟

ليس ثمة صفة واحدة من الصفات التي يسندها العلماء الى الاجسام الحية ، لا يمكن ان تسند كذلك الى الجوامد . فالجسم الحي يتكاثر وكذلك بلورة الملح والشب . والشرغوف الذي جم ذنبه ينمي ذنباً آخر ، وكذلك الذرة التي اقتطع جزء منها تستكمل نفسها بالجذب . والاميبا تستجيب لحوافز خارجية ، وكذلك جزيئات الغاز المأوّن ، تستجيب لحوافز خارجية عند ما

يكون الغاز في مجال مغنطيسي أو كهربائي. الانسان واليراميسيوم يتنفسان، ولكن من الميكروبات ما يعيش من دون تنفس، ومن الجوامد ما يتناول الاكسجين ويطلق ثاني اكسيد الكربون فليس ثمة مقياس واحد يمكن ان نقيس به الحياة في جميع الاجسام. جم ذنب جردز والجرذ يبق حياً. او سل قلبه وضعه في محلول خاص، يبق ذلك القلب حياً شهوراً، وقد يبق حياً سنين لا نعرف مداها. بل خذ قطعة من نسيج القلب، كما فعل العلامة كارل بقطعة من نسيج قلب الفرخ وهو جنين، وضعه في المحلول المغذي الموافق، تبق تلك القطعة حية وهي مفصولة عن القلب

واذا فحص هذا النسيج بالمجهر ظهر انه مؤلف من وحدات كل وحدة منها تشبه كتلة صغيرة من الهلام وهي الخلايا. كل خلية من هذه الخلايا، حية، وثمة ما يبعث على الاعتقاد، بانه في الامكان، ان نبقى الخلية منها حية على حدة، كما ابقينا قطعة من نسيج القلب، اذا كان لنا من الوسائل الدقيقة ما يمكننا من تناول خلية واحدة على حدة. وليس ثمة ريب في ان الخلايا تستطيع ان تعيش مفردة، لان هناك انواعاً عديدة من النبات والحيوان قوام الفرد منها خلية واحدة، تقوم بجميع ما يحتاج اليه الجسم ليبقى حياً. وخلايا النسيج المختلفة ليست الا خلايا تخصصت في عمل معين

واذن نستطيع ان نقول ان الاجسام الحية المركبة، يمكن ان تجزأ الى اعضاء فتجيا الاعضاء كل منها على حدة، وان الاعضاء يمكن ان تجزأ الى الانساج التي تتألف منها، فتجيا الانساج كل منها على حدة، وان الانساج يمكن ان تجزأ الى الخلايا فتجيا كل خلية منها على حدة. فهل الخلية هي الحد الأدنى للحياة؟ هل يمكن ان نجزئ الخلية، وان تجي هذه الاجزاء كل منها على حدة؟ اما هل يفضي بنا تشریح الخلايا، الى جزء فيها، فيه ترتكز الحياة ومنه تنبثق شعلتها؟

راقب خلية حية على شريحة مجهر قوي، فترى امامك عالماً آيته التحول الدائم. تجد داخل الغشاء الذي يحيط بالخلية ويعرف بجدارها، الجبلة (البروتوبلازمة) دائمة الحركة. ومع ذلك تجد فيها مناطق واجزاء، يختلف بعضها عن بعض وتختلف جميعاً عن سائر الجبلة في تركيبها المستقر، فنقول ان الخلية قوامها هذه الاجزاء المختصة من المادة الحية الاساسية ففي مركز هذه الكتلة الهلامية، او على مقربة من المركز، نجد جسماً كروياً، يبدو كأنه اكشف قواماً من المادة التي تحيط به. هذا الجسم الكروي المركزي يعرف باسم «النواة» والمادة التي تحيط به داخل الجدار تعرف باسم «سيتوبلازمة»

في امكانك ان تحجز جدار الخلية، من دون ان تقتلها. بل وفي امكانك ان تريل جانباً كبيراً من السيتوبلازمة من دون ان تسلب الخلية شعلة الحياة. واغرب من هذا ان ماتزعه من السيتوبلازمة يعوض. ذلك ان الخلية قادرة كالشرغوف الذي ينمي ذيله المجموم، ان تصنع ما تسلبه من السيتوبلازمة. ولكن اذا آذيت النواة، كانت النتيجة غير ما تقدم. فهذه الكتلة

المركية شديدة الاحساس ، بادية المقتل ، لا تستطيع ان تزيل جزءاً منها ، وان تبقىها حية وتستطيع ان تكشف عما للنواة من الشأن الخطير في حياة الخلية، بتجربة بعض التجارب بالخلايا المختصة بالتناسل . وهي على ما تعلم نوعان خلايا الانثى وخلايا الذكر . وقد اثبت بعض الباحثين من سنوات ، انه اذا اخذت بيضة (اي خلية الانثى التناسلية) الرتسا او التوتياء وعلقتها بمحلول مالح ، او وخزتها بآبرة ، تحركت كأنها لقحت بخلية الذكر وولدت رتسا جديدة . وفي امكانك ان تأخذ هذه البيضة وتشطرها شطرين بحيث تكون النواة كاملة في احد الشطرين ، ثم تعالج الشطر الذي يحتوي على النواة كما تقدم فيلد ، واما الثاني فيبقى عقيماً . وفي بيض اناث بعض الحيوانات تكون النواة صغيرة جداً بالقياس الى كتلة البيضة فاذا نرعت النواة ، بقيت البيضة وهي تكاد تكون كاملة ولكنها عاجزة عن التوليد والتلقيح يتم عادة باختراق خلية الذكر لخلية الانثى ، ومن ثم تتصل خلية الذكر بنواة خلية الانثى ، فتتحدان او تندجان ، وخلية الذكر صغيرة جداً لا تزيد على بضعة اجزاء من مئات الاجزاء من البيضة ، والفحص يثبت انها تكاد تكون كلها نواة لها رأس هو النواة ، وذيل دقيق جداً هو مادة السيتوبلازما

ولكن خلية الذكر على صغرها تحمل مزايا الوالد التي يرثها الولد . افلا تستطيع ان تحمل كذلك شعلة الحياة الى احدى تلك البويضات التي نرعت منها النواة ، واصبحت عقيماً على ما تقدم

لقد جربت هذه التجربة ، واسفرت عن نتيجة عجيبة . فقد اخذت قطعة من سيتوبلازما بيضة لا اثر فيها للنواة ، ثم جيء بخلية ذكر من نوعها ، فدخلت خلية الذكر تلك السيتوبلازما فاندجت فيها ، وكأنها نقلت اليها مادة النواة المفقودة ، لانها بعد ذلك الاندماج ، تحركت فيها الحياة ، فانقسمت وتكاثرت وتولد من تكاثرها فرد جديد من افراد نوعها فالنواة اذن هي الربان في سفينة الحياة . اما حجم النواة ، وما حشك فيها من عوامل الحياة ، فقد وصفه الدكتور ملر (احد اساتيد جامعة تكساس وهو من كشف تأثير اشعة اكس في احداث التحولات الفجائية التي يقوم عليها التطور) قال : اذا جمعت الخلايا الذكورية التي تولد الجيل المقبل من الناس شغلت حيزاً بقدر نصف قرص من الاسبرين . ولكن العدد المقابل من البويضات (خلايا الانثى التناسلية) يشغل علبه او ابريقاً يتسع لعشرين كوبه من الماء . ولما كانت النواة هي العنصر الفعال في البيضة ، فلما ان تقول ان نوى البويضات لا تشغل حيزاً اكبر من الحيز الذي تشغله الخلايا الذكورية . واذن فللمادة التي تنبثق منها الحياة في التي مليون نفس ، يمكن ان تحشك في مدى قرص واحد من الاسبرين والواقع انه من أشق الامور ان يصدق الانسان ان في هذا الحيز الضيق تجتمع العوامل الوراثية التي تبدو في التي مليون من الناس في خصائص اجسامهم وعقولهم . ان هذه الخلايا الدقيقة من أعقد الاجسام بناء في الكون ، وللباحث ان يطلع على بعض هذا التعقيد ، بعرضها على شريحة المجهر ، واستعمال بعض الاصباغ المؤاتية . بهذه الاصباغ نستطيع ان

تبين في النواة اجساماً عصبوية الشكل او هي كسلسلةٍ حلقاتها من المقائق (السجق) . هذه الاجسام تعرف باسم « كروموسومات » وقد ترجمت بلفظ الصبغيات في المجمع الملكي للغة العربية . وهي توجد في الخلايا التناسلية وجودها في سائر خلايا الجسم . وهي في جميع الخلايا في نوع واحد من الحيوان على مثال واحد ونمط واحد في شكلها وعددها .
 لخلايا نبات الذرة تجد في نواتها عشرين صبغياً . وخلايا الزنبق اربعة وعشرين .
 وخلايا الضفدع ستة وعشرين . وخلايا الانسان ثمانية وأربعين . وخلايا الفرس ستين .
 وقد حاول أحد الكتاب المبسطين للعلم — جورج غراي وعن فصل له في هاريزر لخصنا هذا المقال — ان يبحث عن عدد الصبغيات في خلايا الفيل والبال ، وهما اكبر الحيوانات المعروفة الآن جرماً ، فلم يعثر عليها كأحد لم يتناولهما بالبحث من هذا الفيل ومما يدل على قرابة الانسان لبعض القرود ان عدد الصبغيات في خلايا قرود آسية وافريقية كعدها في خلايا الانسان . وأما قرود اميركا الجنوبية فأبعد صلة بالانسان وعدد الصبغيات في خلاياها يبلغ أربعة وخمسين

ولعل البحث الذي أثبت علاقة هذه الاجسام العصبوية بالوراثة ، من أجل البحوث العلمية التي تمت في عصرنا وأدقها . وقد كان رائدها الاستاذ توماس هنت مورغن الاميركي حصرت هذه البحوث في ذباب الفاكهة (دروسوفلا ميلانو غاستر) لانها سريعة التناسل ويمكن تربيتها وتتبع نسلها في احوال مؤاتية لدقة التجارب العلمية . وكانت الطريقة ، ان يفحص الاستاذ مورغن ومعاونوه ، هذا الذباب جيلا بعد جيل ، لعله يرى فيه صفة جسمية جديدة من قبيل التحول الفجائي mutation ، ثم يحاول ان يربط بين هذه الصفة ، وبين ما يحدث في صبغيات الخلية التناسلية من تغير

فعينا ذبابة الدروسوفلا ، حمراوان في الاحوال السوية . ولكن قد تولد ذبابة بيضاء العينين احيانا . فلما ولدت ذبابة بيضاء العينين في اقفاص البحث الخاصة ، راقب الباحثون الصبغيات التي في خلاياها التناسلية فظهر لهم فيها تغير خاص في منطقة معينة . وعلى مثال ذلك بحثوا تسع صفات جديدة حدثت في الاجنحة ، وربطوا بينها وبين ما يحدث في الصبغيات من تغير . وقد تأيدت هذه المباحث ، من نحو عشر سنوات ، عندما اكتشف الاستاذ ملر ، ان الاشعة السينية تؤثر في الخلايا الوراثية ، فتزيد عدد التحولات الفجائية (Mutations) التي تصاب بها ذبابة الدروسوفلا . فثبت بهذا الاسلوب من البحث ، انه حيث تصيب الاشعة السينية عقدة من عقد الصبغي ، يحدث تحول في الصفة المرتبطة بها بحسب بحث مورغن الا ان بحث الاستاذ ملر اثبت ، ان اصابة الصبغي بالاشعة السينية ، قد تسفر عن تأثير ضار او تأثير مفيد . ففي بعض الحالات ، نسف جزء من الصبغي نسفاً . وفي حالات اخرى ، لصق جانب من هذا الجزء المنسوف بصبغي آخر . وفي حالات اخرى انشطر الصبغي شطرين فلصق احدهما بصبغي والآخر بالآخر . وكذلك نشأت في نواة

الخلايا ، تركيبات صبغية جديدة ، ظهر اثرها في صفات الذباب وتركيبها هذه التجارب تؤيد ما كان ظناً حتى الآن . وهو ان الصبغيات مؤلفة من حبيبات تدعى عوامل الوراثة genes اي ان الصبغيات ليست أجساماً لا تتجزأ بل هي تشبه سبحة القسيس لم يتمكن احد حتى الآن من رؤية احد هذه العوامل . حتى اقوى المجاهر لا تستطيع نبينا . ولكن فرضها ، واتساق هذا الفرض مع الحقائق التجريبية المختلفة ، لا يقل قيمة عن فرض الذرات لتفسير تفاعل المادة الكيميائية

فعوامل الوراثة genes هي ذرات الوراثة كما ان المقادير او «الكونات» هي ذرات الطاقة واحداث التجارب تدل على ان اصابة بعض العوامل الوراثية باذى قد يسفر عن اضرار جسيمة بل قد يفضي الى الموت . وهذا يحملنا على الظن ان عملها في نواة الخلية ليس السيطرة على الوراثة فقط ، بل والسيطرة على الحياة نفسها كذلك . اما وقد ظهرت صلتها بالحياة فصار ترجمة genes بعوامل الوراثة لانني فرأينا ان نسميها جريثيمة تصغير جرثومة وجريثيمات للجمع

يعود الفخر في كشف هذه الحقيقة الى المستر ديميريك Demerec احد علماء الوراثة والتناسل في معهد كارنيجي بوشنطن . فقد انقضت عليه سنوات وهو يراقب تأثير التحولات الفجائية mutations في قدرة ذباب الفا كهة على اخلاف النسل . واستوقف نظره بوجه خاص تجارب قام بها الباحث باترسن في جامعة تكساس . ذلك ان هذا الباحث بحث تسعة وخمسين تحولاً فجائياً تقع في ثلاث مناطق معينة في الصبغيات ، فوجد ان واحداً وخمسين منها مميته . اي ان البيضة الملقحة التي اصيبت صبغياتها بهذه التحولات ، تندرج قليلاً في سبيل النمو ثم تموت فالجريثيمات genes التي اصيبت بأشعة اكس كانت اصابتها مميته

واتبع ديميريك هذا البحث ، بدراسة دقيقة في خلايا اجسام الذباب ، اي انه لم يحد بحثه في خلاياها التناسلية . فوجد ان خلايا الجسم ، اسوة بالخلايا التناسلية تعجز عن المضي في النمو اذا اصيبت تلك المناطق في صبغياتها التي اصيبت في تجارب باترسن . وكذلك ثبت ان هذه الخلايا تموت ، حالة ان الخلايا التي حولها ظلت حية نامية متكاثرة

وبعد بحث طويل اشترك فيها التجريب البارع ، والاستنتاج المنطقي ، وصل ديميريك الى نتيجة خطيرة ، وهي ان الوفاة يمكن اسنادها الى اصابة بعض الجريثيمات فقط ولا يبعد ان تكون ناشئة عن اصابة جريثيمة واحدة

فما هو حجم هذه الجريثيمة ؟ من يدري ؟ ولا سبيل الآن الى معرفة حجمها الا بالبحث عن عدد الجريثيمات في الصبغي ، ثم قسمة المادة التي يتألف منها الصبغي على عدد الجريثيمات ، لمعرفة وزن الجريثيمة الواحدة

اما عدد الجريثيمات في الصبغي الواحد فيظن انه يقابل عدد العقد التي في الصبغي .

وبالمقابلة بين عدد العقد في الصبغي الواحد و عدد التحولات الفجائية التي عرف ما يقابلها من التغير في عقده ، ظهر ان عدد الجريثيمات في خلية ذباب الفا كهة يبلغ ثلاثة آلاف وقد استنبط المستر باينتر Painter احد الباحثين في جامعة تكساس ، طريقة جديدة لتقدير عدد الجريثيمات ، ذلك ان ذبابة الفا كهة لها غددة لعابية قرب شديها ، وهذه الغدد قوامها خلايا كبيرة الحجم ، بل ان حجم هذه الخلايا يفوق أضعافاً حجبم خلايا الجسم السوية والصبغيات فيها تفوق في حجمها مائة وخمسين ضعفا حجم الصبغيات في الخلايا السوية وقد كانت هذه الحقيقة معروفة من سنوات ، ولكن يظهر ان أحداً من علماء الوراثة لم يخطر له ان يبحث في هذه الخلايا عن طريقة الى سر الصبغي وما يحدث فيه من التحول . ولكن الدكتور باينتر فطن الى ذلك سنة ١٩٣٢ فوجد ، انه اذا لونت هذه الخلايا بطريقة خاصة وأصبئت بأسلوب خاص ، ظهرت الصبغيات الضخمة ، وكأنها سلاسل ، مؤلفة من مناطق مستعرضة ، متفاوتة الحجم ، ولكل منطقة نموذج خاص فالمنطقة في الصبغي ليست بالجريثيمة ولكنها خاصة بها فكانها منزلها . واذن نستطيع معرفة عدد الجريثيمات باحصاء عدد هذه المناطق في الصبغي الواحد هذه المناطق من اصغر الاشياء التي وقع عليها البصر باقوى المجاهر . ولذلك فالحطأ في احصائها محتمل بل مرجح . فقد احصيت هذه المناطق في سنة ١٩٣٢ فبلغ عددها ٢٧٠٠ ولكن من عهد قريب استنبط الباحث كلفن رددجز أسلوباً للتلون والاضاءة فقال ان عددها يبلغ ٥٠٠٠ وقد يظهر انها اكثر من ذلك بتقدم أساليب تبيينها . وقد قال باينتر قريباً انها لا يبعد ان تبلغ عشرة آلاف ، ولكنه قال ذلك على سبيل التخمين والحزر . اما ملر فيقول انه ليس هناك ما يمنع ان تكون اكثر من ذلك ولكن لنلزم خطة الحذر والتحفظ ولنقل انها خمسة آلاف بحسب احصاء رددجز . فاذا كان في خلية ذبابة الفا كهة خمسة آلاف جريثيمة . فكثلة الواحدة تبلغ جزءاً من خمسة آلاف جزء من مجموع كتلة الصبغيات في الخلية . وكتلة الصبغيات لا تزيد على من كتلة الخلية المتوسطة . فالجريثيمة لا تزيد على من الخلية . وكذلك يبدو لنا اننا امام تركيب صغير دقيق معقد ، لا يبلغ في كتلته اكثر من خمسة اجزاء من مائة مليون جزء من الخلية ، ومع ذلك فان ازالته تقضي حتماً الى الموت فهو تركيب ، هذه الكتلة الصغيرة ، التي لا ندحة عنها للحياة ؟

يرد ديمريك على ذلك بتصوير الجريثيمة في صورة دقيقة عضوية . ولعلها جزيء عضوي كبير . والملاحظة تؤيد هذا التصوير . فبعض الجريثيمات كمعض الجزيئات العضوية الكبيرة غير مستقر التركيب فيتغير من شكل وتركيب محدثان الاجتحة السوية ، الى شكل وتركيب آخرين ، يسببان اجتحة قصيرة او مشوهة . وهذا التغير يمكن ان يفسر اذا فرضنا ان الجريثيمة جزيء عضوي فقد بعض ذراته المتصلة به اتصالاً وأهناً ، ثم يعود بعد هنيهة ليسترد الجزء المفقود . وقمة دليل آخر مستمد من دراسة انشطار الخلايا فعندما تنشطر الخلية شطرين ،

لاتنشط الجريثيمات بل تتضاعف عدداً بنمو جريثيمات جديدة محاذية للقديمة فتبقى الطائفة القديمة في شطر وتنتقل الطائفة الجديدة الى الشطر الثاني

وهذا الاسلوب ، متسق ، في رأي العلماء ، مع القول بان الجريثيمة جزئيء عضوي كبير واذا كانت الجريثيمة جزئياً فرداً فيجب ان يكون جزئياً ضخماً وليست الجزيمات العضوية الضخمة بالشئ الغريب بل ان علماء الكيمياء يعرفون عشرات منها . جزئيء بعض المواد البروتينية ، قوامه الوف من ذرات — ولعل اشهر مثل على ذلك جزئيء زلال البيض . ولكن هذه الجزيمات معقدة التركيب الى ابعد حد ومن المتعذر تمثيل تركيبها في صفحة من هذه الصفحات

وقد اقترح الدكتور ديميرك على سبيل التمثيل جزئياً عضوياً صغيراً مما تتسع صفحة مجلة له ، ودل على تركيبه ، وقال ان الجريثيمة ، اذا كانت جزئياً عضوياً ، فهي على مثال هذا الجزئيء ولكنه اكبر واشد تعقيداً

اما المادة التي اختار جزئياً لضربه مثلاً فتعرف باسم « الحامض التيمونوكلايك » (thymo-nucleic) وهي احدى المواد التي تتولد من انحلال بروتين النواة ان جزئيء هذا الحامض يشتمل على ٥٩ ذرة ايدروجين و ٤٣ ذرة كربون و ٣٢ ذرة اكسجين و ١٥ ذرة نيتروجين و ٤ ذرات فسفور — ومجموعها ١٥٣ ذرة وهذه الذرات مرتبة في مجموعات مختلفة والمجموعات منظومة في صورة متسقة. والمركب غير مستقر فيفقد احدى هذه المجموعات كاملة ثم يستردها او يفقد ذرة من احدى المجموعات نفسها ، وهذا الفقد يغيره ويغير تأثيره الكيميائي والحيوي كذلك

قلنا ان جزئيء هذا الحامض يشتمل على ٥٩ ذرة ايدروجين واربع ذرات فسفور . فاذا اصيب هذا الجزئيء بفوتون من الاشعة السينية ، وكان من تأثير الاصابة اهتلات ذرة ايدروجين ، يكون الجزئيء قد فقد في مجموعه جزءاً من ٥٩ من مقدار الايدروجين الذي فيه. ولكن اذا افضت الاصابة بفوتون الاشعة السينية الى اطلاق ذرة فسفور كان ما ينحسره الجزئيء ربع ما فيه من الفسفور . وقد تكون هذه الخسارة مما لا يعوض لجسامتها . وعلى ذلك فالذرة واحدة من الجزئيء قد تكون بحيث يتعذر تعويضها ، واذا تعذر ذلك وقفت الخلية عن النمو اي يدر كها الموت

وكذلك ترسم صورة المادة الحية في ضوء هذه الحقائق الجديدة ، صورة تجعل اعظم الشأن لذرة واحدة من ذرات المادة . اسلب من الجريثيمة تلك الذرة تفقد الجريثيمة استقرارها وتنحل. وانزع الجريثيمة من الصبغي يقف نمو الخلية . فاذا وقف نمو الخلايا وقف التناسل واشرفت الحياة على ختامها

منطقة السدود

و مستقبل الري في مصر ^(١)

لحسن سرى باشا

وكيل وزارة الاشغال

لعلني لا أجد غرابة اذا ما تحدثت اليكم ، أن أتناول دائماً موضوع نهر النيل ^(٢) ومياهه التي تجري بين جانبيه . فانها تخترق واديه ، فتغرق في طريقها الحياة كاملة على ارض مصر ، ويجري الخير فياضاً على من يستظلون بسمائها ، حتى أصبح هذا النهر العظيم علماً على بلدنا السعيد ، بل ورمزاً لوجوده فقلنا ، وكان ذلك منا عرفاناً بحمليه وشعوراً بخيراته « إن مصر هبة النيل ونعمته »

مصادر النيل

يستمد نهر النيل مياهه من المصادر الاربعة الآتية : (١) النيل الابيض . (٢) نهر السوبات . (٣) النيل الازرق . (٤) نهر العطبرة

ويستقل النيل الازرق ونهر العطبرة بامداد النيل الرئيسي بالجانب الاعظم من مياهه مدة الفيضان . وهما بما يحملانه من المواد ، سر خصوبة ارض مصر ، والعامل في تجديد قوتها بما يرسب فيها من الطمي كل عام . إلا أنه على الرغم مما لهذين النهرين من الأثر الواضح في خصب الاراضي المصرية ، فان فائدة نهر العطبرة تقتصر على مدة الفيضان فقط ، وذلك لانقطاع أمماده للنيل في شهر ديسمبر من كل عام ، حيث يصبح بعد هذا التاريخ عبارة عن سلسلة من المستنقعات لا اتصال بينها . ويستمر على هذه الحال حتى موسم الفيضان التالي . كذلك يقل إيراد النيل الازرق في مدة الصيف كثيراً ، فلا يزيد مقدار ما يمد به النيل عن ٢٠ ٪ من الإيراد الصيفي ، وقد يصل في بعض شهور الصيف الى ٥ ٪ من مجموع الإيراد . اي ان إمداد النيل الازرق يكاد يكون منعدماً في هذه الشهور

(١) ملخص محاضرة نشرت في الكتاب السابع الذي اصدرة الجمع المصري للثقافة العلمية

(٢) يجدر ان تقرر مطالعتها بمطالعة الري في مقتطف يونيو سنة ١٩٣٤ ص ٦٦٦ — ٦٧٧

ردوس نبات البردي . ويرى مبلغ كشافة والتصايف



ممر من الممرات الخشبية التي اقامتها مصلحة الري لاختراق نبات البردي لمعرفة حركة المياه
وهي تفيض على جانبي بحر الجبل في داخل منطقة السدود

وتطبق هذه الظاهرة الطبيعية أيضاً على نهر السوبات ، إذ أنه يد النيل بمقادير وفيرة من المياه مدة الفيضان ، ثم يتناقص إirاده بعد ذلك حتى يقل كثيراً في شهر الصيف ، بل أنه يكاد يجف طول هذه الفترة في بعض السنين

أما النيل الأبيض فإنه يد النهر بالجانب الأكبر من مياهه مدة الصيف . لذلك كان العامل الأول في الري المستديم بمصر ، وعليه يتوقف نمو الزراعة الصيفية ، وهي الحجر الأول في أساس روة البلاد ورخائها . ولذلك بقي ذلك النهر متمجة انظار رجال الري في كل عهد ، ففضوا يتعرفون مقدار مياهه ، ويزنونها بالقياس الى حاجة الارض في موسم الزراعة الصيفية

ويستمد النيل الأبيض مياهه من بحر الحيل وبحر الغزال . والاخير منهما قليل الفائدة ، ولايزيد مقدار أمداه للنهر على ١٠ ٪ من مجموع الإيراد ، بل أنه قد يكون مصدراً خسارة في بعض السنين ولذلك فإن إيراد النيل الأبيض مدة الصيف ، يتوقف على مقدار المياه التي تأتي إليه من بحر الحيل

فن الطبيعي — وهذا ما لمياه بحر الحيل من الشأن — أن نوجه جانباً كبيراً من اهتمامنا الى تعرف مقاديرها والعوامل التي تؤثر فيها وهي في طريقها إلينا . وكان مظهر هذا الاهتمام ان قامت وزارة الأشغال منذ زمن طويل بدراسة مجرى النهر في تلك الأنحاء . ولما تبين لها ان مقادير كبيرة من المياه تضيع سدى في جزء من بحر الحيل معروف « بمنطقة السدود » بدأت تفكر فيما يمكن لها عمله ، لتتلافى به ضياعها ، وتعمل على توفيرها لتتفع بها مصر في التوسع المنتظر في أرضها الزراعية

ولقد أسفرت الدراسة المستمرة حتى وقتنا هذا عن عدة حلول ، ورأيت من جانبي ان أقوم برحلة الى هذه الجهات لاتمكن من دراسة هذه الحلول ، في مواطنها وتقرير أيها أنسب لتحقيق الغاية التي نرجي إليها . وهذه هي الرحلة التي اخترت ان اصنفها

بدء الرحلة

في الساعة السادسة من صباح يوم ٢١ ديسمبر الماضي بارحت القاهرة على متن إحدى طيارات شركة المواصلات الإمبراطورية ميمماً الخرطوم

وكانت الطائرة التي اقلتنا تسير خلال رحلتها بسرعة متوسطها حوالي ١٦٠ كيلو متراً وعلى ارتفاع من سطح الارض يفاوت بين ١٠٠٠ و ٢٠٠٠ متر وتبع في طريقها خطوطاً مستقيمة في معظم الأوقات ، وتبعد عن مجرى النيل بضعة كيلو مترات . وقد هبطت بنا للتزود بالبزين ثلاث مرات. الأولى في الإقصر والثانية في حلفا والثالثة في كريمة ، إحدى مدن مديرية حلفا . وبعد رحلة استغرقت ثلاث عشرة ساعة ، وصلنا الخرطوم في الساعة السابعة من مساء اليوم نفسه

وحوالي الساعة السابعة من صباح اليوم التالي ، وعلى نفس الطائرة ، بارحت الخرطوم بعد ان قضيت ليلي بها قاصداً — وبصحبتي مدير مكتبي — مدينة الملا كال ، وهي مركز تفتيش اعالي النيل التابع لمصلحة الري المصرية . فوصلناها الساعة الحادية عشرة صباحاً ، اي بعد ان تركنا الخرطوم بأربع ساعات فقط . على ان تلك الساعات القلائل التي قطعنا فيها هذه المسافة الطويلة ، وهي حوالي ٨٥٠ كيلو متراً ، لتجعلني اذكر بالحمد ما اكتسبناه من الطيران . فمن توفير في الوقت الى راحة في السفر وبعد عن مشقاته . ويكفي ان اذكر ان المرحلة بين الخرطوم والملا كال تقطع عادة في النيل — وهو الطريق الوحيد بين هذين البلدين — فيما لا يقل عن ثلاثة ايام وثلاث ليل ، تسير فيها الباخرة بلا انقطاع . هذا الى بضعة ايام أخرى ، يضطر المسافر الى قضائها في الخرطوم بعد وصوله اليها ، انتظاراً لميعاد قيام الباخرة منها

ولما ان وصلت مدينة الملا كال توجهت ومعني رجال الري الى مستعمرة مصالحة الري المصرية هناك ، وهي تضم مكاتب الموظفين ومسكنهم ، وتكون الجزء الأكبر من المدينة . وهذه المساكن مقامة على شكل هندسي انيق وسط حدائق منسقة ، وهي مزودة بالمياه المرشحة وتضاء ليلاً بالكهرباء . ولم تكن مصلحة الري بجعل المستعمرة على هذا الشكل ، الا اعداد سبل الراحة لموظفيها في تلك الأثناء ، حتى تعوض عنهم بعضاً من متاعبهم التي يتحملونها في القيام بأعمالهم المضنية . ونظراً الى كثرة هطول الامطار ، رصفت طرقات المستعمرة وحفرت على جوانبها قنوات لحمل مياه المطر الى النيل . وهذه القنوات مكسوة بالأحجار عند تقاطع كل منها بغيره ومن وراء مستعمرة الري ، قرية الاهالي ، وهي مجموعة من الأكواخ مستديرة الشكل ، تسمى « تسكل » وتشاد من جدائل القش ، ثم تغطي بالطين ، ولها سقوف من القش ايضاً مخروطية الشكل تمنع تجمع مياه المطر فوق هذه الاكواخ

وبين ضفتي النيل أمام المستعمرة ، يرسو جانب من البواخر والمهمات العائمة ، التي أعدها مصالحة الري لا تنقل مهندسيها من جهة الى أخرى للقيام بأعمالهم . وكذلك عدد آخر من باخر حكومة السودان . والبواخر هي سبيل النقل الوحيدة في تلك الأثناء ، اذ ليست هناك طرق زراعية أو خطوط حديدية تصل بين الاماكن المختلفة . ولهذا السبب اتجهت الانظار نحو العناية بشؤون الملاحة ، وقامت مصلحة الري المصرية من جانبها بتضييق مجرى النهر أمام الملاكال بانشاء جسر عمودي على الضفة الغربية للنيل ، لتضمن بذلك وجود مجرى ملاحي صالح لنجاء المدينة ، يمكن لبواخرها ان تمر عبابه في اي وقت من غير صعوبة او مشقة . وصيانة لهذا الجسر من تأثير العوامل الطبيعية ، غرست على جوانبه أشجار « السيسان » فنجحت نجاحاً كبيراً ، اذ عملت على تماسك أجزائه وابقائه في مأمن من فعل الامطار ومياه الفيضانات المتعاقبة

طبائع القبائل

وعند وصولي الى مدينة الملاكال ، كان اخض ما استوقف نظري اهل هذا القسم الجنوبي من السودان . أولئك أبناء الطبيعة ، يعيشون في كنفها على فطرتهم فلم يتقدموا خطوة واحدة نحو أبسط مبادئ المدنية ، بل تراهم يسرون عراة الاجسام تماماً ، ولا يرتبطون في معاملاتهم بتلك النظم التي نعرفها ، وانما بقواعد أمليتها عليهم بساطة طبيعتهم . ويتكون الاهالي في هذه المنطقة من قبائل مختلفة أخصها بالذكر « الشيلوك » و « الدنكا » و « النوير »

فقبائل « الشيلوك » تعيش في الجزء الاوسط من مديرية اعالي النيل ، وهم عمالقة ضخام الاجسام ، لكنهم ضعاف وجلودهم لامعة براقة وشعورهم مرسلات تنمو ثم يعقصونها ويصففونها في اشكال مختلفة غريبة . ولقد شاهدت عليهم امارات الكسل النام في مظهرهم وحركاتهم . وعلمت أن لهم أميراً يحكمهم ، ويقدمون له أتم الخضوع

وهم يعيشون في قرى متعددة السكان داخل أكواخ من القش والطين . ولا عمل لهم سوى رعي الاغنام وصيد السمك والحيوانات وماشيتهم هي أداة التعامل ، فلا يذبحون مطلقاً . ومما بلغني عن معتقداتهم وعاداتهم ان لهم ديناً هو خليط من الوثنية وعبادة الاجداد والارواح . وانهم يكثرون من اقامة حفلات الرقص ، كل منها لغاية خاصة . فبعضها تقرباً من الآلهة لاستئصال المطر ، وبعضها للحرب او الموت او الدين او غير ذلك

اما قبائل « الدنكا » فيقطنون الجزء القبلي من مديرية اعالي النيل ، وهم طوال الاجسام ويسرون عراة ، الا المتزوجات من النساء ، فانهن يسترن عوراتهن بجلبدين : أحدهما من الامم والاخر من الخلف . والجميع ، رجالاً ونساءً ، يتزينون بالخرز والودع . وضخامة العقد الذي يلبسه الرجل — كما علمت — دليل على جاهه وثروته . وقد بلغني عن حياتهم ان رعي القطعان هو كل شيء لديهم ، وأهمها البقر الذي يتعاملون به ويقدمونه ، فيظل الرجال في حراسته يغفون له ، ويرقصون أمامه ، حتى لا يمرض او يقل نسله

ومما يتعرض له صغارهم قسوة تجرح جباههم ، ليحملوا بذلك شعار قبيلتهم . كما أنهم يدفعون وهم في مقتبل العمر الى الغابة ليقننوا مع الوحوش الضارية والافاعي ، حتى اذا ما نالوا شرف قتلها وهم فرادى ، أهلهم ذلك للدخول في عداد الرجال

ولهم في معاملاتهم واحوالهم الاجتماعية قواعد عرفية يخضعون لها . وتطبق هذه القواعد مجالس تجمع اكبر الاشخاص سنًا في كل قرية او عشيرة . والى هذه المجالس يحتكم الافراد في جميع مسائلهم ، حتى ما كان منها مختصاً بأمورهم العائلية

واما قبائل « النوير » فيشبهون « الدنكا » في اجسامهم ولهجتهم ، ولو انهم أضعف بنية

وأفتح لوناً وهم مشدون جماعات صغيرة في بحر الغزال وبحر الجبل . وترغم يلبخون اجسامهم ووجوههم بالرماد ، ليتقوا بذلك لدغ التاموس ، ويتركون شعورهم منقوشة إلا النساء فانهن يكرهن على أشكال مختلفة

وقبائل «النوير» معروفة بالغدر والقسوة وبميلها الشديد الى الغارات . وقد كانوا وقت زيارتي لهذه الأنحاء ، يقتلون مع قبائل الدنكا غربي بحر الجبل بالقرب من بلدة «تومبي» الواقعة شمال مدينة منسجلا . كذلك فهمت من بعض من قابلتهم من رجال الحكومة المحلية هناك ، ان هذه القبائل تعتقد في روح عليا خلقت الدنيا وسيطرت عليها ، ولهم في الحياة الآخرة فكرة مبهمة . وان من عاداتهم في الموت رش المقابر بعد دفن الموتى باللبن ، كما انهم يضعون بجوار الجثة بعض ما كان يشتميه الفقيد في حياته كغليون التدخين أو غيره ، ليتسلى به حتى يصل الى عالم الأرواح

طبيعة البلاد

وبعد ان أقمنا في الملا كل يوماً وبعض يوم ، غادرناها على ظهر باخرة من بواخر مصالحة الري فأخذت تشق بنا عباب النيل الأبيض متجهة نحو الجنوب . وهو نهر متسع الجرى تتحدري مياهه بين جانبيه في سرعة قليلة ، لذلك كان أقرب الى البحيرات منه الى الأنهر ، وكنا نرى على جانبيه أرضاً منبسطة يكسوها العشب في غزارة تبدو بها كأنها بساط أخضر لا يعترضه إلا أشجار منشورة طوراً ، ومجموعة طوراً آخر . ويفصل هذه السهول عن مجرى النهر أخاديد تملأها المياه في بعض فصول السنة . وبقي هذا المنظر ثابتاً حتى بلغنا بلدة التوفيقية على الجانب الأيسر للنيل ، وهي التي كانت مقراً للمكتشف المعروف السير «صموئيل بيكر» فأصبحت خراباً واطلالاً بالية . ثم واصلنا المسير فمررنا بمصب نهر السوبات ، ومن هناك انحرف مجرى النهر بزاوية قائمة نحو الغرب ، لكنه بقي باتساع مجراه وقلة انحدار مياهه ، وبالسهول المترامية على جانبيه ، والتي كنا نرى فوقها تلوي النمل تقيمها بنفسها من التراب بارتفاع قد يصل الى مترين أو ثلاثة أمتار لتتخذ منها مأوى يقها شر عادية الطواريء الجوية . وعلى جانبي النيل الأبيض ، جنوبي مصب نهر السوبات عدة مجار للمياه تعرف «بالخيران» وأهمها خور «لولى» وهو يقع الى يسار النهر ويسير موازياً له في مسافة تبلغ حوالي ٥٠ كيلو متراً ، ويتصل به في بعض المواقع

وبعد رحلة في النيل الأبيض استغرقت ست ساعات من ملا كال ، وصلنا الى مصب بحر الزراف وهناك اتخذنا طريقنا وسط هذا الجرى وهو في مبدئه خفيف المنحنيات محدّد الجوانب ،

يبلغ عرضه حوالي ثلاثين متراً . وعلى جانبيه تنمو حشائش كثيفة تعرف « بأُم الصُوف » . ويرى الداخل اليه ، على الضفة الغربية ، أشجاراً كثيفة تمتد مسافات كبيرة على طول المجرى . اما الضفة الشرقية فخالية من الاشجار ، ولا يوجد غير الوادي وهو مكسو بالحشائش وقد برز في وسطها ، وعلى بعد نحو عشرة كيلو مترات من المصب ، عدة تلال حجرية تعرف بجبل الزراف . وما ان توغلنا جنوباً ، حتى رأينا على الجانبين غابات كثيفة من اشجار متوسطة الارتفاع . تسكنها كثير من الحيوانات الضاربة

وبعد ان قطعنا وسط بحر الزراف مسافة ٣٢ كيلو متراً من مصبه ، رسونا بباخرتنا ، وسلكنا طريقاً بالبر انشأته فرقة من مهندسينا المصريين خلال الغابة القائمة على الجانب الشرقي للنهر . وقد بلغنا المكان الذي يعمل فيه هؤلاء المهندسون بعد ان سرنا حوالي ٧٥ كيلو متراً ، وهناك شاهدنا اعمالهم التي يقومون بها من مسح المنطقة الواقعة الى الشرق من بحر الزراف ، وخص طبيعة تربتها بواسطة اعمال الجس ، ليجمعوا بذلك البيانات اللازمة لبحث احد المشروعات التي يتاولها تفكيرنا للقيام بتنفيذها في منطقة السدود . وتعرض اعمال المهندسين في هذه الغابات صعوبات متعددة ، اهمها طرق المواصلات . ولذلك كان اول ما يعنون به شق الطرق خلالها . ولما كان هطول الأمطار وكثرة المستنقعات يجعلان استخدام العمال صعباً فانهم يعمدون الى استعمال آلات ميكانيكية من النوع الحديث تعرف بالجرارات ، يمكن بواسطتها تمهيد طريق طوله كيلو متران في اليوم الواحد . وانه ليسرني في هذا المقام ان اسجل لمهندسينا المصريين تأديتهم لاعمالهم في دقة بالغة ، متحمسين مشاق وصعوبات مضمية في هذه الأماكن التي تنعدم فيها وسائل المعيشة ، والتي يندر فيها الانسان وتكثر الحيوانات المفترسة

عدنا بعد مشاهدتنا لاعمال المهندسين الى النهر ثانية ، فواصلنا السير فيه ، وقد بقي مجراه على حاله السابقة . الا اننا بعد ان توغلنا حوالي عشرين كيلو متراً اخرى ، اخذ النهر يلتوي في منحنيات حادة . وكلما امعنا في السير ازدادت المنحنيات حدة . كذلك كان اتساعه يزيد آونة بآونة ، وعلى جانبيه بدأنا نرى نبات البردي ينمو بكثرة وسط حشائش ام الصوف . ومن بعده بدت غابة خلاصة المنظر من اشجار الدوم على البر الايسر ، وبقي البر الايمن مغطى بالحشائش دون الشجر ، حتى اذا ما سرنا مسافة أخرى ، اخذت غابات الدوم تبدو لنا على الجانبين وسط المستنقعات التي بدأت في الظهور . ثم عادت هذه الأشجار فاختفت ، ورأينا الوادي يغطيه نبات البردي ثانية ، حتى اذ ما وصلنا عند كيلو ١٧٥ ، بدأت المستنقعات تنتشر على جانبي النهر ، وكانت تزداد كلما اتجهنا جنوباً . كذلك بدأت الخيران من هذا الموقع تتعدّد على الجانبين ، بعضها يأخذ من مياه النهر ، والبعض الآخر يصب فيه

ولقد واصلنا المسير في بحر الزراف حتى شاهدنا الجسرين اللذين اقامتهما مصلحة الري ، احدهما في سنة ١٩١٠ بالبر الايمن عند السكيلو ١٨١ ، والاخر في سنة ١٩١٣ بالبر الايمن عند السكيلو ٢٦٦ كتجربة لمعرفة صلاح التربة في هذه المناطق لاقامة الجسور . وقد لاحظت انه لم يكن للعوامل الطبيعية أثر يذكر فيهما على الرغم من انقضاء هذه المدة الطويلة على بدء انشأتهما ، مما يجعلني أميل الى الاعتقاد بأنه اذا ما اتجهت النية الى اقامة جسور للنهر في هذه المناطق ، لتمتع طيان المياه على الجانبين ، فربما أمكن صيانة هذه الجسور بتكاليف معقولة

وعند السكيلو ٢٧٠ من بحر الزراف ، رأينا هذا النهر قد اقترب كثيراً من بحر الجبل بحيث أصبحت المسافة بينهما لا تتجاوز الاربعة كيلو مترات ، وفي هذا الموقع أنشأت وزارة الاشغال في سنتي ١٩١٠ و ١٩١٣ قطعين بصلان بين مجرى النهرين ، ابتغاء تحويل جزء من مياه بحر الحيل الى بحر الزراف ، حتى يتفادى مرورها وسط منطقة السدود الواقعة شمالي القطعين ، فيقل بذلك الضائع منها في الطريق . وقد مررنا بمصب القطع الشمالي منهما ، ثم اتجهنا الى القطع الجنوبي فاخترقناه الى بحر الحيل ، حيث سرنا فيه قليلاً الى ان بلغنا المكان الذي تقوم فيه مصلحة الري ببعض بحوثها على جوانب احدى البرك التي يخترقها النهر ، لمعرفة مدى مقاومة تربة هذه المناطق لتسرب المياه من خلالها ، وبالتالي مقدار الاعتماد عليها في اقامة الجسور ، اذا ما استقر الرأي على انشاء جسور للنهر وسط منطقة السدود . وتلخص هذه البحوث في اقامة أحواض من الطين الذي يؤخذ من هذه المنطقة كما هو ، مشوباً بالأعشاب والبردي وذلك بوساطة الكراكات الميكانيكية ، ويفرغ ما بداخلها من الماء ثم تترك على هذه الحالة مدة من الزمن يرصد بعدها مقدار ارتفاع المياه التي تسربت الى الحوض ، وكذلك مقدار ما تبخر منها ، فيمكن بهذه المعلومات تقدير مقدار المياه التي رشحت من النهر الى داخل الحوض . وقد شاهدنا بعض هذه الأحواض التي اقيمت من قبل ، وبعضاً آخر مما يقام في الوقت الحاضر استكمالاً لهذا البحث

ولمعرفة حركة المياه ، وهي تفيض على جانبي النهر وسط منطقة السدود ، أقامت مصلحة الري ممرات من الخشب على شكل جسور تخترق البردي ، وتمتد الى مسافة نحو كيلو متر . وعلى مسافات مختلفة من امتدادها وضعت مقاييس يمكن بها معرفة اتجاه حركة المياه . وكذلك حوض من الصاج مملأ بالماء لتقدير درجة التبخر في هذه المواقع . وبعد ان زرنا ممرًا من هذه الممرات ، اتجهنا في بحر الحيل جنوباً فمررنا ببركة غابة « شامي » عند السكيلو ٤٠٦ من مصب بحر الحيل ، وتقع في الجهة الغربية منها المدينة المعروفة بهذا الاسم وجنوبي بلدة « شامي » أخذ مجرى بحر الجبل يقل في اتساعه أحياناً ويزيد أخرى ،

كذلك كان يسير في منحنيات حادة جداً تحترقها الباخرة وتسير عدّة كيلو مترات ، فلا تكون بعد هذه الرحلة قد قطعت سوى أمتار معدودة على خط مستقيم من طول المجرى . وعلى سبيل المثال أقول أنه بعد ان سرنا في أحد هذه المنحنيات نحو أربعة كيلو مترات وجدنا أننا قد عدنا الى المكان الذي بدأنا المسير منه فلم نبعد عنه الا نحو ثلاثين متراً فقط

وبعد ما فصل المحاضر دقائق الرحلة بجرأ وبرأ وهو وصف حافل بالحقائق الجغرافية والطبوغرافية والبيولوجية انتقل الى بحث منطقة السدود فقال : عند بلدة «بور» حيث تأخذ الأراضى الجافة في التضائل والابتعاد عن مجرى النهر بالجهة الشرقية منه ، كما تأخذ البرك والمستنقعات في الظهور والانتشار كلما سرنا نحو الشمال . ونستمر كذلك نحو ١٢٥ كيلو متراً ، تبدأ بعدها المستنقعات في الانتشار على الجانبين حتى مدينة « شامبي » وعندها تبدىء منطقة السدود الحقيقية ، بعرض يختلف من ١٠ كيلومترات الى ٥٠ كيلو متراً ، ومساحة تتفاوت بين ٥٠٠٠ و ٦٠٠٠ كيلومتر مربع ، تبعاً لمقادير المياه الواردة اليها ، فتزداد زيادتها ، وتنقص بنقصانها . ويسير النهر في هذه المنطقة متعرجاً بعرض يتراوح بين ٦٠ و ١٢٠ متراً . وعلى طول مسافة تبلغ نحو ٤٠٠ كيلومتر ، لا يرى المار بها غير صفحة واسعة من الماء ، كسرتها مساحات مترامية الأطراف من الحشائش والاعشاب ، فيخيل اليه انه يسير وسط زراعات خضراء بشكل منظم ولون واحد تتخللها بين آونة وأخرى برك متباينة الحجم ، تبدو كأنها قطع الفضة قد نثرت على بساط من سندس ، وزبطها سلاسل عاجية ، هي الخيران التي لم تجد الحشائش سبيلاً الى النمو فيها . هنا يروقه هذا المنظر لغرابته واتساعه وضخامته ، لكنه اذا استمر في طريقه فانه يظل يشق المنطقة يوماً بعد يوم من دون ان يقع بصره الا على منظر متجانس لا يتغير ، فلا يلبث ان ينقلب إعجابه به الى شعور بالسآمة والملل

وفي منطقة السدود تثبت الحشائش بكثرة وسط المستنقعات ، وأظهرها نبات البردي الذي ينمو في عمق من الماء يتفاوت بين ثلث متر ومتر ، وارتفاعه بين أربعة أمتار وستة . كذلك تثبت في بعض المواقع حشائش اخرى تعرف « بأَمِّ الصُّوف » ونوع آخر يسمى « غاب الفيل » وهو قريب الشبه من الغاب البلدي المعروف بمصر . وهذه الاعشاب جميعها لم تدرس دراسة فنية في هذه المنطقة لمعرفة طبيعتها وخواصها والعوامل التي تدعو الى كثرة نموها في هذه المنطقة

تلك هي منطقة السدود . يسير بحر الجبل خلالها في مجرى يكاد يكون محدد في بعض مواقفه مدّة الصيف ، وتجاوره على مسافات متباعدة من طوله : برك يصلها بمجرأه خيران متعدّدة تختلف سعتها من عشرة أمتار الى مائة متر فأكثر ، وتشاهد المياه منبعثة خلالها ، وهي تسرّب من النهر او اليه وفقاً لانخفاض المياه او ارتفاعها في المواقع المختلفة . واذا ما انقضت

فترة الصيف ، وبدأت مياه النهر في الارتفاع ، فانها تفيض على جانبيه حين تغمر هذا الوادي الفسيح ، وعند ذلك يتسع سطحها ، فتفقد جانباً كبيراً من مقاديرها لما يضيع منها في ملء البرك وفي تسرب الارض والتبخر . وهذا التبخر ، يساعد على زيادته وجود البردي والنباتات الاخرى حيث دلت البحوث التي أجريت هناك ، على ان مقادير المياه التي تضيع بالتبخر من سطح مغطى بالحشائش ، اعظم قدراً مما يضيع لو كان سطح الماء مكشوفاً وخالياً من الاعشاب

ولقد قامت مصلحة الري منذ سنة ١٩٠٦ حتى الآن برصد مقادير المياه التي يأتي بها بحر الجبل الى هذه المناطق ، والمقادير الاخرى التي تصل منها الى النيل الايض ، ثم استخرجت من ذلك مقدار ما يضيع منها في منطقة السدود ، فظهر انها مقادير كبيرة ، إذ بلغ متوسطها السنوي نحو ١٤٠٠٠ مليون من الامطار المكعبة . وقد بلغ اقصى ما يضيع في هذه المنطقة حوالي ٤٠٠٠٠ مليون من الامطار المكعبة ، ولم يحدث ان قل هذا القدر في اي من السنين المنحطة الايراد عن ٧٥٠٠ مليون متر مكعب

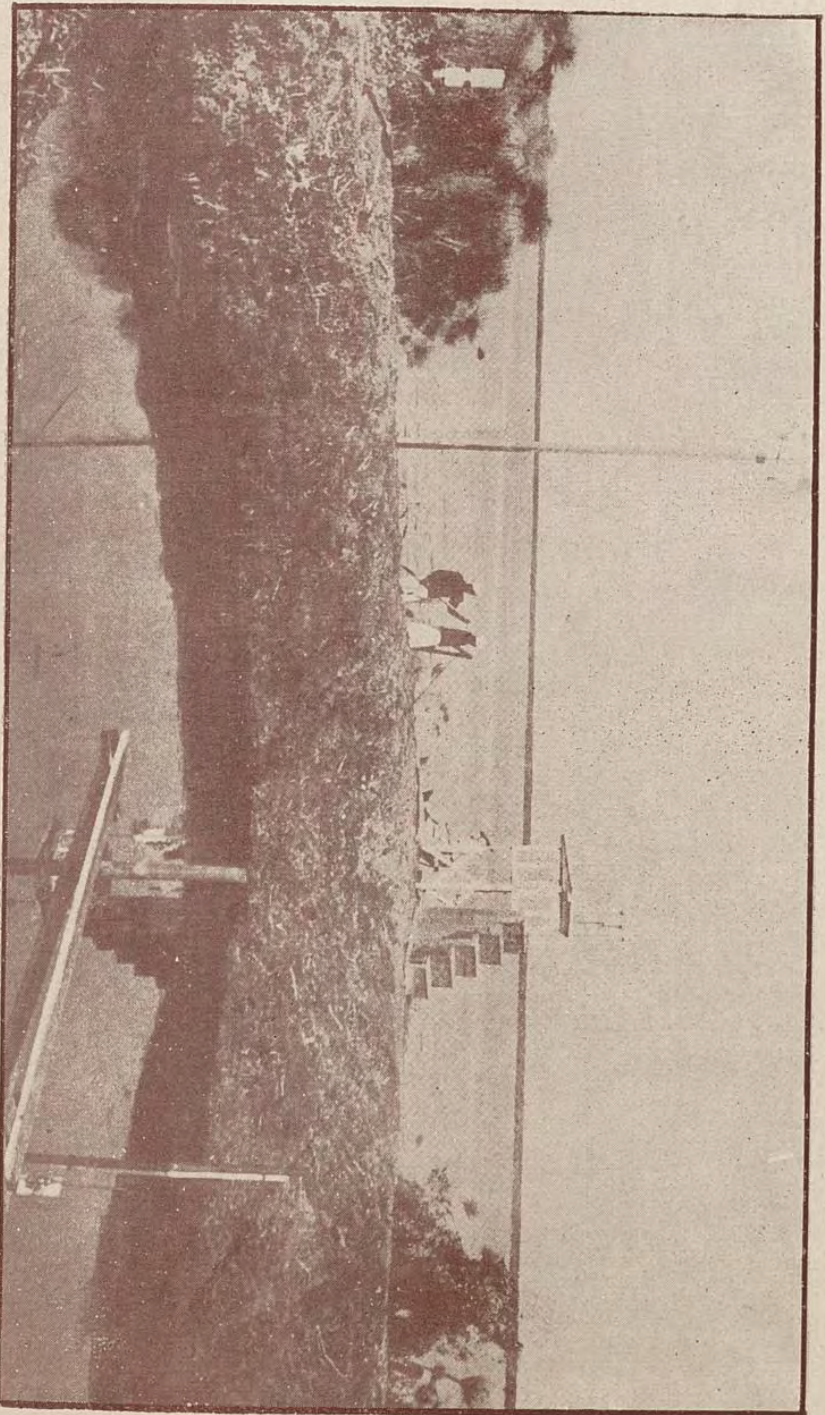
ومن ذلك تتبين فداحة الخسارة في هذه المياه ، وهي التي ستكون مصر في اشد الحاجة اليها في المستقبل ، ولذلك لا بد من التفكير في العمل على تلافي ضياعها وتوفيرها ، كي ينفع بها في موسم الزراعة الصيفي

وقد يقال ان مصر في حاضرها لا تعوزها الحاجة الى هذه المقادير الضائعة ، بعد ان قامت وزارة الاشغال بتعليق خزان اسوان للمرة الثانية ، وأوشكت ان تتم انشاء خزان جبل الاولياء . الا انه امام ما نشاهده من الزيادة المستمرة في عدد السكان ، وما يتطلبه ذلك من زيادة التوسع في المساحات الزراعية ، نعتقد ان مصر لا تلبث بعد تمام الانتفاع بمياه الخزائين ان تصير في اشد الحاجة الى مقادير اضافية من المياه لتستخدمها في كل خطوة من خطوات التوسع في المستقبل البعيد . ولذلك وجب ان يمتد تفكيرها من الآن الى المشروعات التي من شأنها توفير المياه لتكون معدة للتنفيذ والانتفاع بها في الوقت المناسب

الري والبحيرات الاصناعية

تباغ احتياجات مصر من المياه الصيفي ، بعد استكمال نموها الزراعي ، نحو ٢٥ ملياراً من الامطار المكعبة ، لديها الآن من هذا القدر ما يأتي :

٥	مليارات : سعة خزان اسوان بعد تعليته الثانية
٢	» مقدار ما يمكن الانتفاع به بالحجز في خزان جبل الاولياء
٩	» متوسط ايراد النهر الطبيعي في فترة الصيف
١٦	ملياراً : المجموع



حوض من أحواض تجارب الرشح بأحدى البرك المتصلة ببحر الجبل قبل بأخذ القطع (١) لمرقة صلاحية التربة في هذه المناطق لعمل الجسور

فاذا اضيف الى ذلك ١٢٥ مليار مقدار نصيب مصر في مياه خزان بحيرة تسانا بعد اتمامه ، كان مقدار المياه التي يمكن الحصول عليها ١٧٢٥ مليار فقط ، ويبقى بعد ذلك حوالي ثمانية مليارات لا بد من تدبيرها للوفاء بجميع الاحتياجات في المستقبل . وليس للبلاذ ان تتطاع في تحقيق هذه الغاية الا الى البحيرات الاستوائية ، حيث يمكن ان تجعل منها مستودعاً فسيحاً تخزن فيه مقادير وافرة من المياه لتنتفع بها في استكمال حاجات الزراعة ، كلما ازداد التوسع في الأراضي الزراعية .

ولقد كانت بحيرة « البرت » اولى البحيرات التي اتجهت اليها انظار رجال الري لتحقيق هذه الفكرة ، ولذلك تناولوها بالبحث والدراسة وانتهوا الى امكان تحويلها الى خزان يدخر فيه في متوسط السنين ما يربي على ١٢٥ مليار من الامطار المسكبة ، اي ما يعادل مرتين ونصف ما يمكن لخزان اسوان ان يحجزه بعد تعليته الثانية . ولا شك اننا مهما بذلنا من الجهود لزيادة ايراد هذه البحيرة مدة الصيف ، فان مقادير وافرة من مياهها سوف تتبدد عند اجتيازها منطقة السدود اذا بقي النهر على حاله الحاضرة ، ولم نعمل باجراء تعديلات فيه ، من شأنها ان تمنع ضياع المياه في هذه المنطقة

ولهذه الاسباب قامت وزارة الاشغال منذ زمن بعيد بالتفكير فيما يمكن لها عمله من المشروعات لتحقيق هذه الغاية ، وأسفرت دراساتها عن اقتراح مشروعات يمكن الاخذ بأحدها بعد أن يتم بحسب المعرفة مدى صلاحية كل منهما من الناحية الفنية ، ومقدار تكاليفه حتى يمكن المفاضلة بينهما ويقضى الاول من هذين المشروعين باقامة جسور لبحر الجبل وسط منطقة السدود ابتداء من مدينة « بور » لمنع طغيان مياهه على شاطئيه . وقد دلت البحوث التي قامت بها مصلحة الري حتى الان بصدد هذا المشروع ، على انه يمكن اعتبار تربة هذه المناطق مانعة لتسرب المياه من خلالها ، مما يجعاني أميل الى الاعتقاد بأنه يمكن الاعتماد عليها في إقامة الجسور

أما المشروع الثاني فيقضى بانشاء تحويلة للنهر إلى الشرق من بحر الزراف خارج منطقة السدود لتصل بين مجرى بحر الجبل والتيل الأبيض فتعبرها مقادير المياه اللازمة لمصر في حاضرها ومستقبلها ، بعد اقامة خزانات أطالي النيل ، وذلك مع ترك مجرى بحر الجبل الحالي ليرفيه ذلك المقدار من المياه الذي يكفي الملاحة النهرية ، والتي لا يفيض الا الجانب اليسير منها ، على جانبي النهر ويدخل منطقة السدود الحقيقية

ولقد تمت دراسة مشروع آخر يقضي بتحويل بحر الجبل عند بلدة « الجيزة » جنوبي

مدينة « بور » الى مجرى جديد يسير الى الشرق يصله بمجرى يسمى « فيفو » ومنه يسير في نهر يبور احد فروع نهر السوبات ثم في نهر السوبات في النيل الابيض . ولكن لما ظهر ان نفقات هذا المشروع قد تبلغ نحو الثمانية ملايين من الجنيهات ، بينما لا تزيد مقادير المياه التي يوفرها على مليار ونصف مليار من الامتار المكعبة فقط ، اتجه الرأي الى دراسة مشروع آخر يقضي بانشاء هذه التحويلة بحيث تمر في الارض المرتفعة شرقي منطقة السدود مباشرة وعلى مقربة الى ان تتصل ببحر « الزراف » عند كيلو ١٩٠ تقريباً ، وتسير فيه حتى مصبه في النيل الابيض

هذه هي المشروعات التي اقترحت لمنع ضياع المياه في منطقة السدود . ولاشك ان تنفيذ مشروع منها ، سوف يترتب عليه زيادة مقادير المياه التي ترد الى مصر من المناطق الاستوائية ، لا في فترة الصيف وحدها ، وانما في جميع فصول السنة بما فيها مدة الفيضان . فاذا ما جاء فيضان عال ، فان توفير المياه التي كانت تضيع في منطقة السدود ، سيكون مبعث خطو على سلامة مصر ، إذ لا بد ان تعمل هذه المقادير على زيادة ارتفاع مياه الفيضان في حدود الاراضي المصرية عند ما يبلغ اقصى ارتفاعه . وهذه هي الصعوبة التي تعرض لها المشروعات التي نبغي القيام بها في منطقة السدود

ولما كانت هذه المنطقة تعتبر في الوقت الحاضر كمصرف تتسرب اليه مقادير وافرة من مياه الفيضان وتبدد فيه ، فكل مشروع يقترح لزيادة مقادير المياه الصيفية لمصر ، يجب ان تتوفر فيه في الوقت نفسه من الوسائل ما يسمح باستمرار منطقة السدود في أداء وظيفتها المشار اليها وقت الفيضانات العالية . وذلك بانشاء قنطرة في قناة السدود يمكن بواسطتها اطلاق ما يزيد عن الحاجة من مياه بحر الجبل مدّة الفيضان الى المستنقعات المستدّة على جانبيه

فاذا ما تم مشروع منطقة السدود ، فانه يمكن لنا القيام بعد ذلك بانشاء خزان بحيرة « البرت » ونكون بتنفيذ هذين المشروعين قد عملنا على منع ضياع المياه في تلك المناطق ، ثم نخزن مقادير اضافية من المياه في بحيرة « البرت » لتنفع بها مصر في زيادة التوسع في اراضيها الزراعية ، كما نكون قد قمنا بتنفيذ مشروعين من أهم المشروعات التي تتطلع اليها مصر للوفاء بحاجة أهلها في كل وقت ، بل والعمل على زيادة ثروتها وتوفير أسباب الرفاهية لها

تأثير الشمس

في شؤون الناس

هل تؤثر الشمس في الغد والخلق ؟

من المقالات التي تستوقف النظر ، موافقة فترات الرخاء والاقبال في اعمال الناس ، لكثرة ظهور الكلف على وجه الشمس . ففي سنة ١٩٢٨ عندما كان الاقبال على أعظمه ، كانت الكلف على أكثرها عدداً واشدها نشاطاً . وفي السنة الماضية اي سنة ١٩٣٦ اذ لاحت تبشير الانتعاش بعد سنوات الازمة العالمية القائمة ، كان عدد الكلف الشمسية آخذاً في الاقتراب من ذروته العليا . يقابل هذا ان الازمة بلغت اشدها في سنتي ١٩٣٢ و ١٩٣٣ عندما كانت كلف الشمس على اقلها

ولست هذه المقالة بفريدة في بابها . بل ان الدكتور هارلن ستنتسن Stetson الاستاذ بمعهد ماستشوستس التكنولوجي ، يقول على ما جاء في مجلة « خلاصة العلم » ان البحث في التاريخ الحديث من هذه الناحية يسفر عن ان خمساً من الازمات السبع العظيمة التي ابتلي بها العالم في الخمسين السنة الاخيرة وافقت في تطورها كثرة الكلف وقتلتها على النحو المتقدم فهل هذه الموافقة مجرد اتفاق ام في جعبة العلم ما يفسر هذه الظاهرة الغريبة ؟

الجو والحالة النفسية

هل خطر لك ان تسأل نفسك لماذا تحس في بعض الايام بأنك نشيط طموح مغتبط لانك حي ثم لماذا تحس في أيام اخرى بتعب وفطور وتراخ وثبوت في الهمة ؟ أيمكن ان يسند ذلك الى حالة الجو ؟ أيمكن ان نلوم الهواء ؟

عرف العلماء من عهد بعيد ان كل قدم مكعبة من الهواء الذي نتنفسه تحتوي على دقائق مكهربة — وتعرف باسم ايونات او شوارد — بعضها مكهرب كهربائية موجبة وبعضها مكهرب كهربائية سالبة وهذه الدقائق محمولة في الغبار وقطيرات الماء وما اشبه . ولكننا مانزال في مفتتح عهد جديد في فهم ما لهذه الدقائق من التأثير في الشؤون الحيوية لأن العلماء لم يتمكنوا الا من عهد قريب ، من السيطرة على حالة الجو الكهربائية سيطرة خاضعة لقواعد التجربة العالمية

فلايونات يمكن توليدها في الهواء باطلاق شرارات كهربائية فيه او اشعة اكس او مقذوفات الرادوم . حتى شعلة من النار في موقد متأجج تؤين الهواء الى حد ما اي تولد فيه هذه الدقائق المكهربة أي الايونات

ثم هناك اجهزة خاصة تمكن العلماء من ان يخرجوا من قدر معين من الهواء في معمل البحث الدقائق المكهربة الموجبة أو الدقائق المكهربة السالبة ثم يدرس تأثير الباقي على هذا النمط وجد الاستاذ دسور Dessauer في جامعة فرانكفورت ان المرضى الذين يتعرضون للدقائق المكهربة الموجبة يشعرون بالتعب والاعياء والدوار والصداع . فلما ازيلت الدقائق المكهربة الموجبة من الهواء الذي يتنفسونه وتعرضوا للدقائق المكهربة السالبة زال الصداع وحل محله شعور الانشراح والنشاط

وقد جرت التجارب في ضغط الدم وتأثيرها بحالة الهواء من حيث وجود الدقائق الموجبة او الدقائق السالبة فيه فظهر ان وجود الاولى يزيد ضغط الدم فينشأ عن ذلك انزعاج عام وان وجود الثانية يخفف ضغط الدم ويحدث شعور الراحة والطمانينة . بل هناك ما هو اعجب مما تقدم ذلك ان استنشاق مقادير من الدقائق المكهربة السالبة مدى اسابيع افضى الى تحسين الحال في ثمانين في المائة من اصابات ضغط الدم . ولاربابك ايها القارئ قد سمعت المصابين بالروماتزم يتحدثون بما يشعرون به من تقلب حالة الجو قبل حدوثه . فهل لهذا الشعور وهو اشبه ما يكون بالتنبؤ بالطقس اساس علمي ؟

لقد اثبت الاستاذ دسور ان الناس المعرضين للروماتزم زادت آلامهم وتضخمتم مفاصلهم وارتفعت حرارتهم قليلا عند استنشاقهم هواء كثرت فيه الدقائق المكهربة (الايونات) ومعروف عند علماء احوال الجو ان العاصفة قبل حدوثها يسبقها هبوط في ضغط الهواء فيصعد الى سطح الارض هواء كان محفوظاً بين دقائق التراب . وقد ثبت ان الهواء الذي يكون بين دقائق التراب تكثف فيه الدقائق المكهربة الموجبة . ولعل وجود هذه الايونات يزيد آلام المصابين بالروماتزم قبل انفجار العاصفة

ثم ان الهواء يحتوي على ايونات كبيرة وايونات صغيرة وقد اكتشف الباحثون في معهد كارنيجي بوشنطن ان الايونات الكبيرة تكثر بعد الغروب والايونات الصغيرة تكثر قبل الشروق . ولعل هذا الفرق بين الليل والنهار اهم من الفرق في الرطوبة بينهما . بل لعلنا نجد في هذا الفرق تفسيراً لتأثيرها الفسيولوجي في جسم الانسان

الكلف اعاصير مغناطيسية

فلننظر الآن في الادلة التي يسوقها العلماء لتأييد القول بان الكلف يصحبها تغير مغنطيسي وكهربائي في جو الارض ، وفي مقدار ضوء الشمس ونوع ذلك الضوء ، اي في ما يقال عن تأثير الكلف في حياة الانسان على سطح هذه الكرة الارضية . ولندكر ان اشعة الشمس قد تؤثر تأثيراً مباشراً في نمو غذائنا ونوعه وعن طريقه تؤثره في غددنا واخلقنا

يعرف قراء المقتطف ان الكلف الشمسية تبلغ اكثرها ثم تتدرج نقصاً فتبلغ اقلها في فترات متعاقبة طول الفترة منها احدى عشرة سنة وربع سنة . فعندما تكون الكلف على اكثرها ، يكون جو الشمس اشد ما يكون اضطراباً ، وصفة هذا الاضطراب عواصف عظيمة اذا قست بها العواصف التي تقع في المناطق الاستوائية على سطح الارض صبح على العواصف الارضية ذلك الوصف الأعجمي « عاصفة في فجان » . والعواصف التي تحدث في جو الشمس عندما تكون الكلف على اكثرها ، مؤلفة من غاز الايدروجين وبخار الكسيوم وغيره من العناصر وتدور دوراً رحوياً عنيفاً في اتجاه عقارب الساعة او ضده اي انها زوابع او اعاصير تصحبها نيارات قوية في جو الشمس

في مركز هذه المناطق المضطربة من سطح الشمس ، تنخفض الحرارة انخفاضاً يكفي لنقص اشراقها فتبدو قائمة عند رصدها بالمرب ، فسميت كلفاً لانها تشوب وجه الشمس كما تشوب الكلف وجه الحساء وقد عرفت منذ صنع المرب في القرن السابع عشر والكلف من الظاهرات الشمسية التي استرعت انتباه الانسان قديماً وأمضت عقله في فهمها وتفسيرها . فقد جاء في بعض كتب الصين ان كلفاً رؤيت بالعين المجردة سنة ٣٠١ ب . م وفي القرن السابع عشر عني بها غيليو فرصدها ورسمها وقد قادته رؤيتها الى القول بان الشمس جسم متغير منكرأ بذلك القول السائد حينئذ وهو ان الشمس جسم منزه عن التغير والتحول . وقد كتب غيليو حينئذ الى احد اصديقائه : « يلوح لي ان هذا الكشف سيكون جنازة القول بثبوت السماوات »

وقد كان غيليو عالماً حقاً فرصده الكلف وراقب حركتها وانتقالها على وجه الشمس ولكنه لم يتمكن من فهم طبيعتها وأسبابها . الا ان بعض الباحثين ذهب الى ان الكلف أجسام جامدة مظلمة تدور حول الشمس فتحجب ضياءها الباهر عند ما تتوسط بين الشمس والراصد . أي انها من قبيل كسوف الشمس بتوسط القمر بيننا وبينها . وتصورها فريق آخر سحجاً من الدخان الكثيف منطلقة من براكين على سطح الشمس . وقال فريق ثالث انها غيوم في جو الشمس . ومن أغرب ما قاله بعضهم في هذا الصدد ان الكلف ليست الا قن جبال على سطح الشمس تنكشف حيناً فتراها ثم تعمها مادة الشمس المصهورة فتحجب عن الانظار . حتى ان السر وليم هرشل الفلكي العظيم ذهب مذهباً غريباً في تعليلها اذ قال ان الكلف مانراه من جسم الشمس البارد عندما ينفرج الجو المحيط به قليلا في بعض الاحوال الخاصة . وقد كان يعتقد ان الشمس جسم بارد مخفي وراء غلاف من الغازات فكتب انه يحق له اعتماداً على المبادئ الفلكية أن يقول أن الشمس عالم صالح للسكنى

وقد كان هايل الاميركي احد علماء العصر الحديث الذين استهواهم البحث في هذه الكلف مع انها تبدو في ظاهرها خارجة عن نطاق العلم . ولكن كارل بيرسن قال : حيث نجد اقل امل في الوصول الى معرفة فثمة مجال العلم . وكان هايل على هذا الرأي . فعمد

الى جهازه الجديد — المصوّرة الطيفية الشمسية — والى باحث شاب كان قد انضم اليه يدعى « فردينان اليرمن » فصور الشمس به الوف الصور وكان ذلك في مرصد يركيس حيث كان هايل مديراً له

كان هايل قد صور وجه الشمس في ١٢ يناير سنة ١٨٩٢ فتبين في الصورة ألسنة مندلعة من غاز الايدروجين وبقعاً شعاعاً لامعة من بخار الكلسيوم . ولكن هذه البقع بدت وكأنها تحت السطح لا عليه اي انها كانت اقرب الى الطبقة الاولى التي يتألف منها غلاف الشمس فدعاها « فلو كيولي » وهو لفظ لانيي يعني بقعاً مشعثة ككتلة من الزغب او الندف ثم انه رأى في الصورة نفسها بقعاً قائمة هي البقع التي يطلق عليها اسم « الكلف » فسأل هايل نفسه : « هل بين البقع الشعث اللامعة والكلف علاقة ما ؟ »

اخذ الصور المتعددة التي صورت في مرصد يركيس فرأى فيها تفصيلات لم يرها قبلاً ثم صور طائفة أخرى من الصور بمرصد جبل ولسن فتبين ان الكلف والندف وجهان لاعاصير او زوابع كهربائية مغناطيسية تتور في الغازات التي في طبقات الشمس العالية . وقد رصدت هذه الكلف رصداً منتظماً خلال الثلاثة القرون المنقضية ، وعينت مواعيد كثيرتها وقتلتها ، فكشف طول دورها ، وقد دونت الدورات العشرون الاخيرة منها تدويناً علمياً ان اشد العلماء تحفظاً متفقون على ان اخص وجوه التغير في نطاق الارض المغنطيسي ، توافق مرتبة مرتبة دورة الكلف الشمسية . والارصاد المدونة في خلال القرنين الماضيين تؤيد ذلك . ولكن العلماء لم يعثروا على تعليل هذه الظاهرة الا في مستهل القرن العشرين

مغنطيسية الشمس والارض

ففي سنة ١٩٠٨ ثبت للعلامة هايل ان كلف الشمس مراكز لمناطق مغنطيسية عظيمة مغنطيسيتها اقوى جداً من مجال الارض المغنطيسي . وظل المفتاح الثاني الى حل هذا اللغز مطوياً الى ان تقدمت الاذاعة اللاسلكية . ففي بدء العهد اللاسلكي كان الرأي ان الامواج اللاسلكية تسير في خطوط مستقيمة فلا يمكن ان تلتقط على مسافات بعيدة عن محطات الاذاعة لان تحذب سطح الارض يحول دون ذلك . ولكن مر كوني اثبت بتجربته البديعة التي قام بها سنة ١٩٠١ ان تحذب الارض لا يحول دون التقاط الامواج اللاسلكية المذاعة من اوربا بأجهزة قائمة على سواحل اميركا

وعندئذ عمد العلماء الى محاولة تفسير ذلك . فقال العالم كينيلى الاستاذ بجامعة هارفرد انه يعتقد ان في مناطق الجو العالية طبقة من الهواء مؤينة اي تكثر فيها الايونات او الشوارد بفعل اشعاع الشمس ، وانها لذلك تـلـمـح ان تكون بمثابة عاكس يرد الى سطح الارض الامواج اللاسلكية المنطلقة في الفضاء . والظاهر ان العالم الانكليزي هيفيسيد خطر له الخاطر نفسه على حدة واعلن رأيه بعيد ما اعلنه الاستاذ كينيلى . ولذلك تدعى هذه الطبقة في عرف المهندسين اللاسلكيين باسم طبقة كينيلى هيفيسيد

وقد اكتشفت طبقة ثانية وثالثة من هذا القبيل فوق طبقة كنيلى هيفيسيد وبها تفسر الاصداء اللاسلكية . فاذا جمعنا بين ما يعرف عن الناحية المغنطيسية من طبيعة كلف الشمس ، وما يعرف عن كهربة جو الارض في طبقاته العالية ، تمهد لنا السبيل لفهم الاضطرابات المغنطيسية في جو الأرض وكيف تتبع في سيرها اضطراب جو الشمس . وقد اثبت العالم النرويجي الدكتور ستورمر ان الاضواء الباهرة الملوثة التي تظهر في المناطق الشمالية من الارض وتعرف باسم الشفق القطبي الشمالي يمكن تفسيرها بدخول كثير من الدقائق المكهربة جو الارض عند حدوث الشفق

ثم عنى الدكتور أبت Abbot احد علماء المعهد السمثسوني الاميركي بقياس قوة اشعاع الشمس سنين متوالية ، في اميركا وغيرها من البلدان كشيلى وجنوب افريقية معتمداً على اجهزة دقيقة كل الدقة فتبين له ان مقدار الحرارة الذي يتصل بالارض من اشعاع الشمس يقل قلة ظاهرة عند ما تكون كلف الشمس على اقلها . وان هذه القلة لا تلاحظ في مكان دون آخر بل في جميع الامكنة التي انشئت فيها محطات لهذا الغرض . ويقابل هذا ان مقدار الحرارة المتصل بالارض من اشعاع الشمس يزيد عند ما تكون الكلف على اكثرها وأشدها نشاطاً ، ويتفاوت مقدار الحرارة بين القلة والزيادة من ٣ الى ٤ في المائة

ومن أعجب ما يتصل بهذا الموضوع مبيناً علاقة كلف الشمس بالفصول الجافة والمطرة على سطح الارض بحث قام به الدكتور دوغلاس في جامعة اريزونا الاميركية . فقد قضى الدكتور دوغلاس حياته في دراسة الحلقات البادية في قطوع جذوع الاشجار . ولا يخفى ان كل حلقة منها تمثل مدى نمو الشجرة خلال سنة واحدة . فوجد ان هذه الحلقات غير متساوية في تحتها فصنع جدولاً بها وقابل بينها وبين الجداول التي دونت فيها الظواهر الجوية فوجد من دراسة ألوف الاشجار بهذه الطريقة ان سنوات الجفاف والمطر في الجانب الجنوبي الغربي من الولايات المتحدة الاميركية ، تسير وفقاً لدورة الكلف الشمسية . فكانت تلك الاشجار العالية في اميركا كانت صفحة من صفحات الطبيعة دونت فيها دورة الكلف قبل ان يستبطن المرقب

وقد كانت الموافقة بين ثخانة الحلقات ورقتها من ناحية وكثرة الكلف وقلتها من ناحية أخرى ، تامة من عصرنا الى أواخر القرن السابع عشر . ولكن التوافق زال في السنين السابقة لذلك مدى قرن تقريباً اي ان توالي الحلقات واختلاف ثخانتها لم يوافق موافقة دقيقة ما هو معروف عن دورة الكلف الشمسية ومدتها المعروفة بوجه عام . فقال دوغلاس الى الظن بان نظريته غير صحيحة . ولكن في سنة ١٩٢٢ كتب اليه الاستاذ موندر الى بانه كشفت مدونات فلكية ثبت منها ان الكلف كانت قليلة جداً في الفترة الواقعة بين ١٦٤٥ و ١٧١٥ فعاد دوغلاس الى تطبيق نظريته على حلقات الاشجار فوجد فيها ما يؤيدها

ومع ان الاستاذ دوغلاس ربط بين ثخانة الحلقات وجفاف الجو او رطوبته فلا يستبعد ان تكون هنالك عوامل اخرى تؤثر في نمو الاشجار او قلة نموها تتسق مع الجفاف او الرطوبة

كالفاوت في مقدار اشعاع الشمس ونسبة ما فيه من الحرارة والاشعة التي فوق البنفسجي وغيرها من عوامل النمو
فالشجرة يمكن ان تحسب نموذجاً عضوياً لتأثير الشمس في الاحياء على سطح الارض

تجارب طريقة

هذا الموضوع ، اي تأثير الاشعة المختلفة في نمو النباتات ، من الموضوعات التي يعنى بها الآن عشرات من العلماء في معاهد مختلفة كالمعهد السمثسوني بوشنطن ، ومؤسسة مايو في مدينة روتشستر (ولاية مينسوتا) ومعهد بويس طمس للبحث النباتي في ضاحية يونكرز بنيويورك ، وقد جربت تجارب متنوعة غرضها ان يكشف كيف تستجيب النباتات في اثناء نموها لامواج مختلفة من الاشعاع . فقد ظهر مثلاً ان تعريض بزور الخس لضوء الشمس قبل بذرها ضروري لا تناسها اما التفاح فيمكن انضاجه بزيادة قوة ما يوجه اليه من الاشعة التي فوق البنفسجي ، وعلاوة على تبكير نضجه تكتسب قشرته بريقاً وردياً جميلاً

اما تأثير الاشعة التي فوق البنفسجي في الوقاية من الكساح وعلاجه ، فاشهر من ان تبسط فيه في هذا المقام . ولا يبعد ان يكشف البحث لنا عن صلة وثيقة بين قوام ضوء الشمس المتصل بالارض والفيتامين (د) المقاوم للكساح في بعض النباتات . ومما يرجح هذا الرأي ان النباتات التي لا قيمة لها في مكافحة الكساح تكتسب هذه الصفة بتعريضها للاشعة التي فوق البنفسجي . ثم ان تعريض بعض النباتات للاشعة التي فوق البنفسجي مدة لا تزيد على دقيقتين ينشأ عنها زيادة في مقدار الرمد والكلسيوم والفسفور في اوراقها ولكن طائفة كبيرة من النباتات لا تتأثر بالاشعة على المتوال المتقدم . فالكرب وهو نبات لا فائدة منه في مقاومة الكساح لا يتولد فيه الفيتامين المقاوم للكساح بتعريضه للاشعة التي فوق البنفسجي . يقابل هذا ان نوعاً من البرسيم الاميركي الذي ينمو في الحقول يتصف بهذه الصفة ولكنه اذا نما في حظائر مظلمة كان خالياً منها

ولا يستبعد ان يكون للاشعة التي فوق البنفسجي — وقد قيس قياساً دقيقاً وظهر انها تختلف باختلاف الكلف على وجه الشمس — تأثير يسير في المحاصيل . فهل يتاح لنا في المستقبل ان نعرف القيمة الغذائية والصحية في المحاصيل التي نزرعها ونجنحها ، وكيف تختلف باختلاف العوامل الطبيعية ؟ ثم اننا لانعلم شيئاً الآن عن العلاقة بين قوام ضوء الشمس من الاشعة المختلفة ، والفيتامينات المتنوعة اللازمة لصحتنا وهنأنا

ومما يمكن ان يقال الآن ان علماء الطب قد بدأوا يستشفون صلة بين الفيتامينات التي تتناولها وسلوكنا الفسيولوجي . ولا يبعد ان يكشف في المستقبل القريب او البعيد ان الغدد الصم ، وهي الغدد التي يرتبط بها جانب كبير من حالاتنا النفسية ، تتأثر بالفيتامين الذي في غذائنا ، او الاشعة الشديدة النفوذ التي تصيب الجسم . ومن يدري ، فقد نكشف في يوم مقبل ، ان نفسية الناس ، يتأثر بها التفاؤل والشاؤم ، والاشراق والقتام ، والقوة والخور ، وفقاً لوجوه من التحول في جوّنا ، ترجع في اصلها الى حالة الشمس

التعليم المختلط

للكنوز رسل مولت

عميد كلية الآداب بجامعة القاهرة الاميركية



موضوع التعليم المختلط من افضل الموضوعات للمناظرات العامة . ان سعة نطاقه و كثرة ما يمكن ان يقال فيه تأييداً لوجهيه ، تجعلانه كذلك . حتى في بلدان الغرب ، حيث احرزت النساء أعظم انتصاراتهن ، لا يزال موضوع التعليم المختلط ، مثاراً للجدل والنقاش . وفي الولايات المتحدة الاميركية التي فاقت غيرها من الأمم في الاخذ بهذا النظام ، مازلنا نرى جماعات كبيرة ، تسلم بمساواة النساء للرجال مساواة كاملة ، ولكنها مع ذلك لا تزال متمسكة بوجوب تعليم الجنسين كل على حدة

ويمكن ان يقال بوجه عام ان التعليم المختلط في الغرب ، بلغ اوسع نطاقاً في البلدان الشمالية او الانجلوسكسونية ، وأضيقه نطاقاً في بلدان الجنوب او البلدان اللاتينية . ولعل للاقليم اثرأ في انتشار التعليم المختلط . حتى في البلدان الانجلوسكسونية ، لم تأخذ انكثراً بالتعليم المختلط في مرحلة التعليم الثانوي ، مدى ما اخذت به الولايات المتحدة الاميركية . اما ايطاليا وفرنسا فقير راضيتين عنه . واما روسيا ففي غمار نظام تعليمي جديد وقد جعلت التعلم مختلطاً في جميع مراتبه ان في وسع الباحث ان يخرج من تجريب الغرب لهذا الضرب من التعليم بحقائق وقواعد ، قد تكون اذا عنتها مجدية في معالجة هذه المشكلة التي تعنى بها مصر الآن

اعدت المرأة من خبر التاريخ الانساني ، لتكون والددة الجنس . فكان لهذه المهمة التي القيت اليها ، اثرأ لافرم منه في حياتها . فقد كانت مرتبطة ببيتها وجيرته المباشرة حالة ان الرجل وقع عليه عبء الصيد والقنص والكفاح لتدبير القوت وحفظ الكيان . وبارتقاء الاجتماع الانساني ، زادت مهامها داخل البيت ، كأعداد الطعام واللباس تلاوة على حمل الاطفال وتربيتهم . وكذلك حددت وظيفة المرأة البيولوجية نوع عملها في البيت . ولكن كرا الاغوام والقرون ، وتأصل العادة والتقليد ، اسبغا على عمل المرأة هذا ، سمة القانون المنزل ، بدلا من ان يحسب نتيجة الاحوال الاجتماعية التي نشأ فيها ومنها . وقد روي عن زوج

يوناني في أيام سقراط القول التالي وجهه الى زوجته : ان الآلهة قد سوت طبيعة المرأة بحيث تقوم بعملها وتمهض ببعثاتها داخل البيت وسوت طبيعة الرجل ليقوم بعمله وينهض ببعثاته خارجة فليس بالمستغرب اذاً ان يهمل تعليم الفتيات ، حتى بعد ان نظم تعليم الصبيان في المجتمع . بل كان من الطبيعي ان يظن ان الفتاة في الاجتماع البشري البدائي تستطيع ان تتعلم كل ما هي في حاجة اليه ، وهي في دارها

فمن الناحية التاريخية ، نظم نصيب الدولة في شؤون التعليم لاجل الصبيان اولاً . اما تنظيم نصيب الدولة في تعليم البنات ، فقد جاء متأخراً ، بعد ان ظل زمناً من شأن البيت والكنيسة . فكان النتيجة ، ان انشئت اولاً مدارس وكرليات للصبيان والشبان فقط . ففي الولايات المتحدة الاميركية ظل تعليم البنات في بعض المدارس ، غير مسلم به ، حتى العقود الأخيرة من القرن التاسع عشر . وفي ألمانيا لم يسمح لهن بالانتظام في الجامعات حتى سنة ١٨٩٥ وعندئذ اذن لهن في سماع المحاضرات فقط اذا سمح بذلك الاساتذة . ولم تنشأ كليات للبنات في جامعة كمبردج الا سنة ١٨٧٢ وظلت جامعة اكسفورد تأبى منح الرتب العلمية لهن حتى سنة ١٩٢٠ فلما اعترف للبنات في بعض البلدان ، بأنه يحق لهن ان ينلن نصيباً من التعليم الذي تهيمن عليه الحكومة ، ظهر ان المعاهد الوحيدة القائمة هي معاهد لتعليم الصبيان والشبان ، فكانت المطالبة باتاحة فرص التعليم للبنات ، وكأنها مطالبة بالتعليم المختلط . فاما ان تنظم الفتاة في احدى مدارس الذكور وأما ان تسد في وجهها سبل التعليم . وكانت نتيجة المطالبة ، بتعليم الفتاة ، ان فتيات كثيرات ، انتظمن في النظام المدرسي الحكومي ، في مراتبه المختلفة والادوار التي اجتازتها مشكلة تعليم الفتاة في الغرب ، تتجاوزها مشكلة تعليم الفتاة المصرية الآن ولما كانت معظم البلدان التي أخذت بجانب من التعليم المختلط ، او به كاملاً ، قد فصل بين الدين والدولة ، في النظم السياسية ، فالتعليم المختلط في هذه البلدان ليس خاضعاً بوجه من الوجوه ، لمقتضيات التعاليم الدينية ونواهيها . فليس في أوروبا او اميركا ، مرب واحد يحاول ان يقيم الحجة ، على وجوب فصل الاناث عن الذكور في التعليم ، لان النواهي الدينية تقضي بذلك . ولكن يقابل هذا ان فريقاً من المربين في الغرب ، يعترض على التعليم المختلط ويقيم أدلته على ما يلاقيه من المصاعب الادارية والعملية . ويواجه هؤلاء فريق آخر يؤيد نظم التعليم المختلط لما يجنى منه من الفوائد الاجتماعية والاقتصادية ليس ثمة ريب في ان الولايات المتحدة الاميركية ، أكثر الامم أخذاً بنظام التعليم المختلط . فالاميركيون يؤمنون به كل الايمان ، ولذلك تجدهم اخذوا به في جميع مراتب التعليم الاولي والابتدائي والثانوي والعالى بما فيه تعليم الحرف والصناعات والفنون . ومع ذلك لا تزال بعض الجامعات الاميركية العظيمة ، كجامعات يابل وهارفرد وبرنستون مقتصرة على الشبان فقط ، حالة ان طائفة من أهم الكليات الاميركية ككليات فسار ورن مور وسمث مقتصرة على الشابات فقط . الا ان جميع جامعات الدولة ، في الولايات الثمانية والاربعين اخذت بنظام التعليم المختلط ما عدا واحدة منها

وفي مقدمة الأدلة التي يوردها المعارضون على التعليم المختلط في أميركا (١) ان تعليم البنات والشبان معاً يجعل من المتعذر على القائمين بشؤون التعليم ، ان يفرقوا تفريقاً طبيعياً بين دروس الجنسين ، وفقاً لاستعداد كل منهما وحاجاته . فهذا الدليل قائم على ان التعليم ليس مجرد تدريب عقلي يصلح للفتيان كما يصلح للفتيات بقدر واحد ، ولكن التعليم في نظرهم اعداد الافراد بما يلزم لهم من الآراء ووجوه التمرين والدراسة للقيام بما يطلب منهم في المجتمع . فهذا الرأي يفرض ان ما تحتاج اليه الفتيات من الناحية الاجتماعية ، غير ما يحتاج اليه الفتيان . (٢) ويقول المعارضون في أميركا على التعليم المختلط ، ان الجنسين يجب ان يفصلا في دور المراهقة حتى يستطيع كل جنس ان ينمي على حدة الصفات التي يتميز بها والتي ركبتها الطبيعة فيه . فالتعليم المختلط في مرتبة التعليم الثانوي قد يحول بوجه عام دون اكتمال الخصائص الانثوية في الفتاة وصفات الرجولة في الشاب . ولما كانت الفتيات اسرع الى البلوغ من الصبيان فمن الواضح ان الصبيان في أميركا لا يرغبون ان ينافسوا البنات في مرتبة التعليم الثانوي ، لان البنات يفقهن نشاطاً عقلياً وثقة بالنفس . ومما يزيد في هذا الشعور ان البحث الاستقرائي اثبت بعض الشيء ان البنات في هذه المرحلة من مراحل التعليم ، يقبلن على اعمالهن المدرسية بهمة تفوق همة الصبيان ، ولعل ذلك ناشئ عن رغبتهن في اثبات جدارتهن بمساواة الجنسين ، فيبذلن من الجهد في دروسهن ما يجعل الامتياز المدرسي معقوداً بلواهن على الغالب . وهذا بحكم الطبع يعزز في الصبيان شعورهم بتفوق البنات عليهم وقد يفضي الى تأثير نفسي يصعب استئصاله في ما بعد

اما حجج المؤيدين للتعليم المختلط في أميركا ، فأهمها (أولاً) ان التعليم المختلط في جميع مراحل — الا في المدن الكبيرة — ادعى الى الوفرة والاقتصاد . (ثانياً) من شأنه بث الروح الديمقراطية والمساواة بين الجنسين (ثالثاً) انه يعزز روح المنافسة الشريفة والتعاون بين الجنسين ، وهي روح لا بد من تعزيزها لمواجهة مشكلات الحياة بعد عهد الدراسة . (رابعاً) انه يبذل في رفق الاوهام التي تحيط علاقة الجنسين احدهما بالآخر ، وتقيم هذه العلاقة على اساس خال من الكلفة وهو ما تقتضيه احوال المجتمع الحديث في الاعمال والحياة الاجتماعية . هذا ما يمكن ان يقال وجه عام عن آراء المؤيدين للتعليم المختلط والمعارضين فيه ولكن التعليم المختلط في معاهد التعليم العالي ، لا يحتمل جدلاً في نظر الفريقين . ذلك انه من المتعذر انشاء جامعات خاصة بالشبان واخرى خاصة بالشابات ، لان مهمة انشاء الجامعة والاتفاق على اعدادها وجمع طائفة من الاساتذة الممتازين ليس بالعمل السهل ، علاوة على كثرة ثقلاته . فقد جاء في دائرة معارف التربة ما يلي : «اما في ما يتعلق بالتعليم الجامعي ، فمن الواضح ان ابواب المعاهد العالية تفتح للنساء عندما تستند مطالبتهن بذلك لأن التعليم المختلط هو السبيل الوحيد لاتاحة هذه الفرص للنساء . ان نفقات التعليم الجامعي تجعل انشاء جامعات خاصة بالنساء امراً متعزراً تقريباً »

الصحافة وأثرها

في النهضة القومية

محاضرة الدكتور ~~بهنسمر~~

عميد كلية الصحافة بجامعة سيرا كوز بأمريكا والاستاذ
الرائر بقسم الصحافة بجامعة القاهرة الاميركية

سيداتي سادتي : تشيد الامم الحديثة مجدها على دعائم خمس هي — زعامة دينية رشيدة وقادة محنكون في شئون التربية واساطين في فنون المال وقضاء عادل وصحافة نزيهة . لقد ذكرت الدين في مقدمتها لانه اساس الخلق المتين ومن بغير الخلق المتين يتسنى له ان يحكم الشعب واية امة كسرت شوكة الاخلاق فيها تستطيع ان تحافظ على كرامتها ومجدها بين الامم الاخرى . يحدثنا التاريخ القديم ان مصر بذت اعم العالم يوم كان الدين فيها قوياً ثم تدهورت من سماء عليائها حين انهارت اركانها وتهدمت دعائمه . اما قادة التربية فلا غنى عنهم لنقل تراث امتهم العقلي من السلف الى الخلف وهم اذا قصرُوا في مهمتهم اسرعت شعوب اخرى فنشرت في بلادهم مدارسها واساليب التربية فيها وفرضت عليهم ثقافتها ومدنيتها فتقطع حينئذ الصلة بين حاضر الامة وماضيها ولرجال المال المحنكين والمصارف المالية اعظم شأن في ازدهار التجارة وانباء الصناعة والقيام بالمشروعات الاقتصادية التي تقف على نجاحها سعادة الامة المادية والامة التي لا تستطيع تمثيل اموالها وتدعيم سياستها الاقتصادية هي امة ضعيفة يعاني اهلها شظف العيش ومذلة الفقر والهوان وما احوجنا الى قضاء عادل يفقه التشريع ويطبق القوانين تطبيقاً يضمن العدالة لجميع افراد الشعب على اختلاف طبقاتهم ومذاهبهم فلا يرهب رجاله القوة ولا يعمي المال بصائرهم وانما يضعون القانون فوق زعائم الشخصية بل فوق كل اعتبار آخر وبذلك تتضاعف ثقة الشعب في زاهة حكومته والخطر كل الخطر في ضعف ثقة امة بحكومتها . اما الصحافة النزيهة فمهمتها عظيمة ومسئوليتها خطيرة فهي تضع امام الوطنيين صورة جليلة من حقائق الحكم وما ينبغي ان يكون عليه اتجاههم نحو هذه الحقائق وتوضح المسائل القومية العامة ومدى اتفاقها او تعارضها مع الرغبات الخاصة للشعب افراداً او جماعات وتبين مدى تأثير المشكلات الداخلية وارتباطها بالحركات العالمية ان مكانة الصحافة في بناء النهضة القومية لاي بلد ترتكز على مسؤولية مزدوجة: مسؤولية

الامة ومسؤولية الصحافة نفسها. فمسؤولية الامة نحو الصحافة هي ضمان الحرية لها لنشر جميع الاخبار من كل نوع يهتم المجتمع الوقوف عليه سواء في ذلك الاخبار المحلية او القومية او الدولية نشرها دون قيد ولا شرط وما من شك في ان اي تحديد حرية النشر يضعف من ثقة الامة في الصحافة والحكومة معاً — الصحافة الناشرة والحكومة المقيدة . وقد لا يظهر الاثر في هذه الثقة بعد عام او حيل ولكنها اخيراً لا بد ان تنهار وتهدم . اقول اخيراً لاني اتحدث هذا المساء عن التهضات القومية وهي لا تمتد الى شهور وسنين فقط بل الى قرون . فالام العظيمة تضع خطتها وترسم سياستها مقدماً لعدة اجيال . اما ما يسمونه اليوم بمشروع الخمس السنوات فهو خيط واه في نسيج تقدم الامة

وقد قال ابراهام لنكن قولاً ماثوراً أصبح مثلاً في الولايات المتحدة الاميركية وهو « قد تستطيع ان تخدع بعض افراد الشعب طول الزمن وتستطيع ان تخدع جميع الشعب ربحاً من الزمن ولكنك لن تستطيع ان تخدع كل الشعب طول الزمن » . فانه لا بد ان يأتي وقت يعرف فيه الشعب ان الصحافة لا تنشر من الاخبار الا ما يرضي الحكومة او ما تخدع به طبقة خاصة من طبقات الشعب او حزباً معيناً او مذهباً خاصاً وعندئذ تنهار قوة هذه الصحيفة كعامل في بناء النهضة القومية . واني اكرر قولي واحذر من ان تقف الصحيفة جهودها على خدمة طبقة خاصة او حزب معين او مذهب خاص لان حرية الصحافة قد تبنيها الحكومة ولكن يقيدوها الشعب . فان الصحافة التي يتعرض محرروها لسخط العامة وتعرض دورها لمهاجمتهم لانها تنشر مقالات او اخباراً قد تتعارض مع رغبات ذلك الحزب او هذا المذهب فانها لا تعد من الصحافة الحرة ولكنها تعد مغولة مقيدة

قال الرئيس ولسن ان اخبار اليوم هي غذاء الرأي العام وهذا الغذاء ضروري لجميع طبقات المجتمع لنماء عقولهم واعداد مكائهم فوق صرح النهضة القومية ومصدر هذا الغذاء هو الصحافة الاسبوعية واليومية فان الاخبار التي ينشرها المذيع هي بعض ما تنشرها تلك الصحافة . فمن الواجب ان يقدم الغذاء كاملاً نقياً . ان الصحافة التي تعتمد على هيئات خاصة وتتقيد برغباتها لا تستطيع آداء مهمتها في النهضة القومية . واذا ما منحت الصحافة حريتها كاملة وجب عليها ان تبذل كل جهودها في سبيل خدمة الهيئة الاجتماعية والامة خدمة حقبة تكفيها ما هيء لها من مسالك معبدة . واخص واجباتها هي خدمة الجمهور الذي يقرأ اخبارها وموالاته جهودها لمصلحته وكما ان اخص واجبات رجال القضاء خدمة العدالة وعلى اساسها يفصلون في جميع القضايا فأتم واجبات الصحافة اسعاد المجتمع وعلى قدر ما تبذله من جهود في هذا الشأن تقدر منزلتها وقيمتها وعلى هذا يجب ان تعتبر الصحافة نفسها معهداً للخدمة العامة

وغير خاف ان كثيراً من المحررين قد لا يتسنى لهم الوصول الى المثل الاعلى الذي تتطلبه الصحافة ولكن ذلك لن يقلل من مسؤولياتهم نحو المجتمع فان في كل مهنة رجالاً قد لا تفخر بهم حرفتهم وليس ذلك في صناعة دون الاخرى بل في كل طبقة حتى في رجال الدين انفسهم وفي رجال القضاء والتربية . ولا أردد ان اقول ان في خدمة الحكومة رجالاً لا يهمهم شي الاكثر من تناول مرتباتهم . وهناك فرق بين المحرر وبين غيره من الناس . لان خطأ المحرر مشهور ظاهر للعيان . وقد قيل ان رجال الدين اذا اخطأوا يستغفرون الله فيغفر لهم والمحامي قد يستعين بمنطقه وجداله للتخلص من خطأ وقع فيه . وكذلك المدرس والطبيب ففي قدرة كل منهم ان يعمل من الحيل ما يستبرئه خطأه . ولكن المحرر اذا اخطأ ظهر خطؤه واضحاً امام الناس وثبت في نفوسهم . فالمحرر مهما اوتي من الباقية وحاول ان يستر خطأه او يرأب صدعه يستحيل عليه ان يخدع القارئ ومهمة الصحافة في النهضة القومية ان تتناول توضيح شئون الامة لنفسها كي تتخذ خطة قومية حيالها ثم هي تقوم باظهار حقيقة امثها امام الامة الاخرى ثم تظهر حقيقة الامة الاخرى امام الشعب الذي تقوم على خدمته . وقد يكون التوضيح بطريقة مباشرة فتسجيل الحوادث الهامة يومياً ولن تنفج جهود الصحفي على هذا التسجيل فحسب بل يجب ان يوضح بقلمه علاقة الحوادث بعضها ببعض . اكثر صحفنا يؤدي خدمة جليلة بتسجيل الحوادث المحلية وتوضيحها للشعب بفضل الصحافة والمذيع الذي يستقي اخباره من الصحافة يوقف الشعب على كل ما يحدث في امته . وها هي مصر اليوم في نهضتها القومية مدينة بشعلة حماسها الوطنية التي تبهر بصر كل زائر لبلادكم مدينة للصحافة التي لم تأل جهداً في اذاعة الاخبار لانهارة الرأي العام واثارة الحماسة الوطنية الى درجة لم تعرف من قبل . ويقلل من فضل الصحافة التي تنعكس على مرآتها صفحة الشعب للحكومة والحكومة للشعب عيب واحد وهو ان من يريد الوقوف على دقائق الأمور لا تكفيه صحيفة واحدة ولكنه في حاجة الى قراءة صحف عدة وهذا كما نعلم يحتاج الى تعديل في الصحافة ليكتفي القارئ بصحيفة واحدة . والصحافة مهمة اليوم بكثير من العيوب منها اثاره الرأي العام وعدم الدقة في كشف الحقائق والمغالاة في نشر حوادث الاجرام غير ان النقد الذي يوجه اليها بحق ناشى عن حزبية أكثرها وما تقرضه هذه الحزبية من أثر في رواية الاخبار وكتابة المقالات وكل ما تنشره من الشئون السياسية . من المشاهد ان الصحف التي توالي الحكومة لا تظهر أي خطأ في أعمالها فجميع أخبارها تحميد لسياستها وكل مقالاتها مدح واطراء لها . ومن جهة أخرى نجد الصحف المعارضة للحكومة لا ترى شيئاً حسناً في كل ما تقوم به الحكومة فجميع أخبارها السياسية موجه ضدها وكل مقالاتها حملات منظمة عليها . لهذه الحملات العدائية وما تتطوي عليه من مجرّح غير عادل للزعماء السياسيين نتيجتان : —

الأولى أنه قد يأنف كثير من ذوي العقول الفذة والمقدرة النادرة عن الاشتغال بالمسائل العامة وخدمتها فإن هؤلاء السادة لا يتحملون الهجوم اليومي على أشخاصهم والتدخل في كل كبيرة وصغيرة من شئون حياتهم بل والخوض في أخص حياة أسرهم والتعريض بها أمام جمهور قد يكون مريضاً. نحن نعرف رجالاً ممتازين كانوا يودون أن يقفوا حياتهم على خدمة وطنهم ولكن مغالاة الجرائد في مناصبتهم العداء حالت دون تحقيق أمنيتهم. وهناك عيب أكثر خطراً وهو محاولة هدم ثقة الشعب التي يوليها زعامته الوطنية وحكومته النيابية. فكم من حرب ضروس شنها الصحافة المعارضة على رجال الحكم وكان من نتائجها إضعاف ثقة الشعب في زعمائهم حتى ليعتقد رجل الشارع أن كل هم رجال الحكم إنما هو الاستيلاء على مرتباتهم في آخر كل شهر واستغلال مناصبهم لكسب شخصي لا يقره القانون.

لقد أنشأت عدة جرائد صغيرة في أوقات مختلفة وكان مبدئي في تحريرها أن تكون مستقلة عن جميع الأحزاب فكانت امتدح الرجال وأشد أزرهم لمجرد نزاهتهم وقويم مبادئهم وليس لانتمائهم لأي حزب مهما كان لونه. واني حين كنت أخوض معركة انتخابية اخفق فيها من أعضاده — ومن الحق أن أقرر أني طالما خسرت في هذا السبيل — فاني كنت أحذر جرائدي من مهاجمة ذلك الموظف المنتخب الذي كنت أعارض في انتخابه ما لم يأت عملاً لا يقره القانون وتتوافر لدي أدلة لا تقبل الشك في أنه إذا قدم للمحاكمة تثبت أداته. هذه الحطة تؤلف بين أبناء الأمة وتوحد صفوفهم وإذا ما تحدثت أمة حول رجال الحكم فيها فانه لن يسهل على أحد أن ينال منها أو يتعجل الحوادث أو يدعي النبوءة بنتائج ما قد تقوم به السلطة الادارية او التنفيذية من اعمال ان الصحافة في مجموعها تحسن أداء واجبها عند توضيح علاقة المسائل الدولية بالمسائل الوطنية وما يتصل منها باعمال جمهور قارئها غير أنه كثيراً ما تنشر الجرائد اخباراً لا قيمة لها مما يحدث في الممالك الاخرى فيأخذوا لو وجهت جهودها الى الاتجاهات والعوامل الاساسية الوثيقة الاتصال والشديدة التأثير في احوال الأمة او المجتمع. اما عمل الصحافة باظهار حقيقة امثها امام الامم الاخرى فما يزال يفتقر الى كثير من العناية ولست اقصد بذلك صحافة بلد خاص بل صحافة العالم اجمع — وهنا يجمل بي أن أقرر أن صحافة بريطانيا العظمى قد تقدمت مثيلاتها في العالم في توضيح حقيقة شعبها لشعوب الممالك الاخرى. نعم نعتوا الجرائد الانكليزية بانها «جرائد دعاية» فحسب ولكن هذه تسمية لا تنطبق على الواقع فإنها صحافة وطنية سامية استطاعت أن تنشر للعالم اسمي ما في البلاد البريطانية من مثل عليا وافكار ناضجة

لوسئلت عن الخدمات الجليلة التي تستطيع الصحافة المصرية ان تؤديها في بناء مجدها القومي لفات بلا تردد ان اعظم مجهود لها يؤتي اطيب الثمر يجب ان يوجه الى جعل مصر الحديثة

معروفة للعالم بحقيقتها . واني لا استطيع ان احكم على مدى معرفة الدول الاجنبية غير الولايات المتحدة الاميركية للبلاد المصرية لاني لم اعش طويلاً خارج بلادي اما عن الشعب الاميركي فان مصر الغابرة او مصر كما كانت ، معروفة حق المعرفة ، غير ان مصر الحديثة او مصر كما هي اليوم ، فمعرفة القوم بها ضئيلة . لمصر شهرة عظيمة لمجدها الغابر اما مجدها الحاضر فاني اخشى ألا يكون كذلك . لقد جعلت مصر اليوم نفسها مسرحاً ومرتأة لامسها ، اما يومها فاصبح مجهولاً لم تره العناية حتى يضح للعالم بروثقه الجديد

فالرجل العادي والمرأة العادية في اميركا لا يعرفان عن مصر سوى انها بلاد الاهرام واني الهول وقبور الفراعنة ينحدر فيها نهر نحو الشمال فيغمر الارض سنوياً بمائته متجهاً الى البحر وعلى هذا فمصر مملكة تستهوي السائح بضعة ايام يجول في ربوعها ويطوف في ارجائها ليعود وجيو به عامرة بالجارارين والتائم وعلى حقيقة سفره بطاقة النزل دليلاً على انه زار الارض التي هرب منها بنو اسرائيل . فالاميركي العادي لا يعلم ان مصر بلاد لا مطر بها في بعض المناطق يسودها الجو المعتدل جل العام — وهو يجهل انها تنتج اجود انواع القطن ذي الشعرة الطويلة الممتاز في العالم — وهو لا يعرف فواكمكم وخضركم التي لا مثيل لها والتي تبدو لكم شيئاً عادياً — وهو لا يدرك ان مصر خير منتج لقضاء العطلات وانهما انسب مكان لاقامة ملعب عالمي في الشتاء . فالاميركي الذي لا يعرف هذه المحاسن لا يزور مصر في الشتاء ويؤثر ان يذهب الى إنجلترا او جنوب فرنسا وايطاليا او اسبانيا . واني شخصياً لا سف على انني عشت نصف قرن قبل ان ازور مصر لأول مرة . فاذا استطاعت صحافة البلاد ان تجعل من اهم اغراضها تبيان المكانة الممتازة التي تتبوها مصر الآن وما لها من مجد وحضارة رائعة واذا استطاعت ان تصور كل ذلك امام العالم تصويراً بارعاً فانها اذن تساهم باوفر نصيب في النهوض بهذه البلاد

واخيراً اود ان ابين لكم ان مقام الصحافة السامي انما يتركز على ثلاثة اركان
اولاً — توجيه الرأي العام وذلك بالتعبير عن رغباته . ثانياً — عرض التطورات العالمية على الشعب خصوصاً كان له اثر مباشر في الاحوال المحلية فديستفحل بمرو السنين . ثالثاً — عرض صورة لافراد الامة وشعبها وحاصلاتها امام العالم

فاذا اردتم ان يكون في الامة شعب مستنير فلا بد ان يلم افراد هذا الشعب بالمشكلات الهامة واغراض السياسة . واذا كان لا بد من زعامة رشيدة فواجب السلطات التنفيذية ان تتعرف حاجيات الجماهير وتأثيرات التطورات الدولية في المملكة . واذا كان للمملكة ان تنعم بالرفاهية والرخاء فيجب ان يصور شعبها بالمظهر اللائق به امام اعين العالم لتتجه اليها الانظار وهذا المسلك يتيح الفرصة للصحافة لتأدية رسالتها في النهوض بالامة



عمر بن عبد الله

ابن ابي ربيعة

— ١ —

لجبرائيل جبر

احد اساتذة الادب العربي
بجامعة بيروت الاميركية

دنا موسم الحج عام ٢٣ للهجرة وكان موسماً حافلاً ، فقد كانت خلافة عمر بن الخطاب وكان العرب قد اخضعوا الفرس والروم وغلبوهم على ممتلكاتهم في العراق وفارس وفي الشام ومصر . وكان قد تحدر الى الحجاز سيل كبير من سبي هذه الاقطار فرّق في أهليه وأخذ يقوم لهم في مختلف الاعمال وشرعت وفود الحجاج تؤم بيت الله الحرام قادمة من بلدانها المختلفة يتقدمهم عمال عمر عليها . وكان من سنته فيما يروون ان يأخذ عماله بموافاة الحج في كل سنة فيحاسبهم ويناقشهم في سياستهم ويفسح لرايهم مجالاً لشكايتهم

وانسلخت ايام الحج بهدوء وسلام فتنفّر الناس الى اوطانهم وغادروا مكة الا من آثر البقاء فيها للتبرك بمشاهدتها او العيش في حماها ، وعاد عمر الى المدينة مقر خلافته مع من يمعها من عماله واتباعه وغيرهم من ذوي الحاجات وشهر ذي الحجة لم ينسأخ بعد

وكانت ليلة السادس والعشرين من الشهر نفسه . القمر في اواخره ولم يبق له الا ايام اربعة حتى يولد من جديد وقد وافقت ليلة الرابع من تشرين الثاني فكانت ليلة من ليالي قلب الخريف الثقيلة المظلمة ، وقد رقدت يثرب مدينة النبي في هدوء ذلك الظلام واجمة ساكنة غير طالمة بما خبأ لها من الامر صبح ذلك الليل

هو ذا الفجر ينفس فينفس طيب انقاسه ما حول المدينة من ربي واودية ثم هو ذا هو يتحرك فيبرز أحد ويظهر العقيق وتذب الحياة في ساحات طيبة فيتنفض المصلي والبلاط والبقيع ، وقد نهض الخليفة عمر باكراً الى الصلاة كماداته وأخذ الناس يتهافتون متزاحمين الى مسجد النبي فوكل بالصوف رجلاً حتى اذا استوت تقدم هو فكبر

ودخل في هؤلاء الناس رجل فارسي ، مولى للعفيرة بن شعبة ، لعله لم ينم تلك الليلة ، أو لعله كان يرقب مثل تلك الليلة المظلمة لينفذ في خجرتها جريمته النكراء ، فاستوى في الصف الاول ، ملفع الرأس ، متفكراً ، وقد اتخذ خنجرأ طويلاً له رأسان مقبضه في وسطه ، وهو ذا هو يدبر من صفه ، والخنجر بيده ، حتى يصل الى الخليفة عمر ، فيطعنه ، فيقع عمر وينادي وهو يعالج الموت بان عوف ان يتقدم الناس بالصلاة

مات الفاروق وذاع النبا في المدينة فاستسلمت الى حزن عميق ، وانها لفي حزنها وصوت النعي بمقتل شيخ قريش يتردد في كل بيت من بيوتها لينقله الركبان الى سائر انحاء الجزيرة والعالم العربي ، اذا بصوت البشير في بيت صحابي اسمه عبد الله ابن ابي ربيعة يؤذن بولادة صبي له . قالوا فسمي الصبي باسم الخليفة المقتول وكسى كنيته . وذكر هذا الاتفاق لبعضهم فيما بعد فقال : « أي حق رُفع وأي باطل وُضع »

واذا ميت هذا الصبي الى قبيل فالعرق كريم هو من قريش وما أدراك ما قريش . قريش نفر العرب ، واذا نسبته الى عشيرة فالنسب شريف ، مخزوم ربحانة قريش ، بل هو من أشرف فروع مخزوم — بني المغيرة — واليهم كان يحب ان ينتسب

قفي فانظري أسماء هل تعرفينه أهذا المغيرة الذي كان يذكر وعز المغيرة في قريش كلها فكان سيدها وأنجب أولاداً بنح منهم ثلاثة : هشام والوليد وأبو ربيعة . اما هشام فقد عز كما به حتى لقب برب مكة وضرب بياسه المثل وتغنى بمجده الشعراء حتى اذا مات أخذت قريش تؤرخ بوفاته وفيه قيل :

وأصبح بطن مكة مقشعراً كأن الأرض ليس بها هشام
وأما الوليد فقد ساد حتى لقب بالوحيد وزعموا انه أمر وهو صغير على الأكبر من رجال قريش وحكم في عكاظ وأدرك محمداً نبياً فأنكر عليه رسالته وقال : أينزل على محمد وأترك وأنا كبير قريش وسيدها ، فأنزل فيه : « وقالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم » وأنزل فيه مرة أخرى : « ذرني ومن خلقت وحيداً وجعلت له مالا ممدوداً وبنين شهوداً ومهدت له مهيداً ثم يطمع أن أزيد كلاً انه كان لا يأتا غيداً » . وأما ابو ربيعة فكان فارس بني المغيرة قاتل يوم عكاظ برحمن فيما يزعمون فسمي ذا الرحين وقد قال في هؤلاء الثلاثة الشاعر متعجباً بمجدهم :

وبلغ اب بلغت بنا هشاما وذا الرحين بلغ والوليدا
أولئك ان يكن في الناس جود فان ليهم حسباً وجودا
هم خير المعاشر من قريش وأوراها اذا قدحوا زودا

وخلف هشامُ أبا جهل فكان من أشد خصوم النبي هو وابنه عكرمة . فلما وفد الأخير على النبي بعد فتح مكة داخلاً في الاسلام استبشر محمد بقدمه ووثب فيما قال الطبري قائماً على رجله فرحاً بعكرمة وقال : مرحباً بالراكب المهاجر . وقال ابن أبي الحديد : « لم يقم رسول الله صلى الله عليه وسلم وآله لرجل داخل عليه من الناس شريف ولا مشرف إلا عكرمة وهو بعد مشرك ولم يسلم »

وكان من أبناء الوليد عمارة وخالد ، والاخير معروفٌ في جاهليته مشهورٌ في اسلامه . وكان من أبناء أبي ربيعة عبد الله والد هذا الصبي الذي تركناه يتقلب في مهده على فراش وثير في بيت عز وشرف ومنعة وجامر وجود

وبلغ عبد الله من الغنى في جاهليته بحيث زعم الرواة انه كان يكسو الكعبة من ماله سنة وتكسوها فريش كلها سنة اخرى

وكان هؤلاء الخزوميين قد عز عليهم ان يقوم النبي من غير مخزوم فناهضوا اكثرهم واستمر عبد الله في خصومته للنبي حتى فتح مكة فاسلم . ومنه استسلم النبي ليلة حنين ملاً اعاده اليه بعد رجوعه . ثم عينه على الجند ومخاليفها في اليمن وبقي عاملاً عليها خلافة ابي بكر وعمر ، وقد كان وافداً مع الحج عام قتل عمر وكان من الذين استشيروا — غير الستة — في امر الذي يخلف عمر ، وبقي فيما يظهر عاملاً لعثمان طول خلافته ، حتى اذا حوصر عثمان يوم الدار وفد عبد الله من اليمن لنصرتيه ، فسقط عن راحلته ومات وصيها عمر لم يمت الثانية عشرة من عمره . ولهذا فلا نرى في كل المصادر التي بين ايدينا خبراً عن اتصال عمر بوالده . ويظهر ان اخا عمر الحارث وكُل في امر عمر بعد موت ابيهما

اما ام عمر واسمها مجند فقد كانت يمنية من لحج زعموا انها سبية ولعلمهم اخطأوا في هذا . وهناك ما يدعو الى ان يضل الرواة في مثل هذا الامر . ولقد اتصل عمر بأخواله في لحج وزارهم اكثر من مرة . ويخيل الي أن والد عمر قد زوج من مجند اثناء ولايته على الجند ومهما يكن من الامر فقد زعم الرواة ان الغزل اتى عمر من اليمن من ناحية أمه حيث يقال « غزل يماي ودل حجازي » وكان لعمر اخوة احدهم الحارث الذي ذكرنا . وكان من ام حبشية وقد ساهم في سياسة ذلك العصر فكان عاملاً لعبد الله بن الزبير على العراق او بعض مدنه لبضع سنوات . وقد قال فيه عبد الملك بن مروان خصمه : ان أمّاً ولدته لمنجبة . وكان لعمر اخ آخر اسمه عبد الرحمن زوج من بنت ابي بكر ام كلثوم بعد موت زوجها طلحة وهي اخت عائشة ام المؤمنين واخت أساء ذات النطاقين والدة عبد الله بن الزبير وهذا يفسر لنا اتصال عمر بآل الزبير ، وبعائشة بنت طلحة ابنة امرأة اخيه

ولقد زوج عمر من غير واحدة ورزق اولاداً ذكرت الاخبار منهم اثنين صبيها وبناً. اما الصبي فهو جوان وقد نشأ رجلاً صالحاً ضرب بصدقه المثل. واما البنت فقد زوجت من محمد ابن مصعب بن الزبير

﴿نشأته﴾: كم يكابد الباحث في تاريخ رجال القرون الاولى من الغناء اذا حاول درس نشأة هؤلاء الناس وحياتهم ايام صباهم. ويظهر ان القدماء قلما كانوا يعنون في الالتفات الى هذه الامور فلم يكن من همهم شأن الصبي حتى ينبغ او يشتهر بفن او حرب او شعر او حتى يلي او يملك وقلما عنوا ايضاً كما يعنى مؤرخونا اليوم بتدوين سير الرجال في كتب خاصة. فاكثر اخبار رجال التاريخ العربي قد انتثرت بين طيات شتى الكتب. فترى اخباراً عن شعراء في كتب الحيوان واخرى عن رجال الحرب والسياسة في كتب الأدب. غير ان عمر نال من عناية هؤلاء القدماء شيئاً ليس باليسير. فقد كتبت عنه فيما يظهر كتب خاصة قصرت على اخباره. قال ابن النديم: إن عمر كان من الذين عشقوا وألف في اخبارهم وروى ان لابن بسام الشاعر من الكتب كتاب اخبار عمر بن أبي ربيعة. وقال: ولم ارفى معناه ابلغ منه. وروى ايضاً ان للزبير بن بكار كتاباً في اخبار ابن أبي ربيعة، وذكر ان خلسكان ايضاً ان لابن بسام المذكور في التصانيف اخبار عمر ابن أبي ربيعة. وزعم انه لم يستقص احد في بابيه ابلغ منه. ولكن مع الاسف قد ضاعت كل هذه الكتب. ولولا ان ابا الفرج الاصبهاني قد التفت الى عمر فأفرد له في «أغانيه» قدراً لم يفرده لشاعر آخر او ملك او امير لكانت حياة ابن أبي ربيعة وبعض اخبار حبه في عالم الخفاء، ويجب ان لا ننسى ان عمر قد خلف لنا ديواناً من الشعر غير ان هذا الديوان على كبره غير تام. ويظهر لي ان اكثر شعر عمر قد ضاع. ولهذا كله فانا لانزال نجعل اخبار نشأة عمر الاولى فكيف قضى صباه؟ واين؟ ومن أين اتاه الشعر؟ وكيف نهج هذا المنهج؟ كلها امور يصعب درسها

وارى ان كثيراً من نواحي حياته في طفولته وصباه سيظل مغمضاً مبهماً حتى يقيض الله لاحد العثور على بعض هذه الكتب التي ذكرنا — ان كان فيها ما ينقع غلة — او على الاقل على ما ضاع من شعره.

﴿ان نشأ﴾: والراجح انه نشأ في المدينة عاصمة الحجاز زمنذاك ومقر الخلافة، دون ان يفوته التردد إلى مكة موطن آبائه، وكانت المدينة آنذاك في عصرها الذهبي تنعم في لين العيش، مالٍ عظيم وغنى وافر وشباب انقطعوا عن السياسة وانصرفوا الى اللهو وجوار بالالوف وزعن في بيوت سراة القوم فنشرون فيها كثيراً من حضارة اقوامهم ذوي المدينة من فرس وروم مع ما يتبع هذه الحضارة من ضروب اللهو والوان العبث. ففضا الغناء وعقدت له حفلات عامة

وخاصة، وكان عمر من أسبق المتردين إليها. ويُسرّ اختلاط الشباب بالجواري وغيرهن ففضا العبث. وكان في المدينة وادهم بهيج هو العقيق متزّه أهل اللّهُو في ذلك العصر، فكانوا إذا سال يهرعون إليه رجالاً ونساءً ويعقدون حول ضفافه حلقات الانس والطرب ويلتمس بعضهم المغنين فيسمعونهم من عذب اصواتهم وينزوي آخرون تحت نخيله يلهون ويعبثون

تلك لعمرة تفردت بها المدينة بين سائر مدن الحجاز ولم تكن لتحتضن بها إلا إذا سال العقيق ولهذا لم يفت هؤلاء الناس الذين كاد يخلو قطرحم من الماء والخضرة ان يغموا بهذا الحظ النادر، فكان العقيق يجذب اليه الجماهير فينتشرون على ارضه يستمعون بهذا الجمال الذي يحيط بهم كل في لهوه توحده بينهم البهجة والسرور والدعة وهم في صعيد واحد لا تسمع منه سوى أصوات المغنين وأتات المحبين ونجوى العاشقين فيبدو العقيق في روعته ليلتذك كبقعة من الجنان خلت من الآلام ونامت على أطيب الانعام وهنت بأحلى الاحلام. وتفتش عن عمر فتراه في كل مكان، فهو تارة في حلقة غناء يستمع الى بعض المغنين والمغنيات وطوراً في مجلس انس يتحدث الغانيات الفاتحات وحيناً آخر في موكب صديقه عبد الله بن جعفر ينقل بين تلك الحلقات وتسمع مع خريير المياه في ذلك الوادى وهمسات النخيل وهبوب النسيم أحاديث وأدباً وظرفاً تغنيك عن كل العقيق. وتبحث عن عمر فتراه واسطة عقد هذه المحادثات وظريف هذه المجتمعات وشاعر هذه الحلقات

ويدنو موسم الصيف وترتحل عائلات السراة من المدينة ومكة الى الطائف فيرتحل عمر الى الطائف يصيف مع المصيفات. إنه امرؤ قد وكل بالجمال فهو يتبعه أنى وجده. ويدنو موسم الحج فترى عمر أسبق الناس إليه وهو يرى الحج — على تغيير الدكتور طه حسين — معرضاً اسلامياً للجمال وهو ذا هو يقدم فيعتمر في ذي القعدة ويحل وبلبس تلك اللّهُو واللّهُو ويركب التجائب الخضوبة بالحناء عليها القطوع والديباج ويسبل لمتة ويلقي العراقيات فيما بينه وبين ذات عرق محرمات ويتلقى المدينيات والشاميات الى الكديد. ويقسم قلب عمر بين اليمنيات والشاميات والعراقيات فلا يترك هذه حتى يتعلق باخرى ولا يعود من تشييع تلك حتى يودع اخرى يتحدث مع هذه ويتودد الى تلك ويتحسر لفراق هاتيك ويمر الوقت سراعاً فيتلهف عمر على كل لحظة تقوت لم يتمتع بها بهذا الجمال ولم يهنأ بها بهذا الحب فيصرخ من اعماق قلبه :

ليت ذا الدهر كان حتماً علينا كل يومين حجةً واعتباراً

ثم يعود الى نفسه وقد غمرتها تلك البروعة، واذا بها تذوب شعراً جيداً ينثره عمر وراء

الغايات فينتشر في مواكبهن وركبانهن ويصل قبلهن الى ديارهن . وهو في بعض هذا العمر يحاول ان يتعزى ويتأسى فلا يرى ما يعبر به عن عزائه ويرد اللوم على عاذله سوى لقاء الحبيب في الموسم القادم :

فقلت له ما من عزاء ولا أسى بمسل فؤادي عن هواها فأقصر
وما من لقاء يرتجى بعد هذه لنا ولهم دون النفاق الجمر
فهاهنا دواء للذي بي من الجوى والآن فدعني من ملائك واعذر

﴿ هيئته ﴾ : ليس من شك في أن عمر كان جميلاً . ولعل هذا الجمال كان من العوامل التي دفعت النساء الى حبه فجعلته معجباً بنفسه حتى زعم البغدادى أن عمر كان يتغزل بنفسه لحسنه وجماله . ولكن هذا الحسن لم يوصف لنا كما وصف هو حسن اللواتي تغزل بهن فقد كان يكنى بالافتخار به . ويذكر أن النساء كن يطرين جماله ولمهجن به ويتشوقن الى صاحبه حتى نعتنه بعضهن — فيما زعم — بالقمر

وكان عمر — فيما يظهر — طويلاً رآته إحدى أميرات بني أمية في نفر من قومه وهم جلوس يتحدثون وذكرت أنه فرعهم طويلاً وجهرهم جمالاً

وكان أسمر اللون شاحبه ناحل الجسم في أكثر الاحيان ولعل مصدر هذا هو السهر والسم والتعرض لبرد الليل وحر الهاجرة في سره وتهجره . يلتفت الى هندامه وهيئته فيلبس أبهى الحلل ويتزين بأحسن الوشي ويتطيب بأعطر الطيب حتى قيل فيه أنه كان من أعطر الناس وأحسنهم هيئاً ، وربما بلغ به حبه للزينة أن خضب نجائبه التي يركبها بالحناء وكساها القطوع والديباج . وكان له جواد وضع في عنقه طوق ذهب له غلام خاص يسوسه

وكانت له مشية خاصة فضحته ذات يوم وقد تكرر فمرقته قتاته الثريا فيها . وكان في وجهه أو بالأحرى في فيه علامة فارقة لا ندري تماماً الوقت الذي ظهرت فيه وهي اسوداد اللثتين العلنيتين ويزعم بعضهم أن الثريا إحدى حبيباته ضربته في مداعبة بظاھر كفها وكانت النساء تتخمن في أصابعهن العشر فاصابت الخواتم ثنيته وكادت أن تفلعهما وخاف أن تسقطا فقدم البصرة في العراق فعولجنا له وثبتتا وسودتا . وكاتا في فيه من أعرق الذكريات

﴿ بعض نواحي خلقه ﴾ : لقد اتفق أكثر القدماء والمحدثين ان عمر شاعر تملكه الدل والته . ولعل مصدر ذلك هو الاصل الكريم الذي تحدر منه والجمال الذي منحته والشعر الذي أوتيته . أو لعل النساء كما يزعم البعض هن اللواتي افتن به وتنافسن فيه واستبقن الى مودته

وتها الكهن عليه فاضطره هذا الى شي من الدل والغرور. ولقد حدث عن نفسه فقال: لقد كنت وانا شاب أعشق ولا أعشق. وقال من شعر يصف فيه مجلساً لصاحباته ويذكرانه موضوع حديثهن أوله:

« هيج القلب مغان وصير »

لتي قالت لأترب لها قطف فيهن انس وخفر
قد خلونا فتمنين بنا اذ خلونا اليوم نبدي ما نسر
فعرفن الشوق في مقلتها وحباب الشوق بيديه النظر
قلن يسترضيها منيتنا لو اتانا اليوم في سر عمر
بينما يذكرني أبصرني دون قيد المليل يعدوني الاغر
قلن تعرفن الفتى قلن نعم قد عرفناه وهل يخفى القمر

روى ان ابن ابي عتيق لما سمع آيات عمر هذه قال انت لم تنسب بها انما نسبت بنفسك انما كان ينبغي ان تقول قلت لها فقالت لي فوضعت خدي فوطئت عليه وقد تصدت له فتاة جريئة فقالت له: لا اكون من نسائك اللاتي تزعم ان حبك يمهن. وله يصف حب صاحبة له:

وانها حلفت بالله جاهدة وما اهل له الحجاج واعتمروا
ما وافق النفس من شيء تسر به وأعجب العين الا فوقه عمر

وله يدل بحبها له ويذكر صبا به حبيبته، وخوفها عليه من العين:

أخشى عليه العين ان بصرت به وترى صابتنا به فها به

بل قد غلا في دله وتيهه وتشوفه حتى زعم ان بعض الفتيات كن يكابدن غناء السفر ليلاقينه في الحج

اومت بعينها من الهودج لولاك هذا العام لم احجج

انت الى مكة اخرجتني ولو تركت الحج لم اخرج

ارأيت الى اي حد كان تيهه ودله وغروره. أرايت كيف انه يرى ان النساء كن يعشقنه

فهو مناهن وحديثهن وغايتهن في الحج: ماذا اقول، ان له بيتاً من الشعر غلا فيه حتى جعل نفسه موضع الانبياء عند حبيبته:

وإذا ما عثرت في مرطها نهضت باسمي وقالت يا عمر
ولعل أظهر ميزة في خلقه بعد تيه ودله الحاحه والحافه في كثير من الامور التي كان يحاولها
أو يسعى لنيلها فهو يجد وراء غرضه حتى يناله ويلج في طلب حاجته حتى يدركها . ولقد يبدو
لاول وهلة ان هذه الظاهرة من خلقه لا تتفق مع تيه ودله والواقع انها اقرب ما يكون الى
هذا الدل . بل لعلها اثر من آثاره ، فهو اذ طلب حبياً فامتنع عليه ابت عليه نفسه النائمة ان يخلد
في سعيه فلا يزال وراء حبيبته ملحقاً ملحقاً حتى يوقمها في شرك حبه ، وهناك يعاوده تيه فيفخر
في أنه أخضع هذه المتمتعة لسلطان حبه وقد جاء دوره ليدل ويته

ويندر ان نرى قصة من قصص حبه خلت من هذا الالاحاح وراء التي أحبها . ذلك كان
شأنه مع امرأة أبي الاسود الدؤلي وغيرها من النساء اللواتي كان يصادفن في الحج .
وقد رأى مرة كلم بنت سعد الخزومية فهوها وراسلها فلم تجبه فأخذ يرسل لها الرسل ويلج
عليها في الحب فتكرت لرسله واخذت تضربهم وتأخذ عليهم العهود ألا يعودوا وظل يبعث الرسل
وظلت تكيد لهم حتى تحاموها . ولم يمل عمر ولم يتحام ولم يرجع عن طلبه بل ابتاع أمة سوداء
لطيفة رقيقة وأتى بها منزله فأحسن اليها وكساها وأنسها وعرفها خبره وقال إن اوصلت لي
رقعة الى كلم فقرأتها فأنت حرة ولك معيشتك ما بقيت . ووفقت هذه الجارية في رسالتها
وكان جواب كلم « ما زال عمر حتى ظفر ببعينه » . وكان يعترض مواكب الحجاج ليسأل
عن هذه وتلك وما يزال يلج ويحرص على التقرب منهم حتى تعقد بينه وبينهم روابط الحب
وهناك ناحية أخرى في ميوله غابت صبغتها في اخبار حبه وشعره وهي ميله للتحدث والسر
مع السيدات ولطفه وحسن معشره . ولا أظن الادب العربي عرف صديقاً للمرأة سميها لها
اعظم من عمر . وكانت النساء جد معجبات بظرفه وحديثه يتشوقن اليه ويتمنين لقياه ويدكرن
حلو سمره وأنس مجلسه

ومع ان عمر عرف عند البعض بالشاعر الفاسق فاني ارى في كثير من قصص حبه عفة لم
يخالطها إثم . وقد اقتصرت وقائمه مع الكثيرات على مجلس أنس وطيب سمر ولذة حديث
وهو الفائل :

فاجتنبنا من الحديث ثماراً ما جنى مثلاً لعمر كجاني

النشوء الخالق

قطعة من فلسفة برغسن

لنا هينز

ولد هنري برغسن في باريس سنة ١٨٥٩ . فهو اليوم مناهز للثمانين من عمره وكان في صباه دارساً مجيداً بدأ عليه من مخايل النجابة والذكاء ما أهّله للفوز بجميع جوائز المدرسة . ولكنه تخصص في درس الطبيعيات والرياضيات . فأوقفته مواهبه الخارقة ، وجهاً لوجهه ، امام المبتائيزيكا السكافة وراء كل العلوم . فخرج على درس الفلسفة . ولذلك دخل « ايكول نورمال سوبرير » او مدرسة العلوم العليا سنة ١٨٧٨ . وتخرج منها سنة ١٨٨١ فتعيين للاحال معلماً للفلسفة في كوليج رولان . وانتقل سنة ١٨٩٨ الى كرسي الفلسفة في « كوليج دي فرنس » . وظل في ذلك المنصب حتى استقال عنه مؤخراً

مؤلفاته

اصدر برغسن سنة ١٨٨١ اوّل مؤلفاته وهو كتاب « الزمان وحرية الارادة » . وسنة ١٨٩٦ اعقد مؤلفاته ، وهو كتاب « المادّة والذاكرة » . وسنة ١٩٠٧ آية فيه ، وهو كتاب « النشوء الخالق » . وقد جعله هذا الكتاب بين عشية وضحاها نبراس الفلسفة وزعيم اساطينها فهو الفيلسوف الاوحد في فرنسا بعد « ديكارت » ، وفي كل اوربا بعد « كنت » . واصدر في سنة ١٩٣٥ آخر مؤلفاته . وهو كتاب « اصلا الديانة والاخلاق »

كان برغسن في اول نشأته سبنسرياً صميماً . يقبل نظرية النشوء وهي محور الفلسفة المركبة ، التي بسطها سبنسر في مؤلفاته الضخمة . على انه كان كلما اعاد قراءة تلك المؤلفات يتقد حماساً وحدة في قضايا ثلاث

الاولى : في المادّة والحياة . الثانية : في الجسد والعقل . الثالثة : في الحتمية والحرية

كانت تجارب « بستور » البكتريولوجية قد قضت على نظرية التوالد الذاتي . وبعد مرور مائة سنة ، اجريت في غضونهما الوف من التجارب ، لم يتقدم الماديون خطوة واحدة في حل معضلة « اصل الحياة » . ومع ان الدماغ والعقل مترابطان لم يزل نوع الترابط بينهما سرّاً غامضاً

فبرز هنري برغسن في وسط العجاج المنعقد في جو اوربا بين الآراء المتناحرة . وكان ثاراً على الآراء الحتمية المادية . وخلاصة فلسفته : « ليس هذا الكون نظام يقينية كاملاً » معرفتنا إياه ناقصة ، بل هو حيوية أو استمرار ، ومهمة الفلسفة الرئيسية ان تعمل ما يقصر عنه العلم ، وهو ادراك معنى الحياة . « فبدأ الحياة ، ذلك النبع الفياض الذي يدفع ويغري ويطور حركة الحياة بلا انقطاع ، ذلك المبدأ — *elan vital* — قد انشأ العقل ليتعرف عالم المادة العديمة الحياة لست اجهل ان فلسفة برغسن اوسع من ان تجمع شواردها مقالة واحدة . ولا سيما بقلم رجل لم يدخل الفلسفة من أبوابها . على اني أورد في ما يلي ملخص قطعة من كتابه « النشوء الخالق » ، عنوانها « معنى النشوء » *The meaning of evolution* وردت في ص ٢٦٤ — ٢٨٦ من ذلك الكتاب . ولو ترجمت بحروفها الى اللغة العربية لشغلت ما لا يقل عن عشرين صفحة من مجلة المقتطف . واليك خلاصتها مع التبسيط والتوضيح تقريباً لمتناول غير الاختصاصيين

ان محرك الحياة الاصلي في حاجة الى الخلق او الابداع . تعرضه في سبيله المادة . لكنه يتحكم بها ، ويثبت فيها اعظم قدر ممكن من الحرية . وكيف ذلك ؟
الجواب : يمكن وصف الحيوان الراقي وصفاً عامّاً ، بأنه حاصل على الأعصاب الحركة المتكفلة بأفعال الهضم والدوران والتنفس والتمثيل . ووظيفة هذي الأجهزة تنقية الجسم العضوي وترميم ما تهدم من خلاياه ، ووقاية المجموع العصبي ، وإمداده بالنشاط الذي ينفقه الجسم في الحركة . وتتوقف زيادة تركيب الاجسام العضوية على ضرورة تركيب المجموع العصبي . والرباط بين أقسام الجسم العضوي ، يجعل العضو الواحد متأثراً بما يحدث للعضو الآخر . فيستمر التركيب فيه الى ما لا نهاية له . وحفظ الجسم منوط بالمجموع العصبي فهو القوة الوازنة في مملكة الحيوان ويقوم تقدّم المجموع العصبي بارتقاء العملية الاوتوماتيكية ، والعملية الاختيارية . ثمّ أولاهما الثانية بألة ملائمة . ففي الجسم العضوي محركات جمّة ، في النخاعين الشوكي والفقاري ، توقع الاشارة للانطلاق في العمل الملائم . وهي تستخدم الارادة في بعض الاحيان لتعين وقت الانطلاق ، واختيار منهج الميكانيكا . وكلما زاد عدد الميكانيكات في الجسم العضوي زاد الدماغ ارتقاءً . وذلك الارتقاء هو زيادة الضبط والتنوع والفاعلية والاستقلال . فالجسم العضوي بهذا الاعتبار كآلة تعدّل ذاتها في كل فعل جديد ، كأنها مصنوعة من المطاط . وقد وجدت هذي الصفة في « الاميبا » (أدنى طوائف الحيوان) قبل نشوء المجموع العصبي . وعملها حينذاك كعمل الجنين ، مستغنية عن التركيب الذي في أعلى طوائف الاحياء . اذ لا حاجة هنالك الى عناصر مساعدة ، تتحوّل محركات ، عملها توزيع النشاط

تتألف أعمال الحياة في أدنى طوائف الحيوان وفي أرقاها، من نوعين من الأفعال رئيسيين، وهما ١— احتراز مدد الطاقة ٢— اتفاق ذلك المدد بواسطة مادة لدنة في جهات لا تُرى ومصدر تلك الطاقة الطعام الذي تم هضمه. والطعام المهضوم نوع من المتفجرات، التي تنتظر الشرارة لاطلاق ما فيها من النشاط. وأصل الطاقة الأول هو الشمس، وتناولها منها النبات وذررها في أجزائه. ثم تناولها الحيوان من النبات. تُخزّن تلك الطاقة في الأجسام العضوية كما تُخزّن المياه في الأحواض، والكهربائية في البطاريات. وكل ذرّة من الكربون تمثل قدراً من الماء، أو جبلاً من المطاط، يربطه بالأكسجين الذي في الحامض الكربونيك. وهذا النشاط المخزون مستعد للانطلاق لدى كل سانحة. فكل حياة، نباتية أو حيوانية، هي كناية عن جهدٍ يراد به جمع النشاط ثم إطلاقه. ذلك ما يرغب المحرك في المادة في إتمامه. ولا ريب في فوزه لو أن قوّته غير محدودة، أو أن وافته المدد من الخارج. على أن ذلك المحرك محدود القوّة، فيستحيل أن يتعلّب على جميع العقبات. وأن قوّته عرضة للمقاومة والتمزّق والتفقر. ونشوء العضويات هو عبارة عن صدّ ذلك النزاع. وأوّل مشاهد ذلك الحادث، هو طلاء النبات والحيوان، المتبادلاً التعاون دون سابق اتفاق بينهما (خلافاً للنظرية الحتمية). لأن النبات يجمع الطاقة لا لأجل الحيوان، بل لأجل ذاته. ولكنه في واقع الأمر، ينفق القليل مما ذخره على ذاته. ويحتفظ بالكثير الذي يتناوله الحيوان. ولا يمكن موازنة قوّةي الخزن والاتفاق في الجسم العضوي فيرجح الخزن في بعضها، والاتفاق في البعض الآخر، دون تدخل قوة خارجية. بل يتم ذلك الفعل بالليل المزدوج الموروث من المحرك الأصلي من هنا كان انشعاب النشوء في فرعين أصليين، هما النبات والحيوان وكلٌّ من هذين الفرعين يتصرّف كأن حركة الحياة تنتهي عنده، لا أنها محمّلة فيه، فبذاته يُعنى لا بغيره، ولا جهاً يحيا ويعمل لا لسكائن آخر. لذلك اصطدم النزاع في عالم البيولوجيا (على ما هو مرسوم في تفكير شوبنهاور ونظرية دارون). وليس المحرك الأصلي المسؤول عن ذلك النزاع ليس من الضروري توقف الحياة على الكربون. إنما الضروري خزن الطاقة الواردة من الشمس. ومن الممكن أن يتم ذلك بغير ما أُلِفناه من الصور. وعليه فقد تكون الحياة في السكواكب في غير مجراها في سيّارنا هذا. ومن الخطأ الفاضح حصر الحياة في الكرة الأرضية. وليس من الضروري حصر الحياة في الأجسام العضوية. فإن جمع الطاقة وانفاقها غير محصور في اختبارنا. فإن الحياة سيكولوجية في جوهرها ونظامها. فهي غير فضائية كالمادة (أي أنها لا تشغل حيزاً) فإن المادة والفعل مسبوكان في قالب الفضاء. ففي الفضاء وحدة وجمع. فالوحدة هي النقطة الهندسية، والجمع هو النقط متجاورة (وخلاصة تفكير دمقريطوس أن المادة والفضاء هما كل ما في

(الوجود) . اما طبيعة النفس فليست كذلك . « فأننا » — سيكولوجيًا — وحدة في جمع ، وجمع في وحدة . فالجمعية والفردية مظهرًا شخصيًا . هذي هي الحياة عامة فهي كالشعر واحداً في معناه ، متعددًا في آياته وكلماته وحروفه . وهناك توازن بين الفردية والجمعية . فاذا برز ميل في الحياة الى الفردية قابله ميل الى الجمعية . واذا برز ميل الى الجمعية ، قابله ميل الى الفردية . أعني انه متى نشأت في الحياة جمعية مالت الى الانشعاب فينقسم الواحد الى فروع ، كما في النبات ، وفي الهيئة الاجتماعية حيث نرى الحزب الواحد ، او المذهب الواحد ، قد انشعب الى احزاب او فروع . فتنشئ الهيئة الاجتماعية فرديات تحت جمعيتها ، وجمعيات فوق فرديتها . فالمديرية مثلاً جمعية بالمقابلة مع المراكز ، وفردية بالقياس الى الدولة . وهذي في دورها فردية بالقياس الى البشرية وجمعية بالمقابلة مع المديرية

والفرع في الشجرة جمعية باعتبار الاوراق ، وفردية باعتبار الاصل . وفي الخلايا الجسم العضوي جمعية بالنسبة الى الذرات التي تؤلفها ، وفردية بالنسبة الى الجسم الذي تؤلفه في اصل الحياة شعور خفي ، تؤلف شذراته المتراجعة المادة . اما الشذرات المستمرة في وجهتها دون تراجع فتؤلف العقل . فالحياة صاروخ ، ينام ويستيقظ . فينام حيث قضي على الحياة بالاوتوماتيكية . ويستيقظ حيث يمكن الاختيار والعمل الحر . ويتناسب ذلك الاختيار في الحيوانات الدنيا مع المحرك الاصيل . اما في الانسان فيتناسب مع المجموع العصبي ، الذي فيه المحرك والحساس . فالكان الحي مركز عمل فيه قدر من الامكان داخل الى الدنيا . يتفاوت ذلك القدر في الافراد وفي الانواع . وهو يبدو في حركات الاعصاب كأنه صادر من الدماغ . وهناك نسبة بين درجة التعقد والتركيب في المجموع العصبي وبين درجة الاختيار والمقدرة على الادراك والعمل . والحقيقة ان الشعور الكوني المتصل بالنفس هو غير صادر من الدماغ (اراد بالشعور الكوني هنا غير الشعور الشخصي الذي ينحصر في الفرد الواحد من العضويات . ففي فلسفة برغنن يشبه الشعور الكوني سحابة تملأ الفضاء . وقد تقسم ذلك الشعور ، كما تنقسم السحابة فكانت اقسامه نقطاً هي الشعور الشخصي)

ولكن ذلك الشعور الشخصي ، المفصول من الشعور الكوني يطابق الدماغ مطابقة ماء النهر بجراه . مع ان الماء ليس من الجرى . ولا هذا من ذاك . فلا يجوز الحكم على الانسان والحيوان بوحدة العقل . لان الفرق بينهما هو بالكيف لا بالكم فقط . والمشابهة الدماغية بينهما هي دون ما توهم كثيرأ . (هنا معارضة صريحة للمذهب المادي ، والفكرة الموحدة عالم الحيوان والانسان) . الانسان ابداعي ، والشعور فيه غير محدود . اما الحيوان فهو عبد الميكانيكا ولكن الانسان سيد الميكانيكا . ومرجع ذلك في الانسان اللغة والهيئة الاجتماعية . تذخر الافكار

والجهود فيهما فيصيان بهما الانسان من نوم النبات . فتركيب الدماغ والهيئة الاجتماعية علاقات خارجية لسمو الانسان عن الحيوان . بهذا الاعتبار يكون الانسان غرض النشوء . والحياة تيسار في المادة ينزع منها ما امكنه . وواضح ان الطبيعة ليست لاجل الانسان . وهو مشتبك في التنازع ضمن دائرة الطبيعة ، كغيره من الاحياء . فليس الانسان ميزان النشوء ، بل هو نهاية احد خطوطه . (لا يرى برغسن ان النشوء سار في خطوط لا حصر لها ، وليس في خط واحد صاعد من المادة الى الانسان . لا . بل ان المبدأ الاصيل ، او المحرك الاصيل انشعب الى شعاب ، وشعابه الى شعاب . وقد انقرض بعض تلك الخطوط وظل في استمراره البعض الآخر . ومن تلك الخطوط في العالم الحيواني خط الفقاريات وخط الحشرات . فرأس الخط الفقاري هو الانسان ورأس الحشرات طوائف النحل والنمل . فاحفظ ذلك)

الحياة امواج متراكزة فاذا صدها صاد صادمته كموجة . فما عجز من تلك الموجة ، وقف او تقهر . وما تغلب على الحاجز فاز بالحرية . من الاول النبات والحيوان . ومن الثاني الانسان . وفيه وحده واصل الشعور الكوني تقدمه . هذا هو معنى النشوء . (اي النشوء الخالق) وقد جمع الانسان العقل الى البدية . وهما طرفا الشعور المنشعبان عنه . فالبدية في شعبة الحياة — او في قالب الحياة . والعقل في شعبة المادة او في قالبها . والانسان السامي (السرمان) هو ما تساوى فيه العقل والبدية ، وبلغا اسمى ارتفاع . تلك الانسانية فوقنا بمراحل . وقد يوصلنا اليها نشوء آخر (غير نشوئنا الحالي الذي شغل مليون سنة في نقل الانسان من الحيوانية الى منزلته الحاضرة) . اما في حالتنا الحاضرة فالبدية ضحية على مذبح العقل . وقد ضحى بها الشعور ليتمكن من الفوز على المادة ، وعلى ذاته . فتشكل هو بشكل عقل . وظلت البدية حوله كسحابة حول بؤرة منيرة . تلك السحابة قائمة ، لكنها تثير حين تكون الانسانية مهددة والبدية ضالة الفيلسوف المنشودة . وكلما تقدمت الفلسفة ادركت ان البدية عقل العقل فهي من العقل كالعقل من الغريزة . فهي حياة الحياة . وقد فصل العقل عنها على نحو تكوين المادة على هذي الصورة تدخلنا الفلسفة دائرة الحياة الروحية وترينا علاقة النفس بالجسد لقد اصاب اصحاب النفس باصغافهم الى صوت الضمير . ولكن هنالك العقل ينادي بالعلة والمعلول واصابوا بايمانهم باليقينية . ولكن هنالك العلم يريهم اتحاد العقل والدماغ المتبادل ، كل اخاه واصابوا في تمييزهم الانسان عن الحيوان . ولكن هنالك البيولوجيا تريهم تاريخ نشوء الانواع نشوءا تدريجيا . ولكن اذا كان ثمة نفوس فمن اين اتت ! وكيف اتصلت بالجسد تلك مسألة لا تحجاب « ويستلونك عن الروح ، قل الروح من امر ربي... »

مهمة الحكومة

في التربية (١)

لعلى حسن الراكع

اتقدم بحزب الشكر لهذه الهيئة الكريمة التي دعنتني لاتي من فوق منبرها بحثاً في « مهمة الحكومة في التربية » وفي الحق انها هذه الدعوة الى الكلام عن مهمة الحكومة في التربية انما تعهد الي في الكلام عن مهمة الحكومة في كل شيء
ولما كان موقف التربية المصرية بالغاً مبلغه من الشأن لم اردد ولم اتخاذل عن التزام الصراحة في التشخيص والجراحة في العلاج . واني لوائق بأن رجال الحكم والنفوذ سواء أفي وزارة المعارف كانوا أم في الحكومة سوف يتقبلون هذه الصراحة بنفسحة في الصدر ، وهم اول من يعلم انني اتكلم عن نظام ومبادئ لا عن افراد ، كما اعلم عن كثير منهم انهم يشكون ويصبون الى العلاج مهما بلغ من مرارة

لم تأت كلمة التربية عفواً ، وانما قصدت بالذات . فما برحت الحكومة والرأي العام يسميانا معلمين ، ولا زالت مهنتنا تسمى تعليماً ، بل وما فتئت الادارة الحكومية التي اختصت بالمهمة تسمى وزارة المعارف . حقاً ان لكل شيء من اسمه نصيباً ، فالعملية منسجمة مع التسمية المألوفة ، اذ لا يزال الرأي العام مع الاسف متأثراً بالمهمة المحدودة التي تعارفنا عليها بأن عملنا ينحصر في نقل المعلومات . وان المدرسة ليست الا خزان للمعارف وان التعليم الثانوي مثلاً لا يفضل الابتدائي الا بمقدار الزيادة في قناطير المعلومات التي تفرغ في ادمغة النشء ، وان مهارة المعلم انما هي مهارة في الكيل والتفريغ

نعم لا تزال هذه المهمة الاصيلية في بناء أشرف عنصر خلقه الله واعداد ارقى عوامل الانتاج وهو الانسان ، لا تزال في مصر متخذة هذه الصورة الضئيلة حتى لدى بعض الخاصة ، اذ لا يفهم من العمل العام الذي لا أكذب واقول اننا نقوم به ، بل الذي كان يجب ان نقوم به ، الا انه تلقين المعلومات . اما تربية الخلق ، اما تعهد الفكر والجسم ، اما الاعداد للحياة الاقتصادية والاجتماعية وما فيها من جهاد وتعاون ، فبعيد عن التصور . والى هذا الادراك المحدود لصورة المشكلة ومداها يرجع ذلك الموقف البارد العديم الاكتراث الذي

يلزمه الرأي العام امام مشكلة المشكلات المصرية ، وهي التربية ! وصدقوني ان المقالات ومختلف البحوث التي تعج بها الصحف والمطبوعات لا تقرأ على انها بحث في أمر خطير بل على انها مقالات أدبية لها لذتها فحسب

كم ضرب الباحثون في تيه المشكلات الجمة التي تنمن منها البلاد وكم خيل الى البعض انه قد وضع يده على موضع الداء ، وكم يؤس البعض الآخر من اتساع جبهة المشاكل وشديد وطأتها فوزع تبعاتها على نواحي الحياة ثم نقض يده منها . ولكن النظرة الهادئة البالغة الى الاعماق تستطيع ان تتبع العلل الى أصل واحد ومشكلة واحدة أساسية واليك استعراضاً بسيطاً تشكو البلاد من تفكك التماسك القومي بتشتت الاهالي طبقات عدمية الالتحام وبتصدعها الى ثقافات متباعدة في المنشأ والروح حتى فقدت القومية طابعها الموحد وأصبح المرء عاجزاً عن الاهتمام الى المصري التي الذي تتمثل فيه خصائصه الحققة ، وتشكو من انهيار الخلق الذي جعل من الفرد مخلوقاً غصباً ضعيف القوة والحيلة ، ومن الجماعات قطعاناً يعوزها التماسك الروحي . فالأسرة لا أبقت على شريقتها الطاهرة وتقاليدها ، ولا بلغت العصرية الغربية وفضائلها . وتصرخ الامة من عطلة المتعلمين الذين فقدوا صلتهم بالحياة العملية ووقفوا بشهاداتهم الورقية صفافاً متحسرين على جهود بذلوا في سبيلها شبابهم وأموال أهلهم وآمال ذويهم . وتحسر الخيرات المدفونة في باطن الارض والتي على سطحها وفي سمائها ومياهها على ازوائها وهي تتفقد عبثاً الهمة التي تستغلها . والحياة القروية تحتضر في الهوة التي تزداد اتساعاً ونقصاناً عن المدينة ونعيمها . والحكومة تنمن من بيروقراطية تخضع الجوهر للشكل وتجبر وراءها اسرافاً وتعقيداً نحن في حاجة الى القضاء عليهما لتدبر المطالب القائمة بعد ان نعمنا بالاستقلال . ثم هناك فوق كل ذلك تخبط في العلاج بين الاصابة والخطأ ، فلا سياسة ثابتة تجابه المشكلات ، ولا مبادئ مقررة راسخة تضيء لبحثها طريقاً سوياً مستقراً . انها كلمة واحدة لا تجمع هذه المشكلات فحسب ، بل فيها سحر الشفاء . هي الداء وهي الدواء —

هي التربية . هي التربية التي تدعم التماسك القومي وتقوم ببناء الشخصية القوية العصرية ، التي تجالذ الصعاب بعزيمة جبارة ، هي التربية المسئولة عن عطلة المتعلمين اذ لم تعد لهم الحياة مرسومة ضئيلة ، هي التربية التي حجبت انظار حاصلاتها الانسانية عن خيرات البلاد المقبورة ، هي التربية المسئولة عن ايهال القرى باغفالها تحبيب الحياة الزراعية المصرية النقية ، وأخيراً هي التربية التي خلقت البيروقراطية لان ربيها المسكين لا يستطيع التصرف في أمر من الامور فيعمل كالألة . هي التربية المسئولة عن كل شيء . واذا كان للتربية هذا الاثر البليغ ، وهذا السلطان المتحكم ، واذا كانت التربية على رأس التبعات التي وضعت في اعناق ولادة الامور اولاً وعناصر التربية وما اكثرها ثانياً ، فقد آن الاوان لان يقدر كبارنا وقادة الرأي فينا هذا المدى والسلطان وكفى به انه اعداد الامة المقبلة وبنائها

جميل بل واجب مقدس علينا ان نغنى بقوة الدفاع ونبحث في تدبير الموارد المالية واستغلال الثروات الطبيعية وتدريب العمل للعاطلين وترقية المهن والحرف ، وحسن ان يدبج الكتاب

مئات المقالات ويصدر الباحثون عشرات التقارير التي لم تبقى على ناحية الا وتناولتها بالبحث والعلاج . ولكن من السهل ان ندرك عبث ذلك كله ان لم يصل الى الترية وهي اصل كل مشكلة . فخرام ان تعوزنا الهمة والوسائل ونحن امة ناهضة متوثبة الى الحياة المثلى . القت امورها الى حكومة هي محل ثقتها وعلى رأسها ملك شاب يفيض همة وغيرة . فخير بالحكومة وهي تنعم بهذه الثقة والمنعة ان تولي مشكلة المشكلات المصرية التي تتحكم في كل عنصر من عناصر الموقف عناية خاصة تفوق عنايتها بسائر مهامها ولتقبل على الامر في حماسة فلا تبخل بالوقت ولا بالمال . وكفى تقديراً للترية ان يعلن كبار رجال السيف عن خطرها . فيقول عزيز باشا المصري في محاضرته عن واجبنا الحربي بعد المعاهدة وعلى هذا المنبر : « لذلك اقول لكم والحكومة اليوم والحكومات المستقبل الجيش والمعارف هما كل شيء حافظوا عليهما ولو شئتم التقصير في شيء فليكن في اي شيء الا الجيش والمعارف »

موضوع المحاضرة « مهمة الحكومة في الترية » ومعنى ذلك انها ليست محاضرة فنية في الترية بقدر ما هي محاضرة في سياسة الترية . لذلك يقتضي الامر الا تعرض لمتخلف الامور الفنية التريبية الا بقدر ما يتصل بالسياسة العامة للدولة ومشكلات البلاد القائمة ولذلك وجب ان ابدأ بمقام الترية بين مهام الدولة في ضوء سلطة الحكومة عامة ثم ببيان تاريخي عن تطور نظام التعليم الحالي في مصر ونصيب الحكومة فيه، ثم ببيان مشكلاتها الحالية ولاسيما المركزية والبيروقراطية من ناحية واعداد المربي من ناحية اخرى . ثم اختتم الموضوع برسم خطة عملية للاصلاح

✽ الترية بين مهام الدولة ✽ يحدد مقام الترية وخطره بين مهام الحكومة اعتباراً من سياسيان لا يتصلان مطلقاً بما تعارفنا عليه من الاعتبارات المألوفة كالديموقراطية او الدكتاتورية والاستبداد ولا من حيث الملكية والجمهورية ولا الوضع الدستوري او البرلماني انما من حيث توزيع السلطة بصفة عامة . اما اولهما فمدى سلطان الحكومة وتحديد موقفها من حرية الفرد ، وثانيهما مكانة الترية في حد ذاتها بين الواجبات القومية وتحديد نصيبها بين مختلف المهام . اما شأن الترية من الناحية السياسية فيقول كاندل في تحديده « ان نصيب الامور السياسية والاجتماعية في الانظمة التريبية يطغى كثيراً على نصيب النظريات البسيكولوجية والفلسفات التريبية التي تحاول ان تتناول الفرد كشخصية منعزلة »

واما عن شأن الترية في حد ذاتها ومكانتها بين مهام الدولة فمما سبق من القول في المقدمة وفيما سيتلوه ما يعني عن الاسهاب والافاضة . واما عن مدى سلطان الحكومة وتحديد امام الفرد اي الشعب وهو ما يتصل اتم الاتصال بالناحية الاولى فذلك يتوقف على سياسة الدولة المحلية وتحديد ما بين المذاهب السياسية في الحكم . وهناك ميدانان لهذا التحديد فالميدان الاول سلطان الحكومة على الفرد والثاني توزيع السلطة بين الهيئة المركزية من جهة والسلطات الفرعية والاقليمية من جهة اخرى . ولن تجد بلدين يتماثلان في سياستيهما في ايٍّ من الميدانين لان هذا التحديد انما يرجع الى ارتقاء الدولة السياسي بكل ما في تاريخها وجغرافيتها من حوادث وعوامل ، انما لا بأس بذكر طرفي كل ميدان على وجه التقريب

اذ لن تخرج كل دولة من وضعها الخاص بين كل طرفين
 ففي الميدان الاول اي ميدان سلطة الحكومة على الفرد تجد مبدأ الانفرادية او
 individualism يشغل طرفاً وهو مبدأ كان يسيطر على البلاد الديمقراطية في القرن
 الماضي ولا سيما في البلاد الصناعية والتجارية ويتفق مع روح المنافسة الاقتصادية الطليقة
 والحرية الفردية اذ يقصر مهمة الحكومة على صيانة الامن والدفاع عن البلاد ولا يجعل
 للتربية شأنًا قومياً ، كما يتفق مع الروح الانكليزية التي تقدر الحرية الشخصية اعتماداً على
 وطنية الفرد ونضوجه الاجتماعي الا انه يتجاهل العطف والانسانية . ثم تجد في الطرف
 الآخر مبدأ السيطرة الواسعة على الفرد ويتزعمه في القديم كثير من فلاسفة اليونان الذين
 يزعمون الى الطوبى واشهرهم افلاطون وفي الازمنة الحديثة الاشتراكية التي اخذت تتغلغل
 في جميع الأنظمة الحديثة ، والتي تبلغ مبلغها المتطرف في الشيوعية وهي تذهب الى حد
 السيطرة المطلقة على كل ما يخص بالفرد حتى في انتاج الثروة وملكيته وتوزيعها

وامام التطور الاقتصادي والاجتماعي الحديث الذي من مظاهره انقلاب الحياة كلها
 وبألوانها انقلاباً يكاد يتم احياناً بسرعة البرق مما يعرض الحياة القومية لأكبر الاخطار
 ان تترك طليقة من التوجيه والاشراف في ضوء سياسة قومية ، وامام موقف الانفرادية
 الجامد الذي يترك العامل فرصة لمعاملة لا تعتبره الا آلة من الآلات الانتاجية ، فلا اعتبار
 لذاته ولا لحساسيته والمه حتى بدأ المجتمع يتمخض عن ثورات تهدده بشر وويل — امام ذلك كله
 أخذت جميع الأنظمة تتحول شيئاً فشيئاً حتى في انكلترا نحو الطرف الثاني . اخذت تخرج من
 مذهبها الانفرادي الى تدخل الحكومة في الاعمال العامة كالصحة والمواصلات والانتاج ،
 وكانت التربية على رأس هذه الامور . واصبح الآن نصيب الحكومات في توجيه الحياة
 امراً مقررأ مهما تعددت انوانها ، ان ملكية او جمهورية ، ان دكتاتورية او ديمقراطية

اما في الميدان الثاني اي توزيع سلطة الحكومة بين السلطة الرئيسية من جهة والسلطات
 المحلية والاقليمية من جهة اخرى ، فكما امعت الحكومة في الاخذ بمبدأ رجوع كل
 الاعمال الى السلطة المركزية اي الوزارة او الادارة الرئيسية ، كلما كان ذلك امعاً في
 الاخذ بمبدأ « المركزية » . وبالعكس يكون من « اللامركزية » او ان شئت فسمها بالمحلية او
 الاقليمية ترك حرية العمل الى حد كبير للهيئات الفرعية والموظفين المحليين غير مقيدين الا
 بالنظام العام وقوانينه والسياسة القومية . وتتجه السياسة الحديثة في تطورها صوب المبدأ الأخير
 الذي يبلغ حد التطرف في الولايات المتحدة الاميركية

والخلاصة انه اصبح من المقرر ان تمد الحكومة سلطانها الى توجيه وتنظيم امور لم
 تكن في القديم بين مهامها بعد ان اصبح خطراً قومياً تركها معلقة في يد الافراد والطوائف
 بأنانيته المنعزلة وشهواتها . وان التربية يجب ان يكون لها نصيب شامل لم تحظ به في المجتمعات
 القديمة بعد ان ثبت انها الناحية الايجابية الانشائية بين مهام الحكومة اذ هي البناء الاساسي
 الذي اذا استقام وبلغ الكمال لاغنى في آخر الامر عن مهامها الاخرى التي يظهرها شذوذ

المجتمع الحالي بمظهر العمل الاساسي للحكومة. بل اقول غير هيباب لو استقامت امور التربية حتى بلغت مثلها الا على الذي يحلم به الطوييرون لا استغنى المجتمع عن القضاء وعن الشرطة وعن معظم مظاهر السلطة التنفيذية المحلية. ولم يكذب جيزو لما قال «من فتح مدرسة اغلق سجنًا» واليك افلاطون في طوييته التي يصوغها بخياله المبدع في كتابيه الجمهورية جعل التربية على رأس امور الدولة، وألقى بالحكم الى ايدي رجالها جعل وزير التربية كبيراً لزملائه وأتبع الاطفال للدولة وجعل التعليم اجبارياً. وكذلك ارسطو لم ييخل عليها بمكانتها وان لم يسم بها كافلاطون. ويقول نابليون «ان التربية اهم المسائل السياسية» فاذا تطلعنا الى المستقبل وجدنا الاستاذ Jacks الانكليزي يقول «ان المربي سوف يكون اكبر واهم موظف في الدولة المقبلة»

﴿ بيان تاريخي ﴾ والآن تترك هذه المقدمة التي انارت لنا قيمة التربية الحكومية ونرجع الى الوراء قليلاً لنوجه نظرة مجملة الى تطور المهمة في مصر لنصل منها الى الحاضر. وبذلك نلهمس المشكلة بتتبع بذورها المتأصلة في الماضي.

كان التعليم في مصر الى ما قبل العصر الحديث دينياً بمعنى الكلمة، فكان الازهر كعبة العلوم والمعارف تحيط به هالة من المعاهد والمكاتب متصلة بثقافته الدينية. وكان يتفق مع مطالب الحياة القائمة. ثم ظفرت البلاد بقيادة الزعيم الاكبر محمد علي الذي رأى بنظره الثاقب ان مستقبلها يتوقف على تجديد كل شيء فجعل التعليم على رأس نواحي النهضة التي هم بها، ادخل الى البلاد النظام الفرنسي الذي لا تزال اسسه متحركة في جميع نواحي الحكم ومهد لحر كته السنون القليلة التي اشعلت فيها الحملة الفرنسية قبساً من مشاعل المدنية الغربية. ثم اتى اسماعيل العظيم فمكن من النظام الذي بدأه جده ومن فرنسيته، ثم — وهنا المفاجأة الطريفة — اتى الاحتلال الانكليزي نفسه، فزاد في تمكين ذلك النظام الفرنسي الذي يميز بمر كزيته وبيروقراطيته، وبطبائنها من توحيد وسهولة في التنظيم والتنفيذ. ولما كان النظام الفرنسي وقتئذ احدث نظام، وفي امة تشغل حضارتها على مقام فقد كان لمحمد علي ولاسما عيل من بعده ما يسوغ لها هذا الاجراء وهما في صدد تجديد امة وحكومة باسرع السبل فكان لا بد من نقل النظام الفرنسي المعداد وقتئذ اكل نظام بدّل الاخذ بالتطور البطيء. وفعلاً طبق على جميع النواحي لا التعليم وحده حتى اصبح القانون والنظام الاداري والمالي والقضائي والحربي فرنسياً ومنقولاً نقلاً عن امة غربية. وكما اتى هذا النقل باسرع النتائج الا انه حل في طياته بذور عيوبه ومضاره التي سنفصلها، مما اثر ابلغ الاثر في مشكلاتنا الحالية التي لا يقتصر على الشكوى منها عملية التربية بل جميع نواحي الحياة

وكان سكوت الانجليز على هذه السياسة المركزية ظاهرة غريبة لناقضتها لزعهم اللامركزية الاقليمية. فكان تصرف لورد كرومر المسؤول عن السياسة الانكليزية امرأ مستغرباً لا يفسره الا احترامهم للامر الواقع وكرهيتهم للتجديد والتغيير بدون مسوغ فضلاً عن الحاجة العاجلة الى الموظفين الآلين. ولذلك لم يدخلوا على نظام التعليم الفرنسي الا اقتحام اللغة الانجليزية وتشكيل مجالس المديرية التي تحولت مدارسها غير الاولية مع الزمن الى طبعة من

مدارس الوزارة واخيراً ضمت اليها ، وكان لسوء حظ مصر ان لورد كرومر اختار للاشراف على التعليم معلماً ايقوسياً هو المستر دنلوب كان على الرغم من جده ونزاهته عديم الكفاية ضئيل الادراك يزعج الى السيطرة القاسية والتدقيق السخيف مع العناد الصلب والصراحة الايكوسية وما اتيت بهذه الصفات من عندي بل انني اقتبسها من اقوال الانجليز والامير كين امثال السير فالتين تشيرون وجورج بونج واللورد جورج لويدي المعروف ولا تنسوا الدكتور مكلانان مدير الجامعة الاميركية والدكتور جولت عميد كلية الآداب والعلوم بها . فكان من سوء حظ مصر ان يعهد بالتعليم الى رجل هذه صفاته ونزاهته

وجدد دنلوب نظاماً مركزاً يبرق اطيافاً لا تلمس نزعته فزاده تمكيناً . وما أبدع الدكتور جولت

اذ يقول ان التعليم في مصر شأن النظام الفرنسي فرنسيته *outfrenched the system* ومن الاسف ان الانقلاب الذي بدأ مع الحرب العظمى من قيام المشكلة السياسية للفصل في مصير البلاد قاطبة وضع التعليم ومساائله في ركن ثانوي صغير من ميدان المشكلات القائمة فظلت وزارة المعارف تتخبط في حركات متقطعة قام بها بعض وزراء غيورين . وأخيراً استقرت الامور ونالت البلاد استقلالها المنشود بفضل نهضتها وثباتها . وها هي تفرغ لسائر مشكلاتها الاجتماعية بعد ان فرغت من مشكلتها الرئيسية . وها هو معالي الوزير الحالي يهتم بالاصلاح هذه قصة طبع النظام الفرنسي في مصر مع ما في نقل الانظمة من تجاهل لاسس التطور الاجتماعي مما يتمخض عن حصره في الشكل لا الجوهر ، في الهيكل لا الروح . وفعلاً لم ينقل مع النظام الفرنسي العقلية الفرنسية التي تلائمها من تفكير جلي واضح ومنطق سليم رائع فلا انظمة لا تنقل وانما تنمو مع الزمن وتترج في احضان الحوادث والمشكلات المحلية . ونايلون لم يضح في الواقع قانوناً فرنسياً جديداً كما يفهم الكثير من الناس حتى المثقفين . وانما الفقهاء والعلماء من مختلف انحاء فرنسا نظموا العرف والتقاليد والانظمة المحلية في اطار قوانين منظمة جلية . وكذلك فعل يوستينيانوس الامبراطور البيزنطي في القانون الروماني . لذلك كان هذا النقل الذي وقع في مصر تجاهلاً للحقائق وللصالح . وتجاهلاً لمصريتنا التي تتباين عن الفرنسية في التاريخ والعادات ، في الثقافة واللغة والفن . وبذلك خلق من المشكلات اكثر مما اتى من فضائل ، وباعد بين الامة والحكومة ، وبين التعليم والحياة . واليك ما عثرت عليه انفاً من طرائف هذا النقل العاشم . وهو انه بلغ من ايماننا فيه ان عدلنا نظام التعليم الثانوي عام ١٩٠٤ حينما انشئ التخصص الادبي والعلمي محاكاة لما فعلته فرنسا عام ١٨٥٢ اي بعد ٥٢ سنة ولم نعد له الا منذ عامين بالرجوع عن هذا التخصص في حين رجعت عنه فرنسا عام ١٨٦٣ اي قبل ادخال النظام المعدل في مصر باكثر من اربعين عاماً ونظراً ليعجز هذا النظام الآلي الحكومي في التعليم عن اعداد شبان يليقون لحياة المال والتجارة خلقت الحاجة المدارس الاجنبية اتسد الفراغ في اعداد هؤلاء . فكانت هذه المدارس الاجنبية تدعمها الامتيازات بجانب التعليم الديني والحكومي نوعاً آخر بسياسة خاصة وأسفينا جديداً يزيد في تصدع القومية المصرية

السيلو تكس

خشب صناعي خفيف كالفلين

لعوضه هنرى

كتبت في مقتطف يناير سنة ١٩٢٣ مقالا على « صناعة الخشب من مصاصة القصب ». وفي اوائل نوفمبر سنة ١٩٢٦ أبلغ المرحوم محمود ساي باشا وزير مصر الفوض في واشنطن حينئذ ، بآ صناعة السيلو تكس من مصاصة القصب ، الى المغفور له محمد فتح الله بركات باشا وزير الزراعة وقتئذ . ثم لبثت أصبو الى رؤية السيلو تكس في مصر ، فلم اوفق حتى ضمنى بالأمس حفل من كبار المقاولين والمهندسين وارباب الاملاك في العاصمة فيسمعهم يرددون اسم السيلو تكس . فاستوضحت احدهم ماذا تعني ؟ فقال « اني اقصد نوعاً جديداً من الخشب الطبخ ، انتشر منذ بضع سنين في مصر ، فاستعمله بعض المهندسين ، فانتفع به أصحاب المباني انتفاعاً عظيماً في منع الحرارة والرطوبة عن المنشآت التي أدخل فيها » . فسألت محدثي ايضاً : قائلاً « أتدري مما يصنع ذلك الخشب الصناعي ؟ فأجاب ربما يصنع من التبن أو القش » فرددت عليه : — بل يصنع من مصاصة القصب ، وذكرت له بعض منافعه ، فدهش جداً لانه لم يكن قد اطلع على مقال المقتطف فيه منذ ١٤ سنة وهو الذي اشرت اليه آنفاً ولا قرأ كتابي « الصناعات والصناع » الذي أثبت فيه ذلك المقال

ثم طابت الى ذلك المقاول الذي استعمل السيلو تكس في مبانيه ، ان يرشدني الى محل بيع ذلك الخشب الصناعي ، فهداني اليه ، فلم يسعني الا الذهاب من فوري الى الخواجا يوسف ابرام Joseph Abram وكيل شركة السيلو تكس الاميركية في القاهرة . فكاشفته مهمتي فتبسط مني في الحديث وقدم الي نماذج من « السيلو تكس » وها هي ذي على منصفتي ، وأنا أكتب هذه العجالة التي ضمنيتها ما وقعت عليه من المعلومات الحديثة عن ذلك الخشب العجيب الخفيف كالفلين . وما فحيت النماذج حتى تذكرت توأ خشب البلزا Balsa wood وهو خشب استوائي مدهش أخف من الفلين ايضاً ويشبه السيلو تكس في خصائصه . وقد وصفته في مقتطف ديسمبر سنة ١٩٣١ واقترحت حينئذ على وزارة الزراعة ، زرعه في مصر

والسيلو تكس مادة عازلة من مواد البناء ، تمنع الحرارة والرطوبة . وتصنع من قشور القصب ومصاصته على شكل ألواح كبيرة صلبة ، متينة ، خفيفة . وقد فضات مصاصة

القصب على غيرها من الفضالات الزراعية العاطلة لصناعة السيلوتكس ، لان ألياف قصب السكر من أطول الالياف وأمتنها ، ومتانتها تتجلى حينما تصاغ منها الاواح المانعة للحرارة والبرودة . وذلك لان الخلايا الهوائية الدقيقة التي تعد بالملايين في السيلوتكس سواء في الالياف الفردية ، أو فيما بين الالياف ، تكسب السيلوتكس خصائص تمنع الحرارة وهذه الخلايا هي التي تحدث المناعة ضد الحرارة والرطوبة وتجعل مادة السيلوتكس مسيكة اي لا يمتزجها الماء . وتصنع من السيلوتكس ألواح متينة عازلة ، كل ١٠٠ قدم مربعة منها ، وزن ٦٥ رطلا . وقد علمنا ان السيلوتكس قد استعمل في قبة هو الاحتفالات العامة الكبرى في الجامعة المصرية وفي كازينو ثغر السويس وغيرها من المباني الضخمة الحديثة في أحياء القاهرة وغيرها وحصلت شركة السيلوتكس على امتياز من حكومة الولايات المتحدة باستعمال طريقة كيميائية ، اطلقت عليها اسم فيروكس *Ferox* تتمكن بها من صون السيلوتكس من عبث الحشرات والسوس . وتطبق هذه الطريقة على كل ما تصنعه من السيلوتكس . وهي نتيجة مباحث عشر سنين قام بها قسم المباحث والتحسينات التابع للشركة نفسها وتعد تقدماً محسوساً في فن المباني ووقايتها من الحرارة والرطوبة . ولما كانت مواد البناء ، تستهدف لعوامل البلى الطبيعية ، وكانت الخسائر المادية التي تنتج منها كل سنة ، فادحة ، فقد عنيت مخبرات الحكومة لامية كية ، ومعامل الكيمياء في الجامعات ودوائر الصناعات المختلفة ، زمناً طويلاً بتوقي الخسائر المشار اليها ، اذا ظفرت بوقاية المباني والمواد البنائية ، من عوامل الفناء الطبيعية . فصار ميسوراً الحصول على مواد صناعية للبناء أو مواد معالجة علاجاً كيميائياً خاصاً ، وتحسب تلك المواد في مصاف مضادات السوس أو الانحلال ، ومثال ذلك الفولاذ الذي لا يصدأ والخشب الطبيعي المعالج ببعض المحلولات الكيميائية المضادة لحشرة الحفار البحري ، والخشب المعالج بغير ذلك من وسائل العلاج التي تحول دون السوس وتمنع هجوم الارضة وغيرها عليه . وثبت لشركة السيلوتكس تقع طريقتهما التي اطلقت عليها اسم فيروكس . وقوامها تغشية الباف قصب السكر ، وهي مبللة ، قبل صوغها الواحاً ، بمحلول كيميائي مركب ناجع في تسميم الفطر والارضة ونحوهما من الحشرات المولعة بالتهام السلولوس وذلك المحلول الكيميائي ، غير قابل للذوبان في المياه وغير طيار ، ولا رائحة له ، وهو ثابت المفعول ، ولا يضر الخلوقات البشرية ولا الدواجن بل هو علاج واف لاسطحي فقط . ولا يحدث اي تغيير في خصائص السيلوتكس الطبيعية . ويمتاز السيلوتكس على الخشب الطبيعي بكونه يخففت الصوت الشديد . ويمكن شربه واستعماله كالخشب الطبيعي واذا استعمل لتلوخ الحيطان ، يمكن تركه على لونه الطبيعي او دهنه باي دهان يروق ناظره ويستعمل لتسقيف المساكن والمتاجر وغيرها من المباني وذلك تحت الحديد المطلي بالكهربائية وتحت القرميد . ويتخذ بمثابة سقف داخلي لمنع الحرارة الشديدة . وتصنع منه الحواجز في مكاتب الاعمال ، وتبنى به مخازن التبغ والتكينات وبيوت العمال واكواخ الدواجن . ويجعل كوقاية لصهاريج النفط ، وتلوح به الكنائس والمدارس والاندية . وتصنع منه الواح اعتيادية للمباني مختلفة الاحجام

حيوانات مشهورة

وصحة أسماؤها

للفريق الدكتور - اصبح المعلوم

اوردت في جزء ماضٍ من المقتطف بعض الحيوانات وصحة اسمائها وها انا مورد غيرها في ما يلي

Male & Femal

الذكر والانثى

قالوا الذكر خلاف الانثى والانثى خلاف الذكر لكنهم ارادوا بالذكر إحياءاً ما عظم من الحيوان والانثى ما صغر منه ولو كانا من فصيلة او رتبة اخرى . فقالوا الجرد ذكر الفار والكلمة شائعة في جزيرة العرب والشام والعراق بهذا المعنى اي ان الفار اسم جنس فما عظم منه سموه جرداً وما صغر سموه قارة ذكر أكان ام انثى والتاء هنا للافراد والتصغير لا للتأنيث كما تقول بقرة اي الواحدة من جنس البقر من الذكور والاناث . فقولهم ان الجرد ذكر الفار معناه انه العظيم من الفار لا انه الفحل منه . ومثله القنفذ وهو حيوان من رتبة آكلات الحشرات وفي المخصص ١٦ : ١١٢ قال : ومما يقع على المذكر والمؤنث القنفذ والقنفذ يقال قنفذ ذكر وقنفذ انثى فالما ابو عبيد فقال الذكر قنفذ والانثى قنفذة . ومما يختص به المذكر الشبه ويقال له ايضاً دلدل وان أنقذ وقبّاع وكله لا يؤنث ولا يسمى به المؤنث انتهى . ولا يخفى ان العرب كانت تسمي كل حيوان شائك قنفذاً لكن بعضهم خص الذكر منها اي الكبير بالشبه والدلدل والنيص وهو من رتبة القضاة كالقار لا من رتبة آكلات الحشرات كالقنفذ ويعرف بالنيص الى يومنا في جزيرة العرب والشام والعراق

ومثله القرد وقد ذكرت ذلك في مادة القرد في الصفحة ١٣ من هذا المعجم . ومنها قولهم الاروية انثى الوعل فالوعل عندهم بمنزلة الغنم اي المعز والضأن فما كان جليلاً منها سموه وعلا وهو بمنزلة المعز . اما الضأن منها وهو اصغر فانهم سموه أروية وهي لاتزال تعرف بهذا الاسم في ايماننا . ومثل ذلك الحزّز وهو ذكر الارنب اي العظيم منها والحرنق وهو الانثى اي الصغير.

ومثله الضيئون أي السنور الذكر وفسره حمد الله القزويني بالسنور البري كما جاء في الصفحة ٥٣ من هذا المعجم . وأمثلة ذلك كثيرة في اللغة يراها من يقرأ كلامهم في وصف الحيوانات . وهاك أمثلة منها وأنا سأستعمل في بعضها الاسماء اللاتينية وفي البعض الآخر الاسماء الانجليزية وذلك لسهولة المقابلة

Rats & Mice

فأر

مأخوذ من فأر التراب حفره فقول العامة في مصر الفار واطلاقه على العظيم منه والصغير صواب أما تسميته بأدخل الجرذ فيه فليس صواباً فالأفضل ان يقال الجرذ والعُضَلُ للعظيم منه والفارة للصغير . ولكن العامة في مصر لا تفرق بين النوعين فكله فار عندهم وهذا جائز لغة ولكنه غير جائز علمياً جرذ جمعه جِرذَان . عُضَلُ جمعه عُضَلَان هو الفار العظيم والجرذ أكثر شيوعاً Rat. Mus

Mouse, Musculus

فارة

دوبية في البيوت تصطادها الهرة والشائع في الشام والعراق على الصغير منه فيقال فارة ذكر وفارة أنثى ألا ترى ان المقنع في كيلة ودمنة زوج الجرذ بالفارة فالجرذ هنا العظيم من جنس الفار والفارة هو الصغير منه

فالفأر كل ما يفأر من هذه الدوبيات القارضة وهو يشمل الكبير منها أي الجرذ والصغير أي الفارة . فالفأر اسم جنس فاذا اريد الكبير منه فهو جِرذ وعُضَلُ وزان صرد وسبب للذكر وللأنثى على السواء فيقال جرذ ذكر وجرذ أنثى واذا اريد الصغير الذي يألف البيوت فهو فارة للذكر وللأنثى فيقال فارة ذكر وفارة أنثى . وكلاهما فأر أي الجرذ والفارة فأر فان دخول التاء على الفأر يراد به الافراد والتصغير وهذا لم ينص عليه اللغويون ممّا في ما اعلم . فالفارة واحد الفار أي الواحد من جنس الفأر ولكن الكلمة غلبت على الصغير منه . اما استعمال الفار عند العامة في مصر لهذا الجنس كله فجائز في اللغة ولكن الاصلح تسمية الكبير منه بالجرذ او العُضَلُ والصغير بالفارة . فاطلاق الفأر على الجرذ والفارة كاطلاق الغراب على الزاغ والعقّاق فكلها غراب أي من فصيلة الغربان لكن الزاغ خلاف العقّاق . فالفارة والجرذ فأر لكن الواحد خلاف الآخر ومثله القمري والدُبسي فكلها من فصيلة الحمام لكن الواحد خلاف الآخر . ومما يحسن الإشارة إليه في هذا الباب تصغير Mus فاذا صَغُر صار Musculus أي اذا صَغُر ما يقابل العضل او الفار باللاتينية صار معناه عضلة او فارة وهو الجزء من العُضَلُ او الفار أي اللحم المتجمّع وهو فصيح بهذا المعنى . والكلمة الثانية أي الفارة شائعة على السنة العامة بمعنى العضلة في الشام والسودان وتعبير آخر ان اللاتين صغروا الفار فصار معناه العضلة والعرب اشوه فصار

معناه العضلة والفار الصغير وهذا يؤيد ما قلناه قبلاً أي أن التأنيث قد يراد به التصغير

Hystriidae. The porcupines

فصيلة الشياهم والواحد شيهيم

فصيلة من القضام لها شوك كأنه المسال وليس هي القنفاذ فهذه من فصيلة آكلات الحشرات وقصيرة الشوك

Porcupine

شيهيم . نيس . شيطم . دلدل . مدجج . ضرب

حيوان من فصيلة الشياهم وإن أكثر هذه الأسماء شيوعاً هو النيص ولكنه لا يقال قنفذ فالقنفذ من آكلات الحشرات والشيهيم والنيص من القضام كالقار وأهل لبنان يسمون هذا الحيوان بالقنفذ خطأ

Erinaceidae. The hedgehogs

فصيلة القنفاذ حيوانات لبونة من آكلات الحشرات

Hedgehog

قنفذ

حيوان من آكلات الحشرات أكبر من الجرذ قليلاً جسمه مغطى بشوك قصير اسمه عند بعض العامة في الشام كبابة الشوك . أما في مصر والعراق وجزيرة العرب فاسمه القنفذ ذكرته في ص ١٢٤ وذكرته له أسماء أخرى

وفي معظم المعاجم خلط كثير بين هذين الحيوانين فالشيهيم حيوان لبون من القضام والقنفذ حيوان لبون من آكلات الحشرات فهذا من فصيلة وذاك من فصيلة أخرى ولكل منهما شوك ولكن يجب التفريق بينهما

Cockroach

بنت وردان والجمع بنات وردان . فالية الافاعي

لا تعرف العامة بنات وردان بهذا الاسم وهو الاسم الوحيد من فصيح الكلام والعامة تسمي الواحد من بنات وردان خنفس وخنفساء وصرصور ولم يذكر أحد من اصحاب المعاجم بنت وردان الا معجمين هما للنجاري بك وللليل بك سعد اما المعاجم الاخرى فقد خلطت بين بنات وردان والصراصير والخنفس . وبنات وردان شائعة في الحجاز

ولنذكر الآن بعض الطيور منها طائر مشهور عند الادباء وهو الشحرور وطائر آخر مشهور في الشام وهو السمنة وطائر آخر مشهور عند الصيادين وهو السلوى او السمانى وهذه الطيور اما متشابهة في جنسها او في لفظها وسأذكر هنا الاسم العلمي والاسم الفرنسي لبعضها حتى يتمكن من ايضاح ما أريد ايضاحه

Blackbird. *Turdus merula*. F. Merle

شجرور . شَحْرور

طائر أسود في عظم التبشيرة أي الصفارية حسن الصوت وهو مشهور يعرفه الأدباء في مصر والعراق والشام بهذا الاسم أما في مصر فلا تعرفه العامة بهذا الاسم ويسمونه الدُّج ولم أر من ذكره من اصحاب المعاجم في مصر على صحته إلا النجاري بك فإنه كان عالماً واديباً مشهوراً أما الآخرون فقالوا شجرور فقط وقالوا تارة الدج وتارة السَّكَّلة ولا يخفى أن الاسم الجنسي لهذا الطائر مثل اسم السُّمنة أو الدج أو السَّكَّلة

سُمنة والجمع سُمنان وسُمنان Thrush. *Turdus musicus* & other species, F. Grive

طائر أغبر له ذنب طويل أكل العينين أصفر المنقار يدخل في الشجرة والجمع السُّمنان والسُّمنان وقيل هي الطويلة الذنب وقيل ديساء مثل التبشيرة (الخصص ٨ : ١٦٢). هذا أحسن وصف للسُّمنة على ما نعرفها في سواحل بيروت ولكنهم في بيروت يشددون الميم وإن سيده يخففها. ثم أني لم أعر على السُّمنة في غير ابن سيده من كتب اللغة واسم السُّمنة في مصر الدُّج أوردها الديرقي قال الدج طائر صغير في حد اليام من طير الماء سمين طيب الطعم وهو كثير في ساحل الاسكندرية وما يشابهها من بلاد السواحل قاله ابن سيده. انتهى. فابن سيده ذكر الدج في ٨ : ٦٧ لكنه أراد به الفروج كما هو واضح في كلامه قال ابن سيده «دجاجة مُفَرَّجة ذات فراريج قال أبو حاتم وانشد الأصمعي قول العماني : والديك والدج مع الدجاج. وقال أنا وضعت الدج أعني به الفروج» انتهى. أي أن ابن سيده قال الدج هو الفروج فاستعارها الديرقي لهذا الطائر والكلمة شائعة كثيراً في الاسكندرية ولعلمهم استعاروها لهذا الطائر أي السُّمنة. وفي محيط المحيط للبستاني في مادة سمن «السُّمنان والعامة تقول سُمَّنة وللجمع سُمن وسُمنان. قلت هذا صحيح وقد سمعتها بنفسني ولكن صاحب محيط المحيط وهم في هذه الكلمة كما وهم استاذي الدكتور بوست وهما يريدان السُّمنة وهي شائعة كثيراً

أما السَّكَّلة وقد وردت بمعنى نوع من السُّمنان أو السُّمنان فشائعة في مصر ويريدون بها ضرب من السُّمنان أو السُّمنان جمع سُمَّنة وانظروا العجمية يدل على ذلك اسمها النوعي أي سكساتيلس ومعناه واقف على الصخر. هذا وقد أوردت السُّمنة وأنواعها في ص ٢٤٧ وص ٢٥٢ من معجم الحيوان ويتضح فيها ما يكفي لجلاء هذه الكلمة

Quail. F. Caille

سَلوى

لِلوَاحِد وللجمع والواحدة سلواة . سَمَانِي لِلوَاحِد وللجمع والواحدة سَمَانَاة وجمعها سَمَانِيَات .

طائر من رتبة الدجاج وفصيلة التدرج وهو من الطيور القواطع مشهور والسلاوى افصح واردة في القرآن الكريم والتوراة والسما في فارسية معربة اسمها عند العامة في مصر وبعض انحاء الشام سمان وفي لبنان وانحاء اخرى من الشام فري ولشدة الشبه بين السمان في اللفظ وقع الخطأ وما ذكرته قبلاً عن هذه الطيور الثلاثة هو الصواب والنفسح من الكلام

Gannet. Syn. Booby

اطيش

طائر قاله ابن سيده والطيئ خفة العقل (الدميري) وهو طائر من طير الماء على قدر البطنة اسود الرأس والعنق والظهر ابيض الصدر والبطن واسفل الذنب (عن طيور مصر) ذكرته في ص ١١١ وذكرت هناك السبب في تسميته بالاطيش

Noddy

ابله

طائر مائي يقف على السفن حتى يكاد يقبض عليه قاله الدكتور بوست. ذكرته في ص ١٧٣ فاذا نقله احد من قبيل توارد الخواطر فارجو اصلاحه

Penguin

بطريق

طائر مائي قصير الجناحين قاله الدكتور زلزل وفي القاموس البطريق السمين من الطير فيجب نسبة هذا الطائر الى زلزل لا الى القاموس لان زلزل استعارها من القاموس

Kingfisher

قيرلّي . رقراف . خاطف ظله . ملاعب ظله . قاوند . مازور

طائر مائي صغير طويل المنقار قصير الزمكي والرجلين جميل المنظر اسمه عند العامة في مصر وفلسطين صياد السمك وابي الرقص وفي بيروت ديك البحر . ذكرته في ص ١٣٨ وذكرت ثلاثة انواع منه ولم يذكره احد على صحته وانما ذكروا شيئاً مما جاء في المقتطف والصواب ما ورد هنا

Bittern

واق

والواحد واقه . طائر من فصيلة مالك الحزين طويل العنق والرجلين والاصابع والانفاير قصير الزمكي اصفر الريش مع رقشة وتوشيم يحب العزلة فيختفي في النهار بين الاسل ويكثر الصياح في الليل

ذكرت هذا الطائر في المقتطف وسميته العجاج والاييس وكنت مخطئاً كما بينت في معجم الحيوان ص ٣٥ وقد نقل كثيرون عني هذا الخطأ فليصاحوه لان النقل كان من قبيل المصادفة

Nightjar. Syn Goatsucker

سُبْد والجَمْع سُبْدَان . ضُوع والواحدة ضُوعَة

طائر من طيور الغسق اصداً او اغبر موشم بخطوط سود مسرول الساقين واسع الفم فلتاح

الرأس والمنقار وحول منقاره شعرات كالهاب يعرف في الشام بابي عُمَي وفي مصر بابي النوم وفي المغرب بطير الموت وفي السودان بالقصرة لكنهم يطلقون هذه الكلمة على نوع من الحبال أيضاً. ذكرت هذا الطائر في المقتطف وفي معجم الحيوان في ص ١٥١ وما يليها ولم يذكرها احد من اصحاب المعاجم الا في معجم واحد فعسى ان يذكرها مع وصفها لانه الصواب دون غيره ويصلح الخطأ المطبعي ويرفع الحاصرة عن الضويع لاني لم اسلم به على ماورد في معجم الحيوان ص ١٥٣

Gull

زُمج الماء

طائر مائي انواعه كثيرة يعرف في الاسكندرية بالنورس وفي بيروت باللورنس والورنس وفي حلب بالدنكلة وفي بغداد بنعيمج الماء وله اسماء اخرى ذكرتها في ص ١٢٠ من معجم الحيوان وجميعها اعجمية اما النورس واللورنس فتعريب اسمه اللاتيني وقد وردت بعض هذه الاسماء في معظم المعاجم وارى الاختصار على زمج الماء لانه عربي

Skua. Syn. Jaeger.

كركر

طائر مائي يشبه النورس اي زمج الماء يطارد الطيور الضعيفة وينازعها صيدها وان تحقيق هذا الطائر يرجع الى الدكتور زلزل ذكرته في معجم الحيوان ص ١٣٤ و ٢٣٠ و ٢٣٥

Tern

خَرَشَنَة.

خطاف البحر. طائر يشبه النورس زعموا ان الكركر يطارده وينازعه صيده وان تحقيق هذا الطائر يرجع الى الدكتور زلزل ذكرته في ص ٢٤٦

Skinmer. Syn. Seissor-bill

عَجْجَهوم

طائر مائي كان منقاره حليم الخياط (ابن سيده) ذكر فون هوغلن ان اسمه ابو مقص في مصر وكان كثيراً في مصر لكنه انقرض ولا يزال في الجهات الاخرى في افريقية. ذكرته في ص ٢٣٠ وقلت انه يسمى ابا مقص في سواحل البحر الاحمر، وكنت مخطئاً فهو في النيل لا في البحر الاحمر

Diver. F. Plongeo

غَمَّاسَة

نوع من طير الماء غطاط يغتمس كثيراً (التاج) ذكرته في ص ١٩١

Grebe

غَطَّاس. غواص

طائر من طيور الماء يعرف في مصر بالغطاس وفي البصرة بالغواص. ذكرته في ص ١١٨ ولم يذكر اصحاب المعاجم الاخرى الغواص فاني لم اذكره قبلاً وقد ورد في الديميري والقزويني

صيحة الشاعر

كلمة رئيس تحرير المقتطف

في حفلة ذكرى حافظ ابراهيم

في مثل هذا الحفل التذكاري ، تنقبض النفوس أسى ، لان السكائن الذي كان يملأ المحافل بوجوده فيها ، او يبعث القوة والحكمة في ساعة الضعف والتهور ، او يفري الظلمة ويحلو القتام بظرفه المشرق ، قد طوته الارض

أما انا فأشدد حزني على نفسي ، لانه أتيح لي ان أمتح من نبع صاف فياض فاكستفيت بالوشل تفجر لنا الطبيعة في أوقات هي تختارها ، ينبوعاً متدفقاً من ابداعها . فتبعث الى الناس بكون كامل في حيز هيكل انساني ، تنبثق قوته من العقل فكراً وعلماً ، ومن الشعور بالخير والجمال والحق ، شعراً وحكمة ، ومن الكمال الخلقي وقاراً وقدوة ومثلاً أعلى يبعث في

النفس التي تتسع له ، ما رفعها عن مستوى المعنى الترابي ، ويقربها من جوهر الارباب ثم تسترد الطبيعة هبتها . فتجفف ينبوعاً في واد هنا لتفجره في واد هناك ، وتطفئ مصباحها في قوم لتبدد به غياهب قوم آخرين . وتسكت غريدها في أيك لتتجاوب باصداء صداحه افنان أيك مجاور . فتندب عما فعلت ، حاسبين ان ذلك النبع الجاف ، والمصباح المنطفئ ، والصداح الصامت ، جذرون بحزننا وأسانا ، والحقيقة اننا نندب غفلتنا لاننا لم نعب من النبع ، ولم نستضيء ، بالمصباح ، ولم نسكر على شدة الغريد

من منا ، من منكم ، يالدات حافظ وصحابه وتلاميذه ، لا يتمنى الآن ، وقد جف نبعه لو يعود بنا الزمن وبكم سيرته الاولى ، اذ كنا نجلس الى حافظ ونصلي معه نار الجدال ، لكي نفوز منه مهدرة كهدة البحر ، او بنكتة كبسمة الربيع ؟ من منا من منكم ، لا يتوق الآن وقد انطفأ مصباحه ان يلتقي حافظاً كل يوم ، ليستشف في عينيه الخنتين ، ألفة الشعر وقد استقرت له أبيات في الليل السابق ، على ما يريد ويرضى ؟ من منا ، من منكم ، لا يتحسر الآن وقد سكت صداحه ، لانه لم يسمع حافظاً يلقي بياته ، وكان صوته وهو يلقي ظاهرة من ظاهرات الطبيعة ، لا حركة وتر ولهاة ، تملأ جوانحك روعة فتحاول ان تبين سر الروعة

فأخذ عليك الافتتان والاعجاب كل سبيل الا سبيل الاعجاب والافتتان قد يستطيع الفلكي ان يقيس اجرام الكواكب وابعادها ، على عظمتها ومدادها ،

والطبيعي دقائق الذرات ، على دقتها وتناهيها في الصغر ، والنفسي خفايا العقل وحدود الذكاء ، ولكنني لا أعلم ، ان احداً يستطيع ان يقيس اثر المعلم الصالح في نفس تلميذه ، ولا اثر الصديق المرشد في نفس صديقه ، ولا اثر الشاعر المبدع ، في شعب بأسره ، اذ يوقظ فيه شعوراً كامناً بالعز ، وتوقاً مستكناً الى الكمال

قلبو ادبوان حافظ ، تجدوا انه على الرغم من تفجحات ندية فيه لم يكن شاعر الطبيعة في مظاهرها الكونية ، يتخذ من شروق الشمس وغروبها ، وتغريد الاطيار وخير الجداول وألوان السماء وتعاقب الفصول وانبساط الصحراء وموسيقى الاجرام ، أوتاراً يعزف عليها انغاماً علوية تتردد اصداؤها في درب التبان وعنقود الثريا ، ويكشف لنا في انغامه ، نحن اصحاب البصائر القاصرة والعقول المكدودة ، عن رؤى جديدة من الخير والجمال ومن حسنات حافظ ، انه لم يصنع الكلف بالطبيعة ، فلم يحرق قلمه في ميدانها ، الا في لحات نادرة من لمحات الالهام ، لان ملكة الشاعر السليمة فيه نكته جادة التقاليد الا انه كان شاعر طبيعة أخرى لها كالطبيعة الكونية وهاد وسهول وقن ، وفيها ضياء وقام ، وتغريد ووجوم ، هي في وهادها وسهولها كرم ولين ، وفي جبالها وقننها شمم وعزم ، وفي ضيائها وتغريدها طرب وظرف ، وفي ققامها ووجومها ألم على مضض وتخفز للوثوب

تلك هي طبيعة النفس المصرية

وقد تميز حافظ ، في جميع ادوار حياته ، بذلك الاحساس المرهف ، الذي يتغلغل في هذه النفس الكريمة ، فيستبطنها وينفي فيها ، ولا سيما في حالات وجدها ولوعها ، ثم ينبثق من اغوار الالم مولوداً جديداً ، وقد ارتدى من كمال اللفظ ، وحلو النغم ، رداء الشعر العالي . ولذلك كان حافظ ، لسان هذه النفس قرابة اربعين سنة من الزمان ، طالما اشدق طرب فكان مزماراً ، وطالما رقى فوفى ووفى فكان لحناً كئيباً وعبرة ماثلة ، وطالما ندد وزجر فأنذر وأثار ، فكان بوقاً مدوياً للكفاح

ايها المحفل الكريم ، تجيء على الالم ادوار تنطوي فيها على نفسها ، فتفقد ثقتها بالحياة وينحدر مناظر أمانيها من مركب النجم ، الى مستوى التراب ، وتسام جوراً وعدواناً تحس بهما ولكنها لا تستجيب ، ويتراءى لها الحق ملثماً فلا تمزق اللثام والعز محصناً فلا تستبق اليه الاسنة والرماح ، ثم تدوي فيها صيحة الشاعر فتعصف بالقلب الهادئ كموجة طاغية والعقل المطمئن كفتنة مجتاجة وبالارادة الواعدة كاعصار عات . واذا الرماد في الموقد الخامد ينتثر شرراً . واذا الحق الذي كانت تراه ولا يحركها يزحف عليها وكأنه زوبعة من الرمل بدفعها الهبوب ، واذا الامة تنتفض انتفاضة البعث

وقد كان صوت حافظ المدوي في أيام التراخي، الجريء في أوقات المجاملة والتهافت، المحرك ببلاغته المستمدة من توهج الشعور، أحد الأصوات التي أحدثت هذه العجيبية في نفس الشعب المصري

هذا الاحساس الشعبي الصادق ، هو سر الامتياز في شعر حافظ ، وطد له في دولة الادب عرشاً ، وفي قلوب الشرقيين عامة ، والمصريين خاصة الف عرش وعرش وأيد زعامة مصر الادبية في اقطار الضاد باكات بينات جرت على الألسن وحفظها الشباب في المدارس وانشدها على المنابر وتعني بها في الحفلات وما زلت اذكر وقد انقضى ربع قرن من الزمان ان (غادة اليابان) كانت القصيدة العربية الاولى التي حفظتها كاملة مع انرابي ، في لبنان وانا في الحادية عشرة من العمر

أدمى قلب حافظ ان يرى أمته تتحكم فيها أيدي الاغراب ، وثارت نخوة الجندي في صدره ، فجعل من قلم الشاعر في يده ، بوقاً من أبواق الكفاح

قصر الدوبارة هل أذاك حديثنا فالشرق ريع له وضج المغرب

أحسنوا القتل ان ضننتم بعفو أقصاصاً أردتم أم كيادا
أحستوا القتل ان ضننتم بعفو أتقوساً أصبتم أم جادا
ليت شعري ألك محكمة التف تيش عادت أم عهد نيرون عادا

ان من يوجه الكلام على هذا النحو القوي المستفز ، الى قصر الدوبارة في مسهل هذا القرن لسكائه ينادي القوم الى النزال، فهو خليف على الاقل، بأن ينبه النفوس المنطوية على أم من مصب النيل الى منبعه . ان احساسها الباطن جرى على لسان حافظ شعراً بليغاً وشعوراً صادقاً ، في عشرات القصائد التي نظمها في دنشواي وكرومر والاستاذ الامام ومصطفى كامل وسعد زغلول

أنا لا ألوم المستشار اذا تعلل او تصدى
فسيله ان يستبد وشأننا ان نستعدا

ان شرر الثورة المصرية ، كامنة ومحتدمة، اتصل بنا وألهب نقوسنا أيها السادة ، اذ كنا نقرأ شعر حافظ الملتطى ووطنية متألمة ، ونحن احداث في ربي لبنان

الا ان حافظاً أدرك ببصيرة الشاعر النافذة ، وبداهته المهمة ، ان لا يكتفي بالنفخ في بوق الكفاح ، لان الشعب الذي يناجز خصمه ودهره ، وهو غير متقلد من العلم عدة ،

ومن الخلق العالي والرجولة سلاحاً ، مقضي عليه بالخيبة . فراح يجاهر قومه بعيوبهم ، باعثاً على أجنحة الشعر نداء المصلح ، فكان قلم الشاعر في يديه حافزاً من حوافز السكالك فهو أنا يؤنب

رجائي في قومي ضعيف كأنه جنان وزير سودته مناصبه
ودائي كداء الدين عز دواؤه وحظي كحظ الشرق نحس كواكبه
فياليت لي وجدان قومي فارتضي حياتي ولا اشق بما انا طالبه
ينامون تحت الضيم والارض رحبة لمن بات يأبى جانب الذل جانبه
وأنا يطالب بأخذ الالهة للكفاح :

من رام وصل الشمس حاك خيوطها سبباً الى آماله وتعلقا
وأنا يريد ان ينه بلاذع السخر :

أروني نصف مكتشف أروني ربع مخترع
ومن العجيب في حافظ ، وهو الذي نشأ نشأة عسكرية وادبية انه كان في طليعة شعراء
العربية المتأخرين الذين ادر كوا ما للعلم من المقام في الحضارة الحديثة ، وان العلم والاخترع
والصناعة ، سبيل الى القوة والسطوة اللتين يردها لقومه فأكثر من الاشارة الى ذلك في
شعره المتأخر ، ولكنني أكاد أو من الآن ، بأن من أوتي بصيرة الشاعر وبداهته ، تنجلي
له الحقائق في لمحات الالهام ، من دون ان يكبد العقل الواعي في دراستها واستيفائها

شهد العصر الذي نشأ فيه حافظ وترعرع وامتلات اعطافه رجولة ووطنية وفتحت
في نفسه ازاهير الشمر الندية ، فريقاً من الرجال الرجال ، كانوا ملء العيون والنفوس ،
علماء وفضلاً وحكمة وقوة . من الاستاذ الامام وجمال الدين والبارودي الى مصطفى كامل
وسعد زغلول الى قاسم امين وعلي يوسف وشيلي الشميل واسماعيل صبري ويعقوب صروف
والارض ابها السادة ، عمادها صدق الصالحين وقوتهم ، وحكمة الملممين وابداعهم .
ثم يقفونها من الادران ، بل ان الحياة لا تعذب ، وقد لا تحتل الا في صحبتهم او في كنفهم
وقد خالط حافظ هذا الرهط الممتاز من الرجال وارتبط بهم بروابط الود والاحترام ثم
رأى عقدهم ينتثر فريدة اثر فريدة ، حتى اصبح على قوله .

أو كلما ارسلت مرثية من أدمعي في اثر مرتحل

هاجت بي الاخرى دفين اسي فوصلت بين مدامع القل

فكان قلم الشاعر في يديه ريشة طالما رسم بها صفحات متألفة متأرجة ، من تاريخ مصر
الحديث ، في الدين والسياسة والعلم والادب . والغالب ان حافظاً كان اجود شعراً ، وأبلغ
نصوياً في مرثي أولئك الذين كانت حياتهم وما آثرهم تمت الى الوطنية المصرية والاصلاح

الاجتماعي لان هاتين الناحيتين من حياة الشعب كانا على مكانة في نفسه ، واجمع لعنايته ،
يشير حديثهما ، فيه تلك الهزة التي لا يكون الشعر بغيرها الا كلاماً موزوناً مقفى
وقد راجعت معظم ما قاله في الرثاء ، فالفيتة اجاد ايما اعادة ، في رثائه البارودي
ومصطفى كامل والاستاذ الامام وسعد زغلول ومن كان على طرازهم من اقطاب هذه البلاد
ايا قبر هذا الضيف آمال أمة فكبر وهلل والى ضيفك جايا

هنيئاً لهم فليأمنوا كل صائح فقد اسكت الصوت الذي كان عالياً
ومات الذي احيا الشعور وساقه الى المجد فاستجيا النفوس البوالي

ليت سعداً أقام حتى يرانا كيف نعلي على الاساس القبايا
قد كشفنا هديه كل خاف وحسبنا لكل شيء حسايا
حبيج المبطلين تمضي سراعاً مثلما تطلع الكؤوس الحبايا
حين قال (انتهت) قلنا بدأنا نحمل العبء وحدنا والصعابا
واتسعت وطنية حافظ الصادقة ، وترامت الى ما وراء الافق المصري ، مدر كاً قبل ثلاثين
سنة ما زلنا نرمقه بعين الامل ونسعى الى تحقيقه بالتبادل الادبي وتعزيزه بالرحلة والاجتماع
ان يختلف نسب يؤلف بيننا أدب أقمناه مقام الوالد
(ابو تمام)

فكان قلم الشاعر في يده رابطة من روابط الجوار :
هذي يدي عن بني مصر تصافحكم فصافحوها تصافح نفسها العرب

ايها المحفل الكريم : اذا اجتمع لامة في قلم شاعر ، بوق للكفاح ، وحافظ للكمال ،
وصفحة متألفة من التاريخ ، ورابطة قوية من روابط الجوار ، كما اجتمع لامة المصرية
الكريمة ، في قلم حافظ ، فقد فازت من الدهر باحدى فرائده ، اذ لايتاح لكل لامة في كل
جيل مثل هذه الهبة العلوية

واذا وضعت الحرب اوزارها ، وامتد رواق السلام والطمانينة ، نجب شاعر جديد ،
يحول البوق مزماراً وينتقل من الميادين الى الخمائل . ويبدل بالحن الطرب والرقص انغام
الزحف والقتال

ولكننا ايها السادة مع حاجتنا الى شعر الجمال والطمانينة والطرب على انواعه ، يجب ان نذكر
ان الحرب التي شهد حافظ مرحلتها الاولى ، قد انتقلت من ميدان الى ميدان
وانكم يا شعراء مصر لبا لغون بأبيات من الشعر ، اذا صدق الشعور ، ما لا يبلغه بعشرات
المقالات . فانهمضوا لها اذا شئتم ان تكرموا حقاً هذا الراحل الكريم ولكم من ذكره العطر
وأثره الحي وتقدير هذه الامة الوفية خير الجزاء
فؤاد صروف

جَدِّيْقَةُ الْمُقْتَضِفِ

غِيُو السَّاعِر

او اشعار فيلسوف

لخليل هنداي

النبي : لبوسكين

أمير شعراء روسيا



اشعار فيلسوف

١٨٥٤ — ١٨٨٨

[لخليل هنداي]

لعل طبيعة هذا العبقري كانت جبلة غريبة في انتاجها وجهودها الجبارة ، اقترن فيها عمل الخيال والحقيقة والفلسفة والشعر ، ولعل هذا الاقتران سرّ تحييه العبقريّة ليدل على ان الشعر والفلسفة هما مادتان تتحدان من مهوي واحد . وتسميان الى هدف واحد . ولقد اقام « غيو » على ذلك برهاناً واضحاً — برغم قصر عمره — وكأن جهوده الخفية كانت تلج عليه في اتمام رسالته قبل ان يداهم الموت . وكذلك أدى رسالته الرائعة ، وكان كلقائد العلم الذي يناديه واجبه هنا وهناك وهناك ، يزحف من مكان الى مكان ومن نظرية الى اختها ، ومن مبحث الى آخر . . . قله في الفن نصيب ، وله في دراسات الدين نصيب ، وله في الاجتماع والاخلاق نصيب ، وله في عالم الشعر والخيال نصيب نظم ديوانه « اشعار فيلسوف » في الرابعة والعشرين من عمره ، في سن التهاب الشعور وتأجيج العاطفة ، ولكن عقله كان المهيمن على ديوانه ، فيه جملة اهواء وعواطف يتصرف بها العقل بهدوء ، ولكل قطعة فكرتها السامية الفلسفية ، ولهذا اراك تصد عن شعره اذا كنت تكره التفكير ، وهذا لا يمنعنا ان نقول : ان شعره وان كان ثقیل الاجنحة كشيء الخيال ، تعوزه تلك الرقة الخالصة ، فهو مثال لشعر المفكر الذي يأخذ الفكرة العميقة عارية مجردة ، ويكسوها جناحين لتتحلق بهما في عالم الخيال

يمثل « غيو » في ديوانه هذا روح الفلسفة الهائمة القلقة التي تهبط حيناً وادي اليقين المطمئن ، وتهيم حيناً في شعاب الشك . وهذه الروح — برغم قلقها — تندفع بقوة لا تعرف التردد الى ارتشاف جمال الوجود والاندماج فيه ، وتراها في سبيل هذا الاندماج لا تبالي الاخطار ولا يثنيها عن بقيتها شيء . ومن ذا لا يشعر بذلك القلق الذي كان يدفع هذه النفس الى التنقيب في الجزر النائية والعوالم المجهولة . ومن ذا لا يحس حنان هذه الروح التأهية التي تعود العودة الى وجودها الاول كما تعود قطرة الندى الى الشمس . وراء كل هذا الطموح فكرة تدعو الى تضامن اجزاء

الكون واتحاد هذه الاجزاء حتى يصبح الوجود قيثارة واحدة تتجاوب أوتارها وتتلأم ألحانها

يقول غيو في مقدمة ديوانه محلاً مدرسته الشعرية « هنالك مدرستان في الشعر احدهما تتحرى عن حقيقة الفكرة وصدق التأثير ، وأمانة التعبير وبساطته ، حتى ترى ان المؤلف قد استحال انساناً . وفي هذه المدرسة لا ترى شعراً يخلو من فكرة او عاطفة تظهر عليه . والمدرسة الثانية ترى عكس ذلك ، فقيمة الافكار وعمقها — عندها — مسألة تابعة للشعر ، وروعة أخيلته وأوهامه لا ترتبط بالفلسفة ولا بالعلم ، وانما الشعر عندها لعبة خيال وأسلوب ، وأكذوبة رقيقة لطيفة لا ينخدع بها أحد حتى الشاعر نفسه . ألا ترى الممثل — لكي يؤثر في الناظرين ويخدعهم بحقيقة ذلك — تراه يغير صوته ويبالغ في حر كاته ، ويتجاوز الحد في التعبير عن عواطفه ، وكذلك الأمر في الفنان عند من يرون « ان الفطنة او المكيدة شرطاً ضروري للفن » وهم يريدون ان يكون الشاعر هو نفسه « يسمع قلبه »

ونحن لن نأخذ بهذا المذهب الثاني لانه يضحي بكل جد في الفن . ونرى على عكس ذلك ان الوسيلة الوحيدة لصيانة مقام الشعر ازاء العلم هي ان يطلب الحقيقة كما يطلبها العلم ، ولكن بغير وسيلته وأسبابه ، وعلى غير طرائقه . واذا كان من حقهم ان يقولوا ان الشعر هو أدنى الى الحقيقة من التاريخ أفلا يمكن ان يكون اكثر فلسفة من الفلسفة ذاتها ؟

قد يعترض علينا معترض بأن المسائل المجردة للفلسفة والعلم الحديث لم توضع بلغة شعرية ، فنجيبه : بأن الفلسفة — من نواح عديدة — تمس الاشياء الاكثر لمساً وأكثر ما هو أشد قبولاً للتأثير . لانها تصبح اذ ذاك عقدة وجودنا نفسه ومسألة مقاديرنا وحظوظنا . والفلسفة في عصرنا هذا تريد ان تحل محل الدين الذي كان يمد الشعر بينابيع مختلفة ، على ان لغة الفلسفة لا تنوع في الحقيقة باحتمال الشعر الا حينما تغدو مجردة ضيقة . ولكنها اذ ذاك قد يكون خسارها اكثر من ربحها . فأعمق المعاني تحمله في الغالب ألفاظ بسيطة . وهذه الالفاظ ، في استطاعة الشاعر ان يستعملها فيتصرف بها كما يريد التأثير . وبدلاً من ان ينفي العاطفة عن شعره يحيطها بالفكرة الفلسفية . وهذا النوع من التأثير الصادق الذي يرافق الفكرة الفلسفية هو ما نريد ان يهيمن على هذا الديوان . فيا ترى هل خدعنا ؟ ولكن هل يمكن ان يكون شيء اقوى من الحقيقة والصدق ؟ او اننا برغم كل ما تمنينا لم ندرك شيئاً ؟ القارئ وحده سيحكم !

وكذلك نشر « غيو » ديوانه سنة ١٨٨٠ وقامت له الاندية الادبية وقعدت، وكتب اليه « تين » بعد ان هنأه « ان رأي في عمق الفكرة كرايك » وكتب اليه « سبنسر » « وعلى الرغم من اني لا استطيع ان انظر الى اسلوبه الشعري واخيلته فاني استطيع ان اراه من حيث نتائج الادبية والفلسفية ، اني معجب بتركيب افكارك وعواطفك » . ورأى فيه « ستارشيت » علامة من علامات الشعر الخالد انه لا يفقد قيمة افكاره بالنقل ، وناقشه « كفيلسوف مثالي » يقول بالمثل الاعلى ، على ان الفكرة ليست كما يزعم « غيو » بانها « زهرة صفاء ، وزبد خفيف من امواج صفاء » وان الفكرة ذات قيمة خاصة وتأثير في الكون ^(١)

مختارات من شعر « غيو »

— ١ —

هذه تنقيب !

لما كنت طفلاً كنت احلم بالاسفار

وبالرحلات عبر الابحار

وتحت ناظري الحالم كانت تخطر شواطئ جميلة

طافية على الاوقيانوس في ضباب الغضاء

اردت اذ ذاك ان امشي ، وان اعمل ، وان اغرس حياتي بكتلاتي

وانا مرتاح الى النضال ، سعيد بالالم

باذلا بسخاء قواي المضطربة التي احسها في قلبي تجري مع دمي

وحينذاك تفتح يوماً لناظري أفق اكثر حلاوة واشد امعانا في الحرب .

من هذه المرايا الخفية القائمة على ارض مجهولة ، حيث كانت تحملني

اليها احلامي .

(١) هذه كلمة موجزة لاراهام كافية في توضيح هذه الشخصية . وقد آثرت تلخيص مذهبه ونظرياته الفنية في المقالات التي انشرها تحت عنوان « النظريات الفنية »

خيل الي اني ارى الحقيقة البعيدة تلمع
واحسست ان رجاء لانهاية له يعرف قلبي
فنسيت — به — كل فكرة انسانية ، لاقتني في الليل قبسها الالهى

مشيت طويلا ، والوعد الخالد يبسم لي دائماً في اعماق السماء الصافية
مشيت ، وعلى جيبني كانت فتوتي شاحبة ، ولكن املي كان ينمو مع الألم
فقلت : ان الألم يقيم قيمة الانسان ...
فدعوت الألم دون وجل ليملك على جسدي المنهوك
ايتها الحقيقة ! اريد ان اكون جديراً بك !

مضت الايام وحييت في احلامي ،
والافق الذي كان منيراً قد اظلمت نواحيه
وفقدت حماسي ونشاطي والايمان الذي يرفعني ويسمو بي
اصبحت منهوك القوى ، والرجاء في قلبي ذوى

والآن ماذا بقي لي ؟
هل احمل من التخوم المعبورة غصناً منزعاً او حطاماً ، او زهرة تعلق بها
عيني ، وافكاري تعود تجد شعاعاً من الايام الذاهبة ؟

لا ! أليس ثمة يقين تستريح اليه النفس ،
فالسماوات باقية على صمتها القدسي ،
ولكني — من اللانهاية القائمة — احسست شيئاً يدخل في قلبي النشوان
فيدميه !

— ٢ —

الفكرة

ايها الرسم النوراني الهائم
الذي يبسم ويدخل في نفسي ،
ايها السكّان المجنح ، الذي لا يستقر له جناح !
ايها الفكر المتحرك اهدأ !

ما أنت ؟ لا أدري ، وأراني انتظرك كالأمل ،
 فإلى أي مدى يستطيع نورك الفياض كشف الحقيقة ؟
 ربما كنت تحمل عالماً ، وربما كنت الحقيقة !
 أراني شاحب اللون ازاءك
 من خوف ومن رجاء معاً
 فما عسى ان يكون سرّك ؟
 بل ارتعش حين أحاول أن أقبض عليك .
 وجودي كله يحقق ويحيي لنظرتك العميقة
 فلماذا تطير عني سريعاً ، وتتوارى عن قلبي ؟
 لا تفر ! أيها الفكر الخالد ...
 سعيد من يستطيع ان يستبقيك !
 وسعيد من يطير على جناحيك ،
 الى أعمق ما في الغد ...

— ٣ —

النضاض

وكانت اشجار السنديان الجسداء تمد اذرعها لريح الشمال
 ولا يزال زعزع العاصفة يصفر في الجو
 وفوق رؤوسنا تتوذب الغيوم المجنونة كطيور ضخمة تأسرها الريح
 مشينا تعبين مقوسى الظهور ، حاملين بنصب رؤوسنا التي ناعت بأعباء الفكر
 وامام اعيننا تبين الطريق وعرة كالحياة ، وهي مثلها لا تنتهي
 وكنا نصعد دائماً
 وجأةً لاح من الغمام المفتوح لنا من الاعالي شعاع انار لنا البرية القفراء كأنه سقط على قلوبنا
 وفي هذه اللحظة القصيرة كم رعشة انسابت من الطبيعة الينا ، ومن الاشياء الى انفسنا
 وازاء ناظرنا كل شيء قد اختلف وأنشد وتبسم ، وشعرنا بأنفسنا بأن رقعة
 غريبة تنسل فينا . وخيل الينا ان السأم والالم يفران من هذه الفجوة التي فتحتها الشعاع
 واحسست اني اصبحت اكثر قوة وأملا
 فسألت نفسي « اية قوة غريبة تفيض علينا بيدها » !

ان شعاع شمس تستطيع اذاً ان تبدل قلباً ، والفكر الانساني الذي تقوده الصدف
حيث العالم يقوده اصبح لا يملك نفسه أليس عقلاً شبيهاً بهذه الشجرات التي
يهزها الريح ، ولا تدري من أمرها الا الانحاء للريح !
انني غير قادر — ما دام قلبي يخفق — على ان أدخل فيه في لحظة ما فرحاً
أو ألماً ، بل أراني لست حاكماً على دموعي !

بل ! لكي تنفر دمة من عيني ، او تتولد بسمه مني ، ينبغي ان ترضى عن ذلك
هذه الرغبة المتقلبة . وينبغي لشقائي وفرحي ان يكون في جو العالم الفسيح دمة
خرساء وشعاعه تجيب ؟

كنت أنف من شعوري بضآلتي في هذه الحياة .

وغير قادر على حبس نفسي في نفسي .

وحيداً مع فكركي ، حرّاً كاله .

ثم قلت بنفسي « لماذا هذه الكبرياء ؟ ان قصيدة أبدية تمر وتحي في الوجود .
أنا مقطع من مقاطعها ، او كلمة ، ولم أصر بيتاً من أبياتها .

وما همى اذا وجدت رقة تسكرني في هذا الشيد الالهي الذي يحملني ؟

أرن مع هذا « الكل » وما عسى يحديني ان أتبع هذه الكلمة العذبة : الحرية !
انني أوترعها كلمة اخرى هي : التضامن !

انها مساعدة بعضنا بعضاً ولحن متجدد . هكذا تتجلى الحياة في نفسي :

وجميل جداً الشعور بهذه الكائنات ترتعش معاً في هذه الوحدة الواسعة ،

كما يرى في الشعاع الواحد اضطراب الذرات الذهبية الساطعة في النور .

انا لاهلك لي بنفسي ، وكل كائن لا شيء دون الكل ، ولا شيء لوحده .

ولكن الطبيعة كلها ترن له في كل كائن ، وعلى حضنها الفسيح تتحد جميع

الكائنات متألقة متساوية

اني لا كاد احس الورد يتفتح في قلبي

واشعر مع الفراشة انني ألتهم الزهرة

وليس هنالك جهود مفردة ، ولا لذائد ذاتية

فالكل متألف متأسك ، يركض الهم والسرور من كون الى كون

وكونك هو كوني ، وكوني كوني

واريد ان يكون كونكم جميعاً كوني !

وان تكون سعادتني مشيدة على سعادة الكل

وان احمل في قلبي المتمدد — ولو تمزق — كل الانسانية

على ان فرحاً اكثر عمقاً واكثر سعة يخيل الي انه آت
 حيث لا يقدر احد ان يطرب او يتألم وحده.
 حيث كل شيء يتآلف ويمتزج من طرب وشقاء وفكر .
 حيث يتجاوب في النفس مغنياً صدى أبدي !
 وهكذا يؤلف جميع الناس بأيديهم المتصاخة سلسلة طويلة ، كل حلقة خافقة
 حية فيها لا تنظر الى اختها اذا ضربت الا باهتزاز
 لان الالم يكل حده — حين يجمع بين القلوب —
 ويرفعها لخفقة واحدة ، واذ ذاك يصبح رقيقاً كالرأفة ، شقيقاً كالرحمة
 لتتسع اذاً ولتتفتح قلوبنا لكل هزة من هذا الكون الفسيح ،
 ولننل نصيبنا من كل الآلام التي تهز اثقالها الكائنات المتمردة
 ولنطاب نصيبنا من اللمعات البعيدة التي تنتشر عليها كالآمال .
 هادمين اخيراً بأنفسنا هذا السد الابدي — سد الذاتية —
 عاكسين في انفسنا كل شعاع يصعد من الارض ، او ينحدر من السماء !
 ولكن من الطبيعة كلها عينها الصافية ..

— ٤ —

الموت الجميل

هنالك ورقة خلال رقدها في الليل ، تحدت عليها قطرة من ندى لبثت
 بمنجاة من الشمس
 قالت : اما هنالك شعاع فان يحرقني ، فأرى النهار اذ يتقظ !
 خرجت من بين الورق هاجرة الظل وقد سطعت الشمس لعينها ...
 فماتت بنورها وصعدت قطرة بخار خفيفة على جناح شعاع الى السماء .
 انا كهذه القطرة الخفيفة ، ناديك ايها النور لتخرج من فضائك العميق ...
 لقد ملكت الظل الابدي وجذبني لمعانك ايها النور ، فليتوقد صفائك في قلبي المحب
 الهني واثماني هما انت !
 ايتها الحقيقة اريد ان أتيه تحت شعاعك الطافح !
 الحقيقة — كما ادري — تؤلم . وشاهدة الحقيقة قد تكون هي الموت ؟
 ولكن ما هي ؟ أيتها العين انظري !

النبي : لبوشكين

١٧٩٩ - ١٨٣٧

سرتُ والنفس ظامئة ، متعثراً في قفرٍ قائمٍ ،
فرايتُ ماسكاً ذا ستة اجنحة حيث تلتقي الطريقان وتفرقان .
التي بأصابعه على عيني ، فكان لمسه رقيقاً كالنوم
ففتحت عيني ، وكأنهما عقاب هزّت الصخرة تحتها ،
والتي بأصابعه على اذني ، فارتفع الصوت فيهما صيحة بعد صيحة
فسمعت الاجرام تدور وتصدح ، والملائكة تجرّ اذيالها في الفضاء
والوحوش تتحرك في الاغوار ، والكرمة تعرش في الوادي .

واستلّ الملك لساني الخاطيء من فمي
ويدهم محاً كل ما ثرت به من الاقوال الفاسدة
ثم التي بيده المملوطة بالدم لسان الحية الحكيمة مكانه .
ثم شق صدري بسيف ونزع القلب الخافق له .
ووضع محله في حشاي الدامي فحة متأججة النار .
فاستلقيت في ذلك القفر كتلة من التراب لاهية فيها
وسمعت صوت الله :

« انهض ايها النبي ، راقب واضع ، واحزم امرك بمشيئتي »
« طف بالبحار الغبر ، وجوّل في الطرقات المظلمة »
« واشعل النار في قلوب الناس ، بكلمتي ! »

سِيرُ الزَّمَانِ إِلَى

خريطة العالم

كيف تبدلت بعد الحرب الكبرى
لهوستاند رمزي ميور

اوستن تشمبرلين



خريطة العالم

كيف تبدلت بعد الحرب الكبرى^(١)

للمستشار رمزي ميور

١ — خريطة أوروبا الجديدة

يلد لنا ان ننقل من الكلام على الشروط الأدبية في المعاهدة — وهي الشروط التي لا بد أن تكون لحسن الحظ موقوتة قصيرة الأجل — الى الكلام على التعديلات السياسية الكبرى التي يحتمل ان تكون أبقى من الاولى وأدوم

لقد كان على الدول التي تولت وضع التسوية ان ترسم خريطة جديدة لجزء كبير من أوروبا، لأن ألمانيا وتركيا قد ذهبت ريجهما ، والامبراطورية النمساوية قد تضعضت أركانها ، والدولة الروسية قد انفصلت عنها ولاياتها الغربية ، ولبثت تنتظر أن يوضع لها نظام حكم جديد . ولذلك كانت التغيرات التي حدثت وقتئذ أعظم من كل ما تم في أية معاهدة أخرى في التاريخ الحديث ، لا نستثني من هذا التعميم ما أحدثته حروب نابليون من تعديلات سياسية واسعة النطاق لكنها قصيرة الاجل . واتخذت الدول رائدها في رسم الخريطة الجديدة مبدأ القومية ، وحاولت محاولة شريفة ان تجعل حدود الدول منطبقة على حدود الامم ، فتم ذلك التطور الذي كان في خلال القرون السبعة الأخيرة يعمل بالتدرج ومن غير قصد واضح على تشكيل خريطة أوروبا السياسية على أسس قومية . واتخذت اللغة في معظم الأحيان أساساً للقومية ، وان كان التاريخ قد دل في أحوال كثيرة على ان وحدة اللغة لا تقوم دليلاً على وحدة الشعور الذي هو أساس القومية . على ان هذا المبدأ لم يتبع في كل الاحوال

ففي شرق أوروبا بقاع واسعة تختلط فيها اللغات اختلاطاً شديداً يظهر لكل من يطلع على خريطة للغات ، وقد بلغ من اختلاطها أن احتاطت الدول احتياطاً خاصاً لحماية الاقليات في هذه البقاع ، فوضعت لذلك عدّة معاهدات ضمنت تنفيذها عصبة الامم . وكانت القرارات الخاصة بذلك الجزء من أوروبا بصفة عامة بحجة بدول الاعداء السابقين . فقد عينت الحدود بين

(١) هذا المجال جانب من فصل « التسوية التي اعقبت الحرب » في كتاب « النتائج السياسية للحرب الكبرى » تأليف رمزي ميور استاذ التاريخ الحديث بجامعة منشيستر سابقاً وترجمة محمد بدران ناظر مدرسة بنبا قدن الابتدائية ونشر لجنة التأليف والترجمة والنشر نقله هنا ليكون لقارئنا بمثابة سند في كل ما يقال عن تنقيح الحدود الاوربية والمطالبة بالاستعمارات ونشر عثرائنا بانتفاء هذا الكتاب لمطالعة مع نصوص سير الزمان

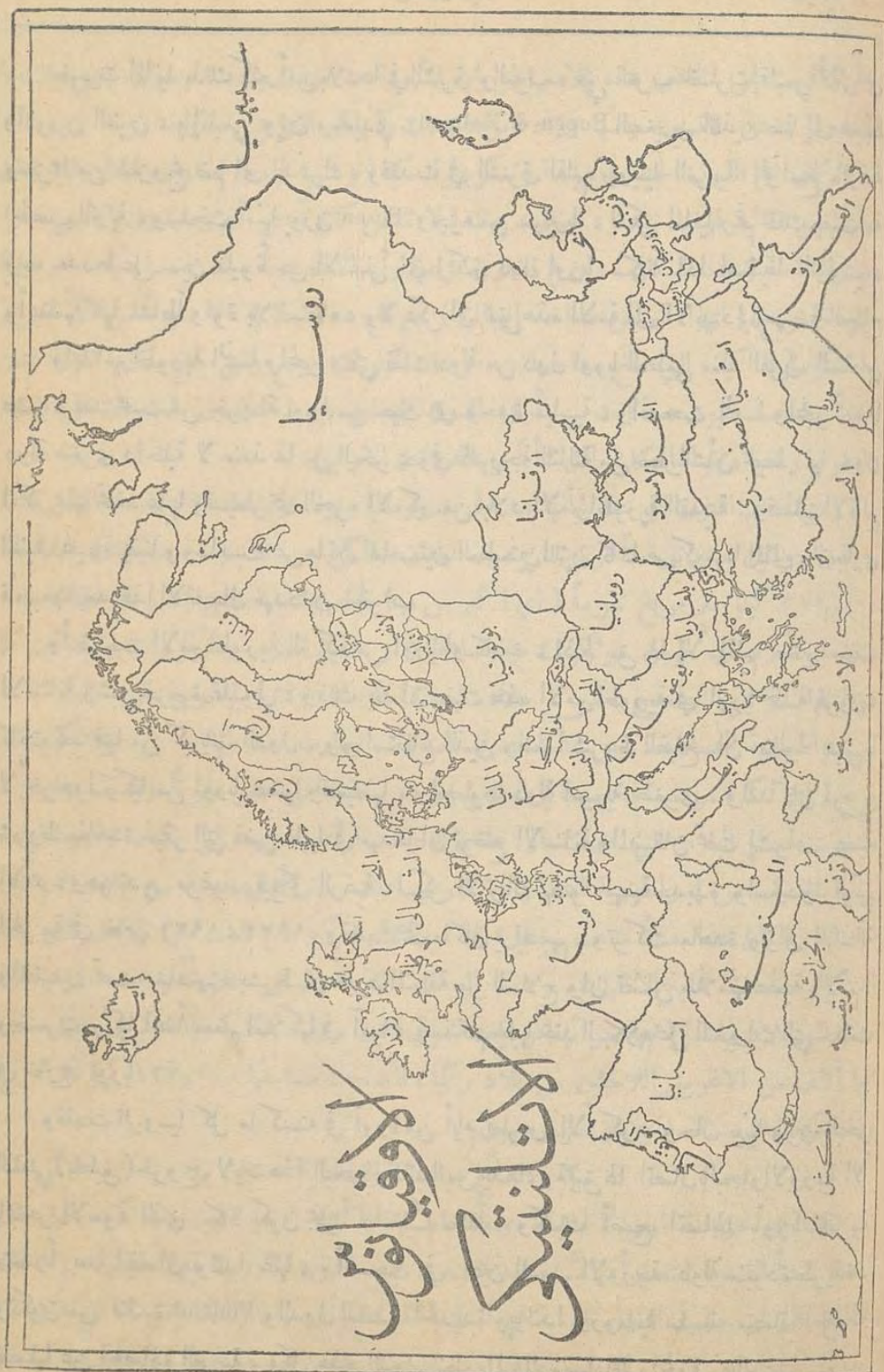
ألمانيا وبولندا بحيث ترك تحت حكم الدولة الأخيرة مليونان ونصف مليون من الألمان ، وفصلت ولاية بروسيا الشرقية الألمانية عن بقية ألمانيا وأحيطت من معظم نواحيها بأراضي بولندية ، وأخضع ثلث أهل المجر لحكم رومانيا ويوغسلافيا وتشكوسلوفاكيا ، وأصبح النمساويون الألمان محصورين في حدود ضيقة ، لا تفي بلادهم بحاجة عاصمتهم الكبيرة مدينة فيينا . ومع ذلك فقد حرم عليهم بناتاً أن ينضموا الى جيرانهم الألمان لكيلا تقوى ألمانيا باتحادهم معها ، وإن كان انضمام الشعبين يطابق مبدأ القومية . وكذلك أخضع عدد كبير منهم في إقليم الترنـت Trent لحكم إيطاليا ليعزز مركزها في الشمال ، ولم توضع لحماية هؤلاء الرعايا الإيطاليين الجدد معاهدة أقليات ، لأن إيطاليا دولة كبرى ، مع أن الحوادث قد دلت على أنه ليس في أوربا كلها طائفة هي أحوج منهم الى هذه الحماية

كذلك أغفل مبدأ القومية القائم على أساس اللغة في حالة الأتراس واللورين . فقد أعيدت هاتان الولاياتان الى فرنسا بحجة قوية هي أن عواطفهما فرنسية وإن كانت اللغة السائدة فيهما هي الألمانية . وكان ذلك اعترافاً بأن اللغة وحدها ليست أساساً كافياً للقومية

ومدت حدود بولندا إلى ما وراء البلاد التي يتكلم أهلها اللغة البولندية ، وكانت حجة واضعي التسوية أن هذه الأراضي الزائدة كانت جزءاً من بولندا القديمة قبل تقسيمها في القرن الثامن عشر . لكن الرغبة في تقوية بولندا لتكون حصناً يقيهم شر ألمانيا من جهة وشر روسيا من جهة أخرى ، قد يكون لها أثر في هذا القرار . ومهما يكن سببهُ فقد سويت حدود بولندا من الشرق بنزول روسيا عن بعض أملاكها ، واكتفت بمعاهدة الصلح بتحديد التخوم الغربية

واخذت آراء السكان لتقرير مصيرهم في حالات قليلة ، منها إقليم شلزوـيـج الذي يتكلم أهله اللغة الدنمركية ، وفي الجزء الجنوبي من بروسيا الشرقية وجزء من بروسيا الغربية ، وفي سيليزيا الجنوبية وإقليم تشن Teschen الصغير . وكانت نتيجة الاستفتاء في شلزوـيـج أن قسمت المقاطعة التي هي موضوع النزاع تقسيماً معقولاً بين الدنمرك وألمانيا . أما في بروسيا الشرقية فكانت الأغلبية الساحقة في جانب ألمانيا ، وأجري الاستفتاء في سيليزيا الجنوبية عام ١٩٢٠ تحت إشراف عصبة الأمم ، فكانت النتيجة أن قسم بين بولندا وألمانيا إقليم غني بالفحم ، يكون من الوجهة الاقتصادية وحدة متماسكة ، وإن اختلفت لغة أهله ، ولذلك وضعت قيود شديدة لمنع اضطراب الإنتاج في هذا الإقليم

وكانت نتيجة هذه التغييرات كلها أن اختفت وحدات سياسية قديمة من خريطة أوربا ، أو بقيت بصورة مصغرة ، وإن ظهرت في عالم الوجود وحدات جديدة لتضطلع بدورها على مسرح السياسة في المستقبل



خسرت المانيا بذلك كثير من بلادها في الشرق والغرب ، ففي الغرب خسرت إقليمي الازناس والاورين الغنيين ، وإقليم يوبين وملبيدي Eupen & Malmedy الصغيرين اللذين ضما إلى بلجيكا وجزءاً من شلزوج ضم إلى الدنمرك ، وفقدت في الشرق إقليم بروسيا الغربية الواسع الرقعة الخصب التربة ، وسلخت منها پوزن Posen وجزء من سيليزيا . لكن المانيا رغم ذلك بقيت امة يزيد عددها على ستين مليوناً من الانفس اي اكثر دول اوربا سكاناً اذا استثنينا روسيا ، وأعظمها كلها نشاطاً وقوة بلا استثناء ، ولا يمكن ان تبقى هذه الامة الى الابد ذليلة مهينة الجناح واما امبراطورية النمسا والمجر ، التي ظلت دولة من دول اوربا العظمى منذ القرن السادس عشر ، فقد بحيث من خريطة اوربا من حيث هي وحدة سياسية ، واصبحت النمسا والمجر كلتاهما دولة صغرى داخلية لا منفذ لها على البحر ، وفي الدرجة الثالثة من خطر الشان تحيط بها دول اكبر منها تحقد عليها وتسيطر على الجزء الاكبر من بلاد الامبراطورية القديمة . وفصلت الاقاليم الفنية المحيطة بشينا وبودابست عن هاتين العاصمتين العظيمتين اللتين كانتا من كرتيهما المالي والتجاري فأصبحنا بعد هذا الانفصال مهددين بالخراب

وأخرجت الامبراطورية التركية من اوربا او كادت ، اذ لم يبق لها إلا إقليم صغير خلف الاسطانة وشبه جزيرة غليولي ، وذلك بعد ان بقيت هذه الامبراطورية في اوربا خمسة قرون ، كانت تعد فيها من كبريات الدول . ولو استطاع الذين وضعوا شروط الصلح ان ينالوا بقيتهم ، لأخرجوا تركيا من اوربا بقضها وقضيضها ، ولجعلوها دولة اسيوية صغرى . ولقد كان من شروط معاهدة سيفر التي قضى عليها في مهدها ان توضع الاسطانة والمضيقان تحت إشراف عصبة الأمم ، وهو تدبير مرغوب فيه كل الرغبة . لكن الاتراك نهضوا نهضة جديدة واستردوا قوتهم الحرية في عامي ١٩٢١ ، ١٩٢٢ ، وقضوا على ما كان يراد بهم . وتركت معاهدة لوزان الاسطانة والمضيقين تحت سيادتهم ، بشرط ان تجرد المنطقة من السلاح وان تضمن سلامتها عصبة الأمم . وخسرت تركيا ايضاً معظم املاكها في آسيا ، وسنتكلم عليها عند الكلام على التغيرات التي حدثت في خارج أوربا

وفقدت روسيا كل ما كسبته في أوربا من أيام بطرس الأكبر ، وحال بينها وبين البحر البلطي (بلطيق) خروج ولايات هذا البحر وفنلندا من يدها ، ولم يبق لها اتصال بالبحار الاوربية الا بالبحر الاسود الذي يكاد يكون بجزراً داخلية مغلقة . وكذلك أصبح اتصالها بأوربا الغربية متعذراً بعد انفصال پولندا عنها ، وأصبحت في أعين الدول الاوربية دولة منبوذة طريدة . وتكون من فنلندا Finland والدول البلطية الجديدة وبولندا ورومانيا سلسلة متصلة الحلقات تفصلها عن الحضارة الغربية . وكل هذه الدول تنظر الى روسيا نظر الخوف والرعب

وأقيمت على انقراض هذه الامبراطوريات المهتمة عدة دول جديدة وضمت بعض بلادها الى دول قديمة ، فانسعت رقعتها وزاد عامرها وعلت كلمتها في الشؤون الدولية وكان أهم الدول الجديدة بولندا وتشكوسلوفا كيا (بوهيميا) ، وقد استمدت هاتان الدولتان قوتها من تقاليد قومية تليدة ، فصارت بولندا لا تقص كثيراً عن أقوى الدول الاوربية من حيث المساحة وعدد السكان ، وان لم تضارعها في مقدرتها الاقتصادية . بلغت مساحتها ٣٨٠.٠٠٠ كيلو متر مربع (اي أكبر من مساحة إيطاليا) . وبلغ عدد سكانها ٢٩ مليوناً من الأنفس . أما تشكوسلوفا كيا ، التي تبلغ مساحتها ١٤٠.٠٠٠ كيلو متر مربع والتي يبلغ سكانها ثلاثة عشر مليوناً ونصف مليون ، فكانت من أرقى الدول الصناعية ، وبقية الدول الجديدة هي فنلندا واستونيا ولتفيا ولتوانيا وكلها اقل شأنًا من الدولتين الاوليين

ومن اعظم الدول التي علا شأنها بعد الحرب رومانيا ويوغسلافيا Jugo-Slavia ، اللتان كانتا من قبل دولتين صغيرتين متأخرتين من دول البلقان ، لكن رومانيا بعد الحرب بلغت مساحتها ٣٠٠.٠٠٠ كيلو متر مربع تقريباً (اي أكبر من مساحة بريطانيا العظمى) ، وبلغ سكانها سبعة عشر مليوناً ونصف مليون . وتكونت يوغسلافيا (او مملكة الصرب والكروات والسلوفين كما هو اسمها الرسمي الصحيح) من بلاد الصقالبة (Slavonic) الجنوبية التي كانت تابعة للإمبراطورية النمساوية ، ومن مملكة الصرب الصغيرة ، فصارت مساحتها ٢٥٠.٠٠٠ كيلو متر مربع (اي أكبر من مساحة بريطانيا العظمى) وبلغ سكانها اثني عشر مليوناً ونصف مليون . وأخذت معظم البلاد التي ضمت الى هاتين الدولتين الجديتين ، والتي زادت رقعتها زيادة فجائية عظيمة ، من إمبراطورية النمسا والمجر ، وهي اعظم ثروة وأرقى مدينة من بلاد الدولتين الاصلية ، فكان هذا منشأ متاعب خطيرة لهما . ولذلك لم يكن من العيب ان تفرض على كلتا الدولتين معاهدة لحماية الاقليات . وكانت اليونان ثالثة الدول التي علا شأنها بعد الحرب فقد ضمت اليها بلاد واسعة اهمها جزائر بحر ايجه الشرقي الجميلة . وزاد سكانها زيادة كبرى حينما انتقل اليها آلاف من الاغريق اللاجئين من بلاد تركيا ، فأصبحت مساحتها ١٢٧.٠٠٠ كيلو متر مربع وزاد سكانها الى ستة ملايين ونصف مليون

٢ — نتائج سياسية واقتصادية

تلك هي خريطة اوربا الجديدة بوجه عام . فاذا كان اثرها ؟ اول ما نذكره انها تمثل انتصار مبدأ القومية انتصاراً نهائياً ، فقد أصبحت جميع الدول الاوربية دولاً قومية . وقد دل التاريخ على ان حدود الدول القومية هي اثبت الحدود وأدومها ، ولذلك يحق لنا ان نأمل ان سبباً من اهم اسباب القلق والاضطراب في اوربا قد قضي عليه ، بصرف النظر عما ارتكب من اخطاء

لكن انتصار مبدأ القومية على هذا النحو قد خرج عن حد الاعتدال ، فقد تركت له السيطرة الكاملة على جميع الشؤون الاقتصادية والحرية ، وعد من البديهيات ان لكل دولة ذات سيادة الحرية المطلقة في تقدير رسومها الجمركية ، و ارادت الدول الجديدة ان تحقق ذلك الغرض الحداد وهو الاكتفاء بالنفس ، فأخذت تعمل للوصول اليه بأقامة الحواجز الجمركية العالية . ولما كانت الحدود السياسية الجديدة قد قطعت المسالك التجارية القديمة ، فإن هذه الحواجز ضاعفت العقبات القائمة في سبيل التجارة الدولية حينما كانت في اشد الحاجة الى الانتعاش ، واخذت هذه الحواجز تزداد وتشتد عما كانت عليه قبل الحرب ، حتى جعلت انتعاش اوربا وخروجها من الاضطراب الاقتصادي الذي سببته الحرب بطيئاً جداً

اما من الوجهة الحرية فان الآثار التي ترتبت على انتصار مبدأ القومية انتصاراً كاملاً كانت اكثر وبالأمر من الآثار الاقتصادية ، ذلك بأن احداً لم يفكر حتى في تحديد قوات الدول الجديدة ، في الوقت الذي ارغمت فيه الدول المغلوبة على تخفيض قواتها الى اقصى حد ، وعلى الغاء نظام التجنيد الاجباري . ولذلك قررت الدول الجديدة نظام التجنيد الاجباري ، وأنشأت لها جيوشاً جرارة في الوقت الذي خفض فيه الجيش الالماني ، وبقيت جيوش الدول الاخرى بعد الحرب كما كانت قبلها ، اي كما كانت حينما بلغت المنافسة في التسليح غايتها وبذلك اصبح واجب نزع السلاح الذي بقي على عاتق عصبة الامم اشق مما كان يجب ان يكون

ومن اكبر دواعي القلق ما كان يبدو من رغبة الدول في العودة الى ذلك النظام الفاسد القديم نظام التحالف . ذلك بأن الحرب قد خلفت وراءها كثيراً من المخاوف والاحقاد ، فلم تكن الامم حينئذ مستعدة لان تعهد بسلامتها الى عصبة الامم ، لأنها كانت تخشى ان يعمد أعداؤها المنهزمون الى الانتقام لان أنفسهم ، ولذلك عادت الى الاساليب الخطرة القديمة اساليب التحالف الدفاعية . كانت فرنسا تساورها المخاوف من انتقام المانيا (كما كانت المانيا تخشى انتقام فرنسا بعد عام ١٨٧٠) ، ولذلك اصررت على الاحتفاظ بجيش كبير يمكنها من ان تعي في ميدان القتال في وقت قصير مليونين من الجنود كاملي العدة . ولم تكف بذلك بل وثقت صلاتها ببولندا وتشكوسلوفا كيا جارتها المانيا من الشرق والجنوب ، وان لم ترتبط معهما بحلف رسمي ، وأعطتهما ضباطها ليساعدهما على تنظيم جيوشهما . وكذلك فعلت الدول « الوارثة » وهي التي ورثت معظم املاك الامبراطورية النمساوية القديمة ، فانها لحوفها من انتعاش دولة المجر المحطمة كونت حلفاً دفاعياً قبل ان يحجب المداد الذي كتبت به معاهدات الصلح وسمي هذا الحلف بالحلف الصغير ، وضم تشكوسلوفا كيا ورومانيا ويوغوسلافيا . وفي هذا دليل كاف على ان لواء السلم الحقيقي لم يخفق على اوربا عندما وقعت معاهدات الصلح

وكان من اهم النتائج التي اسفر عنها التقسيم الجديد نتيجة لم يدرك كنهها حق الادراك وقتئذ ، وهي ان هذا التقسيم قد احدث تغييراً كبيراً في التوازن الدولي بين البلاد الاوربية ، وقلل كثيراً من تفوق الدول الكبرى . لقد كان في اوربا قبل الحرب ست دول عظمى يزيد سكان كل منها على ثلاثين مليوناً ، وهي بريطانيا العظمى ، وفرنسا ، والمانيا ، والنمسا والمجر ، وايطاليا ، والروسيا ، اما غيرها من الدول فلم يكن يسكنها اكثر من عشرة ملايين إلا اسبانيا التي يبلغ اهلها عشرين مليوناً . وكان ثمة خمس دول سكنها بين مليون وخمسة ملايين وعشرة ، وست دول بين مليون وخمسة ملايين وثلاث سكنها اقل من مليون

لكن هذه الحال قد تغيرت كل التغير بعد التقسيم الجديد ، فنقص عدد الدول العظمى من ست الى اربع لان دولة النمسا والمجر بحيث من خريطة اوربا ، ولان الروسيا أخرجت نفسها ولو الى حين من اسرة الدول الاوربية . اما الدول الثانوية التي يتراوح تعداد سكانها بين عشرة ملايين وثلاثين مليوناً ، فزادت من واحدة الى خمس ، وهي اسبانيا وبولندا ورومانيا وتشكوسلوفاكيا ويوغوسلافيا . وزاد عدد الدول التي يتفاوت سكانها بين خمسة ملايين وعشرة من خمس الى ثمان ، والتي بين مليون وخمسة ملايين زادت من ست الى ثمان ، وبلغ عدد الدول المستقلة في اوربا تسعاً وعشرين دولة بعد ان كانت اثنتين وعشرين ، ولم يعد هناك ذلك البون الشاسع بين كبار الدول وصغارها كما كانت الحال في القرن التاسع عشر . ومعنى هذا ان ما كان للدول العظمى في قديم الزمن من سيطرة وسلطان قد زال ، وكان تكوين العصبة في حد ذاته دليلاً على هذا الزوال واهم من ذلك ان معظم الدول المنظمة في خارج اوربا من الصين الى بيرو ايقنت ان مصيرها مرتبط بشؤون اوربا ، ولذلك بدأت تضطلع بدور هام في الشؤون العالمية ، بعد ان اشتركت في الحرب وفي مؤتمر الصنح . لم يكن في خارج اوربا دول كبرى قبل الحرب إلا الولايات المتحدة واليابان ، اما بعدها فقد اخذت اكثر من عشرين دولة من غير دول اوربا تطالب بحقوقها في ان يكون لها رأي في الشؤون الدولية . ومن هذه الدول اثنتان (الهند والصين) تفوقان كثيراً اعظم الدول الكبرى اذا عدنا اساس التفوق ذلك الاساس العرفي السالف الذكر وهو تعداد السكان لكن هاتين الدولتين لاسباب عدة لا يقام لها وزن كبير في الشؤون الدولية . وثمة دولة اخرى غير اوربية (البرازيل) اصبحت في المقام الثاني بين الدول «المقتطف» والارجنتين من هذا القبيل ، وتسع اصبحت في المرتبة الثالثة ، وثمان في الرابعة ، اما سائر الدول فدويلات عديمة الشأن

وهذه الحقائق تنبئ بافتتاح عهد جديد في العلاقات الدولية يدل عليه انشاء عصبة الامم . لقد كانت هناك دكتاتورية اوربية تسيطر على الجزء الأكبر من العالم ، وتمثلها طائفة من الدول الكبرى ترتاب كل منها في نيات الاخرى . هذا النظام اخذ يحل محله بالتدرج نظام عالمي ليس

لأوروبا فيه ما كان لها من شأن في الاربعة القرون السابقة ، ولا بد فيه للدول العظمى في أوروبا وخارجها ان توطن نفسها على الاشتراك والتشاور مع غيرها من الدول

٣ - التغيرات التي حدثت في خارج أوروبا

لقد سببت الحرب الكبرى أو مجلت حدوث تغيرات هامة في خارج أوروبا ، لكن اهم هذه التغيرات حدث بالتدريج وبطريقة غير مباشرة ، ولم ينص عليه في معاهدات الصلح ، وهذه سنحاول بحثها في فصل آخر . اما هنا فسنبحث النتائج التي اسفر عنها مؤتمر الصلح : أهم تلك النتائج ان المانيا انتزعت منها كل مستعمراتها واقتسمتها الدول المنتصرة ، وان تركيا فقدت معظم أملاكها الآسيوية التي ظلت خاضعة لسلطانها منذ القرن السادس عشر ، وان دولاً شبه قومية تحت حماية بريطانيا وفرنسا تكونت في الجنوب الغربي من آسيا

وانتقلت هذه البلاد الى الدول المنتصرة باتفاقها فيما بينها ، لكنه انتقال يختلف عما كان يحدث في الماضي عقب الفتوح والانتصارات . ذلك ان الدول الغالبة اتدبت لتدير هذه الاملاك الجديدة نيابة عن عصبة الأمم ، وقبلت اشراف العصبة على هذه الادارة . وقُسمت الانتدابات ثلاثة اقسام مختلفة : اولها الانتداب الخاص بالبلاد التي يرجى أن تصبح دولاً مستقلة قائمة بنفسها على مر الزمان ، وهذه هي البلاد التي سلخت من تركيا . وثانيها الخاص بالاقاليم التي يسكنها اقوام معظمهم متأخرون في حاجة الى الوصاية الى أجل غير مسمى ، ومثلها اقاليم افريقية الاستوائية . والثالث هو الخاص بالاقاليم التي يرجى ان تنضم في يوم من الايام الى الدول المجاورة لها وان تكون مساوية لها في المنزلة ، ومثلها جنوب افريقية الغربي الذي يحتمل أن يصبح في آخر الامر جزءاً من افريقية الجنوبية المتحدة

بهذه الطريقة قسمت المستعمرات الالمانية بين فرنسا وبريطانيا العظمى والاملاك البريطانية المستقلة واليابان ، على ان يراعى في حكمها هذه الانواع من الانتداب ، فاستولت فرنسا على المستعمرتين الواقعتين في وسط املاكها الافريقية وهما مستعمرة الكمرون (Cameroon) الواسعة ، ومستعمرة توجولندا الصغيرة (Togoland) بعد ان ضمت منهما اجزاء الى مستعمرتي نيجيريا (Nigeria) وساحل الذهب (Gold Coast) البريطانيتين

واستولت بريطانيا على اهم مستعمرات المانيا وهي بلاد تنجنيقا (Tanganika) التي يمكن ضمها الى المستعمرات القديمة — كينيا (Kenia) وأوغنده (Uganda) ونيبالند (Nyassaland) — ليكون منها كلها مستعمرة كبرى في شرق افريقية . واعطيت بانجيكا جزءاً صغيراً من تنجنيقا لتعديل حدود املاكها الواسعة في بلاد الكونغو . واعطيت استراليا غانة الجديدة (New Guinea) الالمانية وأرخيل بسمارك (Bismarck) وضمت الجزائر الالمانية

في المحيط الهادي الجنوبي الى زيلنده الجديدة ، بعد ان نزلت لها بريطانيا عن معظم جزائر هذا المحيط . وأخذت اليابان الجزائر الالمانية في المحيط الهادي الشمالي كما اخذت ولاية كيوتشو (Kiao - Chao) الصينية . وكان استيلاء اليابان على كيوتشو مضافاً الى ما انتزعت من الامتيازات في الصين أثناء الحرب نذيراً بجعل اليابان الدولة المسيطرة على تلك البلاد . لكن هذه السيطرة قد نشأ عنها متاعب حمة ادت الى تعديلها فيما بعد

ولم يكن تبديل السيادة على هذه الاملاك ليختلف في معناه عن المساومات الكثيرة التي كانت تحدث بين الدول الاوربية عند ما اقتسمت افريقية وجزائر المحيط الهادي في الجيل السابق للحرب . لكن التغيرات التي حدثت في الدولة التركية كانت اكبر دلالة وأعظم شأناً ، فلقد كانت هذه التغيرات كلها ترمي الى القضاء على السيادة التركية الخربة التي حالت دون تقدم الجزء الجنوبي الغربي من آسيا اربعة قرون كاملة ، والى تحرير الشعوب التي طال عهد خضوعها لنير الاتراك . ولو تمكن واضعو التسوية من نيل بغيتهم لجعلوا تركيا دويلة حقيرة في قلب آسيا الصغرى . ذلك بأن معاهدة سيفر التي قضى عليها في مهدها قررت ان يؤخذ من الترك الاسلحة والمضيقان وان يخرج الاتراك من اوربا ، ويحرموا فوق ذلك اخصب بقاع آسيا الصغرى ، وهو جزءها الغربي الذي كان في وقت ما اغني ولايات الامبراطورية الرومانية . وقد اعطي هذا الجزء لليونان كما اعطي الطرف الجنوبي الغربي الى ايطاليا التي كانت تسيطر منذ عام ١٩١١ على جزيرة رودس وجزائر الدوديكانيز . ولو تم ذلك لاستحوذت ايطاليا على اقليم غني تستعمره وينزع اليه الزائدون عن سكانها . واريدها ايضاً ان تساخ ارمينيا Armenia الواقعة في الشمال الشرقي من آسيا الصغرى من جسم الدولة التركية ، وان توضع تحت حماية إحدى الدول الغربية لكي تتاح للارمن فرصة للنهوض والحياة بعد ان كادت تقضي عليهم المذابح المتعددة . لكن اميركا التي عرضت عليها هذه الامانة الثقيلة الشاقة أثبت أن تحملها . ثم نهض الاتراك نهضة قوية بقيادة مصطفى كمال باشا فآلقوا باليونان في البحر ، وهددوا القوى البريطانية التي كانت مرابطة في جنائ لحماية المضيقين ، ومزقوا معاهدة سيفر شرمزق ، وانتزعوا من سادة اوربا الحاكين بأمرهم فيها معاهدة اخرى في لوزان عام ١٩٢٣ أبقت لهم كل آسيا الصغرى وجزءاً صغيراً من اوربا

اما بقية البلاد التي كان يمتلكها الاتراك فقد خرجت من ايديهم خروجاً ابدياً على ما يظهر فصر التي كان للسلطان عليها سيادة اسمية حتى وقت اعلان الحرب أعلنت عليها الحماية البريطانية في عام ١٩١٤ ، واعترف مؤتمر الصلح بضم هذه البلاد الى الامبراطورية البريطانية مع ان المصريين كانوا يطالبون بالاستقلال الذي نالوه بعد ذلك بزمان قليل . وأما العرب سكان الجزيرة نفسها ، والبدو سكان بادية الشام ، فانهم لم يكونوا في يوم من الايام راضين بحكم الترك ، وكان

معظم أمرهم يدهم . فلما قامت الحرب ثاروا على الأتراك بزعماء أمير الحجاز وتحريض الكولونل لورنس ذي الشخصية الروائية الغربية ، وكان لهم شأن كبير في الحروب التي انتهت بطرد الأتراك من بلاد الشام في آخر ادوار الحرب العظمى . وفي الوقت نفسه اخرج الانجليز الترك من بلاد العراق اقدم بلاد العالم مدنية ، وبذلك كان لابد من تنظيم تلك البلاد الواسعة بلاد الشام والعراق وجزيرة العرب فأنشئت فيها خمس دول جديدة :

(١) شمال سوريا وكان من نصيب فرنسا تديره منتدبة عن عصبة الأمم ، وكانت تلك البلاد فيما مضى غنية ذات رخاء وفيها مدن انطاكية وحلب وصور القديمة وبيروت الحديثة ، وكان القرض من الاتداب أن تسعد هذه البلاد لحكم نفسها بنفسها

(٢) أرض فلسطين المقدسة الصغيرة وقد جعلت وطناً قومياً لليهود تحت حماية بريطانيا تديرها بالنيابة عن العصبة . وكانت مهمة التوفيق بين مطالب اليهود المهاجرين الى تلك البلاد المهمة ، ومطالب العرب سكانها الأصليين مهمة شاقة للغاية . لقد حاول مؤتمر الصلح فيما حاول أن يصلح أغلاط الماضي وأن يحيي الآمال والذكريات القديمة ، فأعاد الى الوجود مثلاً دولة بولندة ، وأحيا تقاليد بوهيميا القديمة ، ولكن أغرب ما حاوله وأقربه الى الروايات الخيالية مشروع اعادة اليهود الى وطنهم القديم ، الذي كانوا يسكنونه منذ ألفي عام

(٣) وأنشئت في بلاد الجزيرة القديمة ، أرض أور وكلدنيا وبابل وبنوى ، مملكة العراق الجديدة تحت حماية بريطانيا منتدبة عن العصبة ، وأجلس على عرشها أحد أبناء ملك الحجاز . فهل استطاع بعث حضارة حية في البلاد التي أشرقت منها شمس الحضارة على العالم في الزمن القديم والتي ظلت مهملة عدة قرون ؟ ذلك لا يكون الا اذا قامت في تلك البلاد حكومة ثابتة قوية

(٤) وأنشئت حماية بريطانية أخرى في الاراضي الصحراوية الواقعة في شرق نهر الاردن

وسميت بلاد « شرق الاردن » ، وأقيم حاكماً عليها أمير آخر من بيت الحجاز المالك

(٥) أما جزيرة العرب الواسعة التي يتكون معظمها من صحار قاحلة فقد تركت وشأنها تحت حكم ملك الحجاز ، ولكن ذلك الحكم كان قصير الاجل

وهكذا حاول مؤتمر الصلح ان ينشئ عطايفة من الدول في بلاد الاسلام الواقعة في الجنوب الغربي من آسيا ، وان يصلح ما افسدته الفتوح التركية منذ عهد طويل . وتلك ناحية طريفة من نواحي التسوية التي قام بها مؤتمر الصلح ، لانها اتاحت للعالم الاسلامي ، فرصة تدعيم بنائه والاضطلاع بمهمته في العالم الحديث ، ولانها تناقض الخطة التي سارت عليها دول أوربا طوال القرن التاسع عشر ، خطة اخضاع الشعوب الاسلامية الى الامم المستعمرة الغربية ، فهل تنجح هذه السياسة الجديدة ؟ ذلك امر في ذمة المستقبل

اوستن تشمبرلين

ان حياة السر اوستن تشمبرلين ، وحياة شقيقه من ابيه المستر نفيل تشمبرلين وزير المالية البريطانية الحالي ، وخلف المستر بولدوين المتوقع ، مثل آخر من امثلة متعددة في تاريخ بريطانيا السياسي ، على توارث العبقرية السياسية في أسر معينة . ولعل اشهر الامثلة على ذلك الوزيران بت الكبير وبت الصغير ، ولورد راندولف تشرشل وابنه ونستن تشرشل ، وجوزيف تشمبرلين وابناه اوستن ونفيل

نعم ان في البرلمان الحالي ، المستر لويد جورج وابنه وابنته ، وبولدوين وابنه ، ومكدونلد وابنه ولكن الابناء — ماعدا ابن مكدونلد وهو وزير الدومنيون الآن — لم يبلغوا من المقام بعد ما يبعث على القول بانهم ورثوا عبقرية آباءهم

ولد اوستن تشمبرلين في سنة ١٨٦٣ فكان عند وفاته في الرابعة والسبعين من عمره ، وتلقى العلم في مدرسة رجبي ثم في كلية ترينتي بجامعة كامبردج وانتخب عضواً في البرلمان سنة ١٨٩٢ عن مقاطعة وسترشير الشرقية

كان الانتخاب العام في تلك السنة قد أسفر عن فوز غلادستون وحزبه ، ولكن اكثريته كانت يسيرة ومضعضة ، فرأى المحافظون ان يجمعوا جموعهم ويعقدوا تحالفاً مع العناصر المؤيدة لهم في البلاد او في البرلمان . وجلس اوستن على المقاعد التي كان يجلس عليها والده ، اذ كان لا يزال في عز نشاطه السياسي ، ويقال ان ذلك كان في غير مصلحة الابن الشاب ، لانه جلس في البرلمان ، وكأنه جالس في ظل نخيم عليه ، لان اسم ابيه كان ملء الافواه والاسماع حينئذ

ثم اتيح للعضو الجديد — اي اوستن تشمبرلين — ان يلقي خطبته الاولى ، فكانت بارعة في مادتها واسلوبها ، فوجهت اليه الانظار ، فاثني عليه غلادستون ، واغبط به والده اي اغتباط وفي سنة ١٨٩٥ عين اوستن لورد البحرية المدني ، ثم نقل سكرتيراً مالياً للخزانة . وفي سنة ١٩٠٢ عين وزيراً للبريد

وعندئذ وقع ما كان متوقعا . ذلك ان جوزيف تشمبرلين ، والد أوستن ، انفصل عن الحكومة ، لانه كان يرغب في ان يكون مطلق اليدين في الدعاية الى التفضيل الامبراطوري — اي فرض ضرائب على الوارد الى بريطانيا ، وجعل الضرائب على الوارد اليها من الامبراطورية اقل من الضرائب المفروضة على الوارد اليها من سائر البلدان . وخرج كذلك المستر رثني فعين أوستن تشمبرلين في وزارة المالية وهو يناهز الاربعين من العمر . وقيل حينئذ انه عين في هذا المنصب ، لكي يكون تعيينه بمثابة قيد للدعاية التي يبثها والده والحملات التي يحملها على الحكومة لان البلاد الانكليزية حينئذ لم تكن مستعدة للاخذ بخطة التفضيل الامبراطوري

فكان تعيينه في ذلك المنصب العالي ، وهو عادة سبيل الى رئاسة الوزارة ، وكونه ابن أبيه ، من العراquil التي انبثت في سبيله . ولكن أوستن تغلب عليها لانه كان قوي العقل والخلق ، فتعلم جميع الذين اتصلوا به ان يحترموه ، حتى أصبح في عرف الجميع أحد قطبين أو ثلاثة أقطاب في حزب المحافظين ، تلوح لهم زعامة الحزب ورئاسة الوزراء ، عن قرب ، اذا حدث ما أخلى لهم منصب الزعامة والرئاسة

فلما أتت الفرصة ، فضل أوستن تشمبرلين وحدة الحزب ، على النزاع في صفوفه لانقسامه بينه وبين ولتر لونج ، وتخلّى عن منصب الزعامة والرئاسة لآخر هو المستر بونارلو ، سلف المستر بولدوين

وكانت الحكومة البريطانية قبيل الحرب في أيدي الاحرار وفي بدايتها ، فلما استقال اسكويث في أثناء الحرب ، وأراد لويد جورج ان يؤلف وزارة مؤتلفة ، ودعى المحافظون الى الاشتراك فيها ، عاد أوستن تشمبرلين الى الوزارة ، كوزير لا كزعيم لفريق المحافظين وتقلد وزارة الهند ، وهي وزارة دون وزارة المالية التي سبق له تقلدها ، ولما يكثّر الراغبون فيها . ولكنه استقال في يوليو سنة ١٩١٧ خطأ ارتكب بغير علمه في الجيش البريطاني بالعراق فكانت استقالته ، ودفاعه عن رجال وزارته في البرلمان من بواعث الاعجاب والاحبال ، التي اتجه بهما مواطنوه اليه ، اذ رأوا في تصرفه تلك الصفة التي يقدسها الانكليز في رجال السياسة عندهم وهي قائمة على الإيثار واختيار الطريق الشريف وسلوكه

وأعيد الى الوزارة وجعل عضواً في المجلس الحربي سنة ١٩١٨ ثم في يناير سنة ١٩١٩ جعل ثانية وزيراً للمالية ، فلما انفصل المحافظون عن وزارة لويد جورج المؤتلفة سنة ١٩٢١ ، ومرض

بونارلو زعيم المحافظين حيثئذ ، ظن جميع الكتاب السياسيين ان الزعامة والراسة له لا ينازعه فيها منازع

ولكن المستر بولدوين اختير خلفاً لبونارلو زعيماً للمحافظين لان تشمبرلين كان لا يزال مقتنعاً بوجوب الابقاء على الائتلاف . وتقلد بولدوين رآسة الوزارة فلم يكن تشمبرلين من اعضائها ولكن عندما انف وزارته الثانية في اواخر سنة ١٩٢٤ عين أوستن تشمبرلين وزيراً للخارجية وفي اثناء تقلده هذه الوزارة اشترك مع السياسي الفرنسي بريان والسياسي الالماني شترزمان في عقد معاهدة لوكارنو المشهورة ، واهم قواعدهما ضمان ايطاليا وانكلترا للحدود الفاصلة بين المانيا من جهة وفرنسا وبلجيكا من جهة اخرى بحيث تتجدد الدولتان الضامتان الدولة المعتدى عليها على جانبي هذه الحدود

وقد كان من اثر هذه المعاهدة ان اوربا اخلدت الى فترة من الطمأنينة والسلام ولولا الازمة الاقتصادية الدولية وما جرته في آثارها من الانقلابات السياسية لكانت اوربا جنت ثمار هذه الطمأنينة

ولذلك منح أوستن تشمبرلين بالاشتراك مع بريان وشترزمان جائزة نوبل للسلام سنة ١٩٢٥ وبعد تخليه عن وزارة الخارجية في آخر وزارة بولدوين الثانية ، لم يعد الى تقلد المناصب الوزارية ، الا وزارة البحرية فترة قصيرة من اغسطس الى اكتوبر سنة ١٩٣١ في الوزارة القومية الاولى ، ولكنه ظل عضواً في البرلمان ، ينظر اليه كشيخ من شيوخ السياسة ، الذين يسمع رأيهم في المشكلات الخارجية خاصة ، بما هو جدير به من الاجلال والاحترام وقد كان صوته الذي ارتفع في آخر سنة ١٩٣٥ ضد الاتفاق الذي وضعه السر صموئيل هور والمسيو لافال من البواعث القوية ، على امتعاض الامة الانكليزية من ذلك الاتفاق اشد امتعاض وافضى الى استقالة السر صموئيل هور

وقيل حيثئذ ان السر أوستن تشمبرلين قد يعود الى وزارة الخارجية ، لان وجوده فيها ، يبعث على الاحترام والثقة ، ولكنه اراد ان يفسح المجال لمن كان اصغر منه سنّاً فعين المستر ايدن وزيراً للخارجية وهو الذي رباه أوستن تشمبرلين ، وتعهده عندما كان ايدن سكرتيراً خاصاً فبرلمانياً له في وزارة الخارجية

فب وفاة السر أوستن تشمبرلين ، خسرت بريطانيا شيخاً من شيوخها السياسيين ، كانت حياته مثلاً بليغاً على اعلى التقاليد المتبعة في الحياة العامة فيها

بَابُ الْإِخْبَارِ الْعِلْمِيَّةِ

الاقتصاد الموجه في مصر

خطبة الرئاسة لعبد الوهاب باشا
في المجمع المصري للثقافة العلمية

في الرئاسة حضرة صاحب السعادة احمد عبد الوهاب باشا رئيس المجمع المنتخب لدورته الثامنة وكان الدكتور نمر باشا تذكر المثل الاميركي « ان صوت اعمالك يصم اذني فلا اسمع ما تقول » فقال ان اعمال عبد الوهاب باشا تغنيه عن كل تعريف

وارتقى عبد الوهاب باشا المنبر فاقترح في مسهل خطبته وقف الجلسة بضع دقائق لذكرى المغفور له الدكتور شاهين باشا رئيس المجمع سابقاً ثم شرع بعد ذلك في الفاء محاضراته وكان موضوعها « بعض مظاهر الاقتصاد الموجه في مصر في السنين الاخيرة »

ويمكن ان تقسم محاضرة سمعته الى اربعة اقسام بوجه عام . اما في قسمها الاول فقد عرف المحاضر الاقتصاد الحر او المرسل وهو القائم على نظريات الاقتصاد المتبعة في القرن التاسع عشر ومستهل القرن العشرين اي امتناع الحكومة عن التدخل في اعمال الافراد والجماعات الاقتصادية . والاقتصاد الموجه او الميسر وهو

اصبح المؤتمر السنوي الذي يعقده المجمع المصري للثقافة العلمية وقد بات محطاً لانظار فريق كبير من رجالات مصر واهل العلم والفضل فيها لما تبينوه في مؤتمراته السابقة من محاضرات نفيسة النفاسة كلها في شتى العلوم ما كان منها خاصاً بالقطر المصري وما كان عالمياً لا يقتصر على بلاد دون اخرى

لذلك ام دار الجمعية الملكية للحشرات مساء ١٩ مارس الماضي جمهور مختار من المصريين والمصريات يتقدمهم الدكتور احمد ماهر رئيس مجلس النواب وكامل ابراهيم بك وزير الزراعة السابق ومحمود صدقي باشا محافظ العاصمة سابقاً واعضاء المجمع وكلهم صاحب منصب كبير علاوة على ما اشتهر به من الفضل والعلم

وفي الساعة السابعة ارتقى المنبر الدكتور فارس نمر باشا رئيس المجمع في دورته الماضية فالتى كلمة الافتتاح مقترحاً فيها السعي في سبيل الجمع بين جهود المجمع المصري للثقافة العلمية والجمع الملكي للغة العربية جمماً تفيد منه اللغة العربية العلمية سعة وليناً ونضارة ثم قدم خلقه

الاقتصاد الذي تتدخل فيه الحكومات في أعمال الأفراد والجماعات الاقتصادية فتفرض عليها قيوداً وتعين لها حدوداً تختلف باختلاف البلاد وما تحتاج إليه

أما القسم الثاني فكان ضرب المثل على هذا الاقتصاد الموجه بمصر في الاتفاق الذي عقد بين الحكومة وشركة السكر . وقد أسهب سعادة المحاضر في وصفه وتبيان قواعده ونتائجه لينفي عن الأسهم في الأمثلة الأخرى التي ضربها في القسم الثالث من محاضراته

ومما قاله في هذا الصدد أن هذا الاتفاق من الأمثلة على نجاح الاقتصاد الموجه نجاحاً عظيماً في تحقيق الأغراض التي يتجه إليها . واتفاق السكر مثل على الاقتصاد الموجه في دولة بمصر ولكن بذلت مساع لتطبيق قواعد الاقتصاد الموجه على إنتاج السكر وتجارته تطبيقاً يكون دولياً في شموله

وكان القسم الثالث تعديداً للعساعي التي بذلتها الحكومة في توجيه الاقتصاد في مصر

في ما يتعلق بالجبوب والقطن والذهب وغيرها . وبين في كل منها بواعث النجاح إذا نجحت وبواعث الاخفاق كله أو بمضه إذا اخفقت

وقد وقف القسم الأخير من محاضراته على موازنة بين الاقتصاد الحر والاقتصاد الموجه في حالة العالم الحاضرة وهل في الامكان العودة الى الاقتصاد الحر ورأيه أن العودة الى الاقتصاد الحر إطلاقاً امر ممتذر لان اعتماد الدول المختلفة على الاقتصاد الموجه وقيام حياتها الاقتصادية على قواعده يفضي ولا ريب الى تقلل واضطراب في حياتها الاجتماعية والاقتصادية اذا عادت خفاً الى الاقتصاد الحر . ولكنه يرى أن العودة الى الاقتصاد الحر نسبياً ممكن بل ولازم لان القومية الاقتصادية كانت من أهم بواعث الحفاء السياسي فتخفيف سورتها في مصلحة أهم العالم جميعاً

ومن محاسن الاتفاق أن مؤتمر لاهي الذي عقدته دول كتلة اوسلو انقض من أيام بعد ما وصل الى قرار شبيه برأي عبد الوهاب باشا

ادورد نكولي

الجامعة الأميركية بأنه بمثابة شقيق أكبر لطلبة يرجعون إليه في مشكلاتهم الخاصة فيعينهم على حلها بعطف الاب ولطف الصديق وخبرة الفيلسوف العملي وقد نشأت هذه الصلة بينه وبين طلبته من معاملتهم في الدروس التي كانوا يدرسونها عليه معاملة الرجال فيعين لهم الموضوعات التي يجب أن يعالجوها ويبين لهم

نجحت جامعة بيروت الأميركية في كبير من كبار اساتذتها بوفاته الدكتور ادورد نكولي عميد كلية الآداب فيها واستاذ علم الاقتصاد بعد أن قضى ما يزيد على ثلث قرن يعلم الشبان والشابات ويشفق عقولهم بالدروس التي كان يدرسها وبالمثل الذي كان يضر به

كان الاستاذ نكولي مشهوراً بين طلبة

ولد الفقيه في سنة ١٨٧٣ وتخرج من جامعة ايلينوي عام ١٨٩٨ واحرز لقب استاذ في العلوم من الجامعة نفسها سنة ١٩١٥ ثم رتبة دكتور في الفلسفة سنة ١٩٣٣

ان رجلاً يبقى معنياً بالتحصیل ومتابعة الدرس المنظم بعد ان يبلغ منصب الاستاذ المكرم وبعد ان يناهز الستين من العمر فيقدم لشهادة الدكتوراه وهو في التاسعة والخمسين لخلق بأن يكون مثلاً حياً لطلبته وجميع الذين يتصلون به

جاء جامعة بيروت سنة ١٩٠٠ مدرساً، ثم عين عميداً لكلية التجارة فظل في ذلك ١٨ سنة ثم تولى رئاسة الجامعة بالنيابة، بعد وفاة الرئيس هوارد بلس سنة ١٩١٩ وكان في مقدمة المرشحين ليكون رئيساً أصيلاً فلما انتخب الرئيس الحالي انضوى تحت لوائه وخدم الرئيس والجامعة بكل ما اوتيته من علم وخبرة

وكان الاستاذ نكولي من الرجال القلائل الذين جمعوا بين التحصيل العلمي العالي والقدرة الادارية الممتازة، فكان في خلال قيامه باعباء الرئاسة، وعمادة كلية التجارة اولاً ثم عمادة الآداب والعلوم اخيراً، يدرس الاقتصاد ويشترك في الالعب الرياضية التي يمارسها الاساتذة والمدرسون، فكانت حياته مثلاً يحتذى في النشاط المنظم رحمة الله عليه

المراجع التي يصح الرجوع اليها معتمداً على ان من يعني العلم يجب ان يكون له من نفسه باعث يبعثه على التحصيل. فقد درّس العميد الراحل كاتب هذه السطور «القانون الدولي» فكانت حصص الدراسة اشبه شيء بمقبر عام لشؤون الدول وما يطبق عليها من القواعد للسياسة فيه نصيب وللتاريخ نصيب ولفعال الاقطاب نصيب. فحيت الينا جميعاً دراسة بث فيها الحياة بما انشأته من الصلة بينها وبين حوادث الايام وكانت الحرب العالمية على اشدها حينئذ. وكذلك كان في الاقتصاد وعلم السياسة المقابل

وكان اعتماده في التحصيل على النهم لا على الحفظ. ومن مبتدعاته في هذا الباب انه كان يلصق اسئلة الامتحان في دفتر فيكتب الطلبة اجوبتهم في صفحاته فيصححها ويميدها اليهم. ثم يأتي امتحان آخر فيضع اسئلة جديدة في الدفتر نفسه. ثم يجيء الامتحان النهائي فيضع اسئلة في الدفتر نفسه، وقد تكون بعض اجوبتها مطوية في ثنايا اجوبة الامتحانات السابقة. والاجوبة المكتوبة في الدفتر متاحة للطلاب ولكن ذلك لم يفزعه لانه اذا كان عقل الطالب قد فهم الموضوع فاستخرج الحقائق من اجوبة سابقة او من مراجع مطبوعة يجب ان يكون دليلاً على فهمه. ولم يكن بالنادر ان يعطينا الاسئلة في المكتبة ويبيح لنا الرجوع الى ما نريد من المراجع فيها

نكبة الفيضان في اميركا

بواعثها وطرق اتقانها

ان روافد اخرى تفرغ ماءها في الميسيسيبي. ولو كان فيضان هذه الروافد في فترات متفاوتة لسهل على الميسيسيبي ان يتلقى هذه المياه ويصرفها في مجراه من دون ان يفيض فيضاناً كبيراً. ولكن فيضانها في الغالب يجيء في وقت واحد تقريباً واكبرها فيضان نهر الاوهايو فيعجز مجرى الميسيسيبي عن الاتساع لها كلها فيفيض على جوانبه ويحطم الجسور ويغطي على المدن والقرى والمزارع

والظاهر ان فيضانات الميسيسيبي الكبيرة تحدث مرة كل ١٣ سنة. وآخر فيضان من قبيل الفيضان الحالي حدث من عشر سنوات ان الطريقة الظاهرة للسيطرة على هذه الفيضانات هي بناء الجسور على ضفتي هذه الانهر. ولكن المشكلة في ذلك ان العمل يجب ان يكون شاملاً تتولاه سلطة عالية موحدة لا سلطات مختلفة في ولايات متجاورة. وسبب ذلك ان بناء الجسور في اعلى النهر لحماية مدينة من المدن يزيد الخطر الذي تعرض له المدن التي تأتي بعدها. فاذا اکتفي بجسر علوه ٢٠ قدماً وعرضه ٢٠ قدماً مثلاً امام مدينة تبعد الف ميل على مصب النهر فيجب ان تكون الجسور اعلى كثيراً واعرض كثيراً امام مدينة تبعد ٥٠٠ ميل فقط عن المصب

وقد كانت هذه الاعمال في الماضي تتم في

نكبة الفيضان في اميركا التي اشتدت في فبراير الماضي من اكبر ما عرف من قبيلها في تاريخ اميركا الحديث والاصل في نكبة الفيضان هذه نهر اوهايو وهو احد روافد نهر الميسيسيبي المشهور ان نهر اوهايو هذا ليس بالنهر الصغير فطوله يبلغ ١٢٠٠ ميل والحوض الذي تتجمع مياهه فيه يشمل منطقة من أغنى مناطق الولايات المتحدة الاميركية واكثرها ازدحاماً بالسكان ومساحتها تفوق مساحة انكلترا والمانيا معاً

وهو يفيض عادة كل ربيع فتتدافع امواجه في طريقها الى نهر الميسيسيبي عند ما يبدأ مطر الربيع في إذابة الثلوج المتكدسة على قنن جبال الابالاشيه واسنادها. ففي العهد القديم عندما كانت هذه المنطقة الواسعة قليلة السكان كان فيضان هذا النهر العادي لا يحدث ضرراً كبيراً ولا سيما بعد ما يبلغ اعلاه ويفرغ ماءه في الميسيسيبي. ولكن منذ ازدهمت هذه المنطقة بالسكان واقامت على ضفتي النهر المدن والمزارع اصبح الضرر الذي يحدثه عندما يفوق الفيضان مستواه السوي كبيراً جداً. وقد افضى السعي الى حصر مائه بالجسور الى زيادة مدى النكبة على ضفتي الميسيسيبي

ويقدر المهندسون ان قدراً من الماء يبلغ مليون قدم مكعبة تفرغ كل ثانية من نهر الاوهايو في نهر الميسيسيبي. ويجب ألا ننسى

هي الطريقة المثلى على ما يظهر ولكن فقائها كبيرة . واطهر مثال عليها خزانات « مصل شولس » التي بنيت على نهر التيسى وهو أحد روافد نهر الاوهايو

ولذلك قيل ان حكومة الاتحاد الاميركي تطلب المليون جنيه لتنفقها في خلال السنوات الست القادمة على مثل هذه الاعمال اتقاء لمخاطر الفيضان واضرارها

كل مدينة ومنطقة بمعزل عن غيرها فالمدينة البعيدة عن المصب كانت تبني ما تحتاج اليه من الجسور بصرف النظر عن زيادة الخطر الذي تعرض له المدينة التي تليها

وهناك اقتراح آخر للسيطرة على هذا النهر وهو بناء أحواض كبيرة أشبه ببحيرات يجمع فيها جانب كبير من الماء الفائض ثم تستعمل في توليد الطاقة الكهربائية وأعمال أخرى وهذه

الكيمياء الزراعية

تمهيد السبيل للفوز بمحصولات عجيبة

فدان من الماء مقابل ١١٦ بشلاً في ما مساحته فدان من الارض
وقد بلغ نبات التبغ (الدخان) ٢٢ قدماً من الارتفاع

ومن هذا القليل المحصولات التي جنت من زراعة البنجر والجزر وغيرها في الماء

وقد ابتدع هذه الطريقة وقواعدها الدكتور جريك الاستاذ المساعد لفسيولوجية النبات في جامعة كاليفورنيا بعد مباحث استغرقت السنوات السبع الاخيرة . وأساسها استعمال الماء الفاتر وازافة العناصر اللازمة لنمو النبات اليه ويحتفظ بحرارة الماء بواسطة سلك وهو الغالب او بطرق اخرى . وحرارة الماء على الاكثر تختلف من ٢٢ درجة بميزان سنغراد الى نحو ٣٠ درجة بالميزان نفسه

من الميادين الجديدة التي تشترك فيها علوم الكيمياء والزراعة زرع النباتات في الماء لا التربة اذ يضاف الى الماء العناصر الحيوية المختلفة التي تحتاج اليها النباتات في نموها

وقد زرعت نباتات الطماطم على هذا النحو فكان محصولها مما لا يصدق بالقياس الى محصولها عند زرعها في التراب . فنبات الطماطم أولاً علا في نموه عند زرعه في الماء الى اضعاف ما يبلغه من العلو عند زرعه في التراب حتى لقد اضطر قاطفو الثمر ان يستعملوا السلالم لقطع الثمر من أعاليه . وبلغ متوسط المحصول من نبات يزرع في حوض من الماء مساحة سطحه فدان ٢١٧ طنّاً ويقابل ذلك ان محصول النبات المزروع في ما مساحته فدان من الارض خمسة أطنان فقط أما محصول نبات البطاطس في الاحوال عيناها تقريباً فبلغ ٢٤٦٥ بشلاً في ما مساحته

البيتسكوب

آلة مبصرة جديدة عجبية

فاذا تحرك ادركت وجوده . كذلك البيتسكوب فانه لا يتبين جسماً من الاجسام ما زال ذلك الجسم ساكناً . فاذا تحرك وكانت حركته في مجال العين الكهربائية ادركت ذلك ودوتته اودلت عليه خذ مثلاً على ذلك ما فعله المستنبط في مطار . فانه اتفق مع فريق من الطيارين ان يخلقوا بطائراتهم لكي يتمكن المدي الذي يستطيع جهازه ان يتبين هذه الطائرات فظهر انه عندما تبدو الطائرات في مجال النظر على علو النقي قدم او ثلاث آلاف قدم يتأثر هذا الجهاز بجر كنهها فيقرع جرساً قال فترجرا لد : ولو كنا في حالة حرب لكان استعمال هذا الجهاز من افضل الوسائل لالانذار بهجوم جوي

* مراقبة الشمس

تبلغ درجة الحرارة في مصباح غاز الاسيتيلين ستة آلاف درجة بمقياس سنغراد . أما درجة الحرارة في قلب الشمس فتبلغ أربعين ألف درجة بمقياس سنغراد . فاذا أخذ من قلب الشمس لهب حجمه كحجم الذهب في مصباح الاسيتيلين ووضع في مدينة شيكاغو كانت حرارته كافية لصهر كل بناية وحرق كل حرج وحقل وابادة الحياة في قارة أميركا الشمالية هذا على الاقل هو تقدير الدكتور كلايد فيشر أمين القسم الفلكي في متحف التاريخ الطبيعي في نيويورك

البطاريات الكهربائية تعرف بالكلام المؤلف في اللغة الانكليزية باسم « العين الكهربائية » هي على الغالب اجهزة يتحول فيها الضوء الى تيار كهربائي ويكون التيار خفيفاً او قوياً وفقاً لقوة الضوء الواقع عليها او قوته وقد استعملت لاجراض متعددة متباينة . فوضعت في المعامل مثلاً بحيث اذا ضعف نور النهار سواء أكان ذلك عند الظهر ام قبيل الغروب حتى اصبح غير كاف لقيام العمال باعمالهم تأثرت بذلك هذه « العين العجيبة » فتتير المصابيح الكهربائية من تلقاء نفسها بجهاز خاص متصل بها . ووضعت في بعض المدارس كذلك لهذا الغرض نفسه اي لانهارة المصابيح عندما يضعف النور بسبب الغيم المتبدل او قرب الغروب ويصبح من الضار بعيون التلاميذ المطالعة في ذلك الضوء الضعيف

* * *

وأحدث اختراع قائم على هذه « العين العجيبة » جهاز يدعى « بيتسكوب » اخترعه رجل اميركي يدعى آلان فترجرا لد . وهذا الاسم — اي اسم الجهاز — مركب من كلمتين يونانيتين معناها « مبصر الاجسام الطائرة » اي ان هذا الجهاز الجديد يستطيع ان يتبين حركة الاجسام عن بعد تصور حيواناً جائماً على غصن شجرة . انه يراك وانت لا تراه ما زال ساكناً لا يتحرك

مكتبة المقتطف

تأليف المستشرقين

بفهم الدكتور بشر فارس

س. د. ف. جويتين S.D.F. Guitein — انساب الاشراف للبلاذري — طبع لأول مرة
بمجة مدرسة العلوم الشرقية بالجامعة العبرية — أورشليم ١٩٣٦ — ٢٧ ص مقدمة باللغة العبرية
و ٣٢ ص مقدمة باللغة الانكليزية و ٣٩ ص للنص العربي و ٩٤ ص تعليقات — ٢٧ ٢٠ ٢

ان هذا لسفراً نفيساً كان مطوياً فنشر. والبلاذري غني عن التعريف فهو صاحب «فتوح البلدان». والظاهر ان الرجل كان أبعد صيتاً بكتابه «انساب الاشراف». ولقظة الاشراف هنا بالمعنى الجاهلي لا الاسلامي أي انها تقيّد تلك الطائفة من العرب ذوي النسب الصحيح والجاه العريض الذين كان يجري عليهم من الديوان كذا وكذا من الدراهم. ويشتمل كتاب البلاذري — كما يقول الناشر (ص ٣) — «على تاريخ العرب في جاهليتهم واسلامهم الى القرن العباسي الاول ولكنه لم يرتب على سني الهجرة بل اتبع ترتيبه انساب قبائل العرب فاذا عرض ذكر رجل نابه في قومه أتى بخره ونكته المستجادة وما قيل فيه من الشعر أو بطائفة من شعره ان كان شاعراً. واذا جاء ذكر خليفة من الخلفاء لم يقتصر على وصف سيرته بل أحيط بحوادث وقته»

واقصر الناشر على طبع السفر الخامس من هذا الكتاب. وفيه تاريخ الخليفة عثمان بن عفان ورهطه ومروان وأهله واخبار ابن الزبير ايام مروان وعبد الملك. ثم انه عمل لهذا السفر مقدمة علمية بحث فيها عن اختلاف جمهور العلماء في عنوان الكتاب ثم عن مضمونه ومدى مشموله ثم عن خاصيته بما انه كتاب أدب وعلم. وهنا بسط طريقة البلاذري في الرواية فرأى من أساسها الامانة والعدالة والدقة ثم استعمال «الاختصار» من ناحية وسرد الروايات المختلفة باسانيدها على أسلوب المحدثين من ناحية أخرى. ثم ذكر من أستند الى هذا الكتاب فذكر ممن ذكر ابن عساكر وابن خلكان والزيدي والمسعودي وابن الاثير. ثم وصف المخطوطة التي اعتمد عليها

وقد كان اعتماد الناشر على مخطوطة واحدة مخزونة في الاستانة مشحونة بالاختلاف على قوله فاضطر الى ان يرجع الى مصادر أخرى يعارضها بها ليظفر بالنص الصحيح. والحق ان النشر جاء على أتم وجه من حيث الطبع. واما ضبط الالفاظ واصطفاء الروايات ففيهما الحين بعد الحين نظر. مثال ذلك :

ص ١٠٥، في النص «فجيء بهما فانهما لهما ان فقال...» والوجه الاقرب «... فانهما لماران...»

ص ١٠٤، س ١١، في النص

«الآن تتوبوا الى الرحمن تعترفوا بغارة عصب من خلفها عصب»
والصواب «... عصب من خلفها عصب»

ص ١١٥، س ١٧ «... ودرء قرن الشارق» والصواب «وذرع...»

ص ١١٥، س ١٨ «... ضخم الوسائع» والصواب «ضخم...»

ص ١٣٧، س ١٨

«ولا تتركني بالحشاشة اني أكره اذا ما الناس مثلك أحجبا»

والوجه «... اذا ما النكس...» (راجع لسان العرب مادة ن وف . نبهني الى هذا الصديق الاستاذ محمود محمد شاكر)

ولم يفت الناشء ان يعمل لهذا السفر فهارس لاسماء الاعلام والقبائل والامكنة والامم .
وعسى ان يمضي في طريقه فيخرج الينا بالاسفار الاخرى ولا سيما السفر الموقوف على الجاهلية
لقلة ما بين ايدينا من النصوص الراجعة اليها

R. Blachère—Un poète Arabe au IV^e Siècle de l'Hégire: Abou-t-Tayyib
Al-Motanabbî (Essai d'histoire littéraire—Edit. Adrien—Maisonnette, Paris 1935)

ر . بلاشير — شاعر عربي في القرن الرابع للهجرة : ابو الطيب المتنبي

(في النقد الادبي) ٣٦٦ ص ٢٥ × ١٦

قد كثرت التأليف في المتنبي هذه الأيام لمرور الف سنة على وفاته ولم يكن النهوض بذكر
فضل المتنبي مقتصرأ على أبناء العربية فهؤلاء علماء الفرنجة المستشرقون وفوا أبا الطيب
حقه من العناية . ولعل أوفى بحث في ابى الطيب هذا الكتاب الذي انقده . فقد جمع صاحبه
(وهو من اساتذة مدرسة اللغات الشرقية في باريس) ما تشتت من الاخبار واستقصى
المسائل الادبية والتاريخية ومحصها جميعاً تمحيصاً عالم بصير بأسلوب البحث المستقيم
أما سعة اطلاع المؤلف فبدل عليها تلك المراجع الثابتة في مستهل الكتاب وفي الهوامش .
وأما دقة بحثه فيكشف عنها طريقته في الفحص من مقدمات لاحقة بالحياة الاجتماعية والسياسية
والعقلية والدينية ومن تحفظ في قبول الاخبار ومن عناية بغرلة الاسانيد ومن بعد نظر في درس
البيان الشعري

وما أظن المؤلف ترك شيئاً إلا نشره ، فلقد تحدث عن الخلافة العباسية والكوفة خاصة أيام نشأة المتنبي ثم عن حياة الرجل على تقلباتها وعن آثاره بأنواعها ثم عن رواج ديوانه في الامم الناطقة باللغة العربية ومنزلته عند المستشرقين
ومما يذكر أن المؤلف جاء بأراء حديثة ودفع اخباراً متعارفة عن المتنبي . فالفضل راجع اليه في تقديم حكاية نبوة المتنبي بالاشارة الى هيجانه القرمطي وفي تحليل رواج ديوانه ببسط ما فيه من الخصائص مثل بدوية شعره وجزالته وإيجازه وحكمته
وطرافة المؤلف انه نظر الى شعر المتنبي بعيني اوربي (انظر الخاتمة ص ٣٤٢ وما يليها) فلم يعثر بما يضطرب فيه من الوان البيان والبديع ولم يستسلم الى حلاوة اللفظ ولا جزالته فُرد شعر أبي الطيب مما يبسط على أعين قراء العربية غشاء او بعض غشاء
ومما يؤخذ على هذا الكتاب النفيس (١) ان صاحبه أخذ ينظر الى شعر المتنبي بعيني اوربي بطريقة انتظامية *Systématiquement* حتى انه اتى على احساسه . وما ادري هل يلزم العلم والباحث في الادب ان يرتد ناقداً مقعد الحس ؟ أما يظل الادب أدباً وان سلط عليه مسير البحث

وهناك مأخذ آخر : قصته ان المؤلف لما جعل يبسط آراء أدباء العربية في المتنبي ص ٣٠٥ وما يليها لم يحسن الانتقاء فتراه يجمع بين فؤاد افرام البستاني ومجد كمال حلمي والعقاد والمازني والشيخ مجد الاسمر ، ذلك ان المؤلف انما يرى أدباءنا عن بعد
واني لأود ان اختم الكلام دون ان انبه الى بعض سقطات في ترجمة طائفة من ابيات المتنبي ومنها

١- النص العربي:

نور تظاهرك لاهوتيه فتكاد تعلم علم ما لن يعلما

En toi est une clarté dont rayonne l'être divin ... ترجمة البيت الاول

Une clarté (أي ما تقدم) dont la divinité apparaît en toi والصواب عندي

٢- النص العربي :

يا ليت بي ضربة اتيح لها كما اتيحت له مجدها

أثر فيها وفي الحديد وما أثر في وجهه مهندها

Mohammad a honoré ce coup, ainsi que le fer qui le porta ترجمة البيت الثاني
Mohammad a ébranlé la force du coup ainsi que la violence du fer, والصواب عندي
par sa majesté, son prestige etc.

(١) الذي انتفع به الدكتور طه حسين في تأليف كتابه «مع المتنبي» مصر ١٩٣٧

Louis Massignon et Paul Kraus—Akhhâr al-Hallâj—Editions Larose.
Imprimerie "Au Calame", Paris 1936

لويس ماسينيون وبول كراوس — أخبار الحلاج — ١٤١ ص (فرنسية) و ١١٢ ص
(عربية) ١٦ × ٢٥ .

قد سبق لي أن تحدثت عن ذلك الكتاب الضخم الذي ألفه الأستاذ ماسينيون في الحسين بن منصور الحلاج المتصوف فكشف به غطاء عريضاً عن تاريخ التصوف في الإسلام . وقد واصل الأستاذ ماسينيون دراسته للحلاج فما انفك ينشر نصوصاً له أو عنه . وهذا سفر جديد فيه طائفة من أخبار ذلك المتصوف المنكوب . وقد عاون الأستاذ ماسينيون على إخراج هذا السفر الأستاذ بول كراوس من المدرسين في كلية الآداب بالجامعة المصرية الآن ولهذا السفر مقدمة طويلة على جاب عظيم من الدقة العلمية فيها وصف مستفيض للمخطوطات المعول عليها ومحاولة لترتيبها ترتيباً زمنياً وفحص للروايات المختلفة وبحث في الاستناد

وبلي المقدمة ترجمة النصوص العربية باللغة الفرنسية . والترجمة صحيحة ما عدا هفوات لا يمتد بها أشير إلى بعضها :

ص 78 — النص : نزول الجمع ورطة وغبطة (ص ٥)

الترجمة :
L'accomplissement de l'union est abîme ou joie
والوجه عندي ou béatitude

ص 83 — النص : فقال للقوال : قل ما يختار الشيخ (ص ٥٩)

الترجمة
Dit au chanteur : Chante sur le thème que le cheikh préférera
والوجه عندي
Dit au récitateur : Récite le thème que le cheikh préférera

ص 88 — النص : ونظر اليّ شزراً (ص ٧٠)

الترجمة
Me lança une regard indigné
والوجه عندي
Un regard courroucé

وما هذه الهفوات — ان صح أنها هفوات — بشيء إلى جنب الجهد الذي بذله المترجمان . فبالإشك فيه ان تقل نصوص فلاسفة الإسلام وبخاصة متصوف فيهم ضرب من الإعجاز وبلي الترجمة النصوص العربية نفسها . وليس على نشرها مأخذ يذكر لولا تغليب روايات على روايات . ومن ذلك :

ص ١٥ ، س ١ — رواية الهامش أفضل (فذلك الخ)

ص ٤٤ ، س ٢ — « أنت المأمول بكل خير والمؤول عند كل مهم »

خير من هذا ما في الهامش من روايات . مثلاً : « أنت المأمول لكل خير والمؤول عن كل مهم »

Hilma Granqvist—Marriage conditions in a Palestinian village, II. Helsingfors 1935
Edit. Otto Harrassowitz, Leipzig

هامي جرانكفست — احوال الزواج في قرية فلسطينية — الجزء الثاني — ٣٦٦ ص
و ٣٠ صورة فوتوغرافية . ٢٤ × ١٦

من العلوم المستحدثة في هذا العصر علم يقال له الاثنولوجية Ethnologie يبحث في عادات
الامم التي ما تزال على فطرتها قليلا او كثيراً . وهذا العلم قائم على المشاهدة البحتة وقديماً
كان بين أيدي الرحالين والمبشرين من القسيسين الذين كانوا يؤلفون الاسفار في اخلاق
الامم التي يزولون بها . واذا به اليوم ينتظم فيعالجه العلماء انفسهم على طريقة مستقيمة في
الفحص والتنقيب

والسفر الذي بين يدي هو الجزء الثاني من كتاب يبحث عن الخطبة والزواج والحياة
الزوجية والتأيم . وميزة هذا السفر انه يسوق لكل حال من الاحوال المبحوث فيها حكايات
تجعلك تلمس الوقائع مفصلة في ساعتك . والتوفيق في هذا راجع الى ان الذي ألف الكتاب
امرأة عاشت في قرية من قرى فلسطين زمناً واختلطت فيها بالنساء واستمالتن فوقفت على
اسرار عيشهن

ومما يؤخذ على هذا السفر النفيس ان صاحبه لم توفق في تحليل الوقائع توفيقها في
بسطها ، ذلك ان التحليل يعلو على المشاهدة ليتصل بعلم النفس وعلم التاريخ . ومن
أدلة ذلك ان المؤلفة لما تكلمت على تعدد الزوجات (ص ٢٠٨ - ٢١٣) وتفضيل العذراء
على الايم (ص ٣١٠ - ٣١١) انت بعال عدة لايساير بعضها بعضاً ، من دون تمحيص
ولا مراجعة . وكأني بها وقفت عند الظواهر دون البواطن . وكان الاولى بها ان ترتد الى
جماعة العرب الاولى في جاهليتها وصدر اسلامها فستطلع العلل البعيدة وقد كان يعينها على
ذلك الكتب المؤلفة في العرب الاولين مثل كتب لامنس اليسوعي ومثل كتاب العرض
عند عرب الجاهلية لبشر فارس (باريس ١٩٣٢)

ثم ان المؤلفة خطر لها ان توازن بين عادات القرية التي عاشت فيها وعادات قرى عربية
المنزع في بلدان أخرى مثل المغرب ومصر والشام والجزيرة . ومن التاكيف التي فاتها الاعتماد
عليها في هذا الباب :

كتب باللغة الفرنسية : كاظم الدغستاني - بحث اجتماعي في الاسرة الاسلامية في الشام
لهذا العصر (باريس ١٩٣٢) ، م . ١٤ . جواشون (Goichon) — الحياة النسائية في المزاب
جزءان (باريس ١٩٢٧ و ١٩٣١) . الدكتور لوجيه (Logey) — محاولة في درس العادات
الشعبية في مراکش (باريس ١٩٢٦) ، خالد شتيلة — الزواج عند مسلمي الشام
(باريس ١٩٣٤)

كتب باللغة العربية : نعوم بك شقير — تاريخ سيناء (مصر ١٩١٦) ، بواس سلمان —
خمسة اعوام في شرقي الاردن (حريصا ١٩٢٩)

Murad Kamil—Die abassinischen Handschriften Sammlung Littmann
in Tuebingen, Leipzig 1936

مراد كامل — المخطوطات الحبشية من مجموعة لثمن في (مدينة) توبنجن ٤٦ ص ٢٣ × ١٥
ان صديقي الدكتور مراد كامل ممن اوفدته الجامعة المصرية لتحصيل العلوم الشرقية في
المانية. وقد انقطع الدكتور كامل الى تعلم اللغات السامية خمس سنوات في توبنجن ثم في
برلين هنا على الاستاذ متفوخ Mittwoch وهناك على الاستاذ لثمن Littmann من أعضاء مجمع
اللغة العربية. والدكتور مراد كامل من اولئك المصريين القليلين الذين يرغبون في العلم حقاً
فلا يجمعون على التحصيل ابتغاء نيل شهادات انما يلتزمون بها الوظائف. ومصدق ذلك
هذه الرسالة الصغيرة حجمها الكبيرة فائدتها وقد فطنت الجمعية الالمانية للاستشراق
die deutsche morgenlaendische Gesellschaft الى نفاستها فقامت بطبعها ونشرها
والحق اني لا استطيع ان احدث قراء هذا الباب عن الرسالة تفصيلاً لجمل اللغة الحبشية
كل الجمل. وجل ما يتأتى لي من الكلام عليها ان الدكتور كامل أخذ ينظر في المخطوطات
الحبشية التي كان جمعها الاستاذ لثمن ايام كان يقيم باكسوم والتي بقيت بين يديه على تعاقب الايام.
فجاء عمل الدكتور مراد وصفاً تاماً لهذه المخطوطات وصفاً قائماً على الطريقة العلمية السليمة
في الفحص عن المؤلفات المجهولة. فذكر عند كل مخطوطة نوع ورقها ومقاسها وعدد
صفحاتها وتبع الموضوعات فيها باباً باباً، واثبت الصور والرسوم التي تتخلل اوراقها،
ودون الاستهلاكات والخاتمات، ثم انه رتب المخطوطات على حسب مضمونها كالدين
فالتاريخ فالصلاة فالسحر، وقد اضاف الى كل هذا فهرساً للألفاظ الفنية

F. Taeschner, Der Anteil des Sufismus an der Formung des Futuwwaideals
in "Der Islam" Band XXIV, Heft 1, Januar 1937.

ف. تيشنر — حظ الصوفية في تكوين المثل الاعلى للفتوة — رسالة منشورة في مجلة

«دبر اسلام» (الاسلام) — ٣٠ ص ٢٥٠ × ١٧

ان الاستاذ المستشرق الالماني تيشنر انصرف الى البحث في الفتوة في الاسلام فألف
فيها عدة رسائل. وهذه الرسالة هي المحاضرة التي كان ألقاها في مؤتمر المستشرقين في رومة
سنة ١٩٣٥. ويعرض فيها الى التمييز بين كتب الفتوة التي وضعها المتصوفة والتي عملها
الادباء فيدل كيف جذب المتصوفة الفتوة الى طريقهم وجعلوا منها موضوعاً غزير المادة
لمباحثهم وكيف سطوا الادباء على معنى الفتوة بين أيدي المتصوفة وبدلوا منه

واستشهد المؤلف على هاتين الظاهرتين بنصين قديمين احدهما من كتاب «تحفة الوصاية»
للخزبيري والآخر من «كتاب الجواهر في معرفة الجواهر» لعبد الريحان محمد بن احمد
البيروني، فضلاً عن تحليله لعدة مؤلفات منها «كتاب الفتوة» للسلمي من ناحية و«كتاب
مرآة المروآت» لعلي بن الحسن بن جعدويه من ناحية اخرى
والرسالة على صغر حجمها نفيسة سليمة الطريقة في البحث

الامراض الجراحية

الجزء الاول — الامراض الجراحية العامة — مؤلفه الدكتور مرشد خاطر
استاذ الامراض والسريريّات الجراحية في معهد الطب وعضو المجمع العلمي العربي بدمشق
طبع في مطبعة الجامعة السورية في السنة ١٩٣٦

لا شبهة عندي ان مؤلفات معهد الطب العربي خير المؤلفات التي تأتينا من دمشق وخيرها
مؤلفات الدكتور مرشد خاطر ولا سيما هذا الذي بين يدي الان واني لا أدري كيف انقذه
فالمؤلف صديق قديم كنا معاً في معهد الطب في دمشق الى ان خرجت منها في حوادث ١٩٢٠ .
فرايت ان ابدأ النقد في ايراد مقدمته النفيسة ليعلم منها ما عاناها المؤلف وسائر الزملاء اساتذة
المعهد الآخرين في تأليف الكتب العديدة التي يتحفوننا بها بين حين وآخر ايضاً . قال في
المقدمة وقد أورد فيها فذلكة من تاريخ الطب في مصر وبيروت ما نصه :

عقدت النية منذ توليت شؤون السريريّات والامراض الجراحية في معهد الطب العربي
بدمشق على تأليف كتاب في هذا الفرع يعني طلبة الطب عن مؤلفات الغرب ويسهل عليهم
اقتباس هذا العلم ويكون في يد الطبيب العربي الممارس نوراً يستنير به في ظلمات الفن الجراحي
الحالكة ، وفي خزان الكتب العربية حنجراً يسد به جزء من تلك الثغرة الكبيرة التي خرقها
الاهمال ومرور الزمن في جسم اللغة العربية

وغير نكير ان لغة الضاد نامت عن العلم في عهد الدولة العثمانية التي بسطت سلطانها على بلاد
العرب قروناً ثم استيقظت بعض اليقظة في معهد القاهرة الطبي في جامعة بيروت الاميركية . ولم
تطل يقظتها بل كانت يقظة مسبوت عاد اليه سباته العميق بعد ان منعت عنه المنعشات التي أسعف
بها . فلا جامعة القاهرة ولا الجامعة الاميركية ثبتتا في انهاض اللغة العلمية وترقيتها بل رأّت
الواحدة بعد الاخرى ان تعاليم الطب وفروعه بلغة الضاد ضرب من المستحيل ، واذا أقرنا
بان تلقين الطب باللغة العربية ، بعد تلك الفترة الطويلة ، من المعجزات فلسنا نراه اليوم
مستحيلاً . لا نجهل ان العرب بينا كانوا يغطون في نومهم كان الطب يسير في الغرب
سيره المطرد ولما استيقظوا كانت بينه وبينهم هوة كبيرة لاتسدّها الا الجياورة واستحدثت
فروع لم يكن لها في الطب العربي ذكر ووضعت لها الوف المصطلحات ، ومنها علم الجرائم ،
والتشريح المرضي ، وفن النسيج ، وعلم الاحياء ، وكلها قطعت من درجات الرقي في الغرب
شوطاً بعيداً وكانت في الطب العربي القديم اثرأ بعد عين . فاذا ما رأّت جامعة بيروت ان تعليم
الطب باللغة العربية متعذر تغنر لها دعواها لان اساتذتها الاعاجم في ذلك العهد بعد ان اتقنوا العربية
واستعانوا بعلماء العرب من آل البستاني واليازجي لم يستطيعوا مناعة هذا الجهاد حتى النهاية

أما الجامعة المصرية فلم تكن حالها حال الجامعة الأميركية ولا موقفها من لغة الضاد موقف تلك وكان في وسعها مواصلة جهادها ورفع علم اللغة العربية على دورها غير مجيزة أن يرفرف عليها علم لغة غيرها وفيها من علماء العرب من يسحرون العقول بفيض بيانهم ومن انصار اللغة من يعدون حجة فيها . ولعل للسياسة ، قائلها الله التي تستعبد اللغات كما تستعبد الشعوب ، الأثر الكبير في قلب لغة التدريس من العربية الى الانكليزية في معهد القاهرة على ما نظن . وبذلك اعلنت الجامعة المصرية معجزها عن تعليم الطب باللغة القحطانية

ثم جاء دور الجامعة السورية وكان الأحرى بها ان تسمى « الجامعة العربية » لانها الجامعة الوحيدة التي تلقن الطب وفروعه بلغة العرب فلم تجارِ جامعة القاهرة شيخة الجامعات ولا الجامعة الأميركية اللبروتية في هذا المعنى بل رأت ان اللغة العربية المرنة صالحة لتعليم الطب والعلوم وانها كانت لغة العلم المشعة في العصرين الاموي والعباسي فنها اقتبس الغرب علومه وعليها بني اسس حضارته العلمية الحاضرة . وان لغة هذا شأنها ترك ابناءؤها في دور كتب العالم المؤلفات الناطقة بطول باعهم في مختلف العلوم لا تعجز اذا ما اعترأها داء عارض فأقعدتها حقبة من الدهر، عن استعادة صحتها وفيها كل عناصر الحياة والنمو . بيد ان اللغة لا تنهض الاً بآبائها ، وانبأؤها قد اعرضوا عنها الى سواها ، بعد ان رأوا ائداعها التي كانت تدرُّ لبناء قد فضبت وكان الأحرى بهم ان يطعموها ويتعهدوها بما يصلحها ليعود درُّها . فالغة العربية غنية بما في معاجمها من المصطلحات المنسية ، وبما في اوزانها واشتقاقاتها من السعة فاذا توفر ابناءؤها على العناية بها يعيدونها الى سابق مجدها فتنبوأ مقامها العلمي الرفيع الماضي . وهذا ما فكرت فيه الجامعة السورية وما حققته ، فانها اخذت منذ ست عشرة سنة تنفخ في اللغة روحاً جديداً ، هو روح العلم الذي لا تحيا اللغات الاً به . فوضع اسانذتها في مختلف الفروع مؤلفات ثمينة أغنواها خزان الكتب العربية وبرهنوا للعالم العربي ان ما كانت تدعوه الجامعات الاخرى حلقاً قد تحقق

واذا كتب النجاح حتى الآن للجامعة السورية فما خلا طريقها من الاشواك والعلم يلتقي فيه كل يوم شيئاً جديداً . فعلى الجامعة اذا شاءت بلوغ غاية النجاح ان تزيل هذه الاشواك وتبعد الطريق ليسهل على طلبة العلم سلوكه بنحت المصطلحات الجديدة المتواصل ووضع المؤلفات . والجامعة السورية جادة في عملها فهي تعرض في كل سنة ثمرات أسانذتها الياغة بما تطبعه من المؤلفات هذا معظم ما جاء في المقدمة . فهل وفق المؤلف في مصطلحاته العربية واني سأورد هنا بعضاً على سبيل المثال . فأول ما وقع نظري عليه ما يأتي :

drainage

التفجير

ففي القاموس فَجَّرَ الماء فجراً حبسه وفتح له طريقاً وجعله ينفجر والقناة شقها وجفَّر الماء

بمعنى فجر شدد للعبارة . انتهى ما اريد نقله . ولا شبهة ان التفجير احسن كلمة لهذا المعنى والجراحون في ايماننا يعربون اللفظ الاعجمي ويقولون درنجة او درنفة فأين هذا من ذاك .
واما الكلمة الثانية التي بعدها :

biologiste

أحيائي

وكانوا قبلاً يقولون حيوي او عالم حيوي لكنه قال احيائي كما قال المجمع اللغوي وهي كلمة عربية لا غبار عليها . والكلمة التالية ما يأتي :

acide phénique

الحامض الفيني

فانه لم يقل الحمض الفينيك او الحامض الفينيك ولكنه عربها تعريباً ولا بد من التعريب في هذا الموقف ولكنه عربها وجعلها في حلة عربية . ثم الكلمة الثالثة

l'opéré

المبضوع

كانوا يقولون قبلاً من عملت له عملية . ثم الالفاظ التالية :

vaccinothérapie, sérot hérapie, proteinothérapie

الاستلقاح والاستمصال

والاستهلاء . فالاستلقاح هو المعالجة باللقاح والاستمصال المعالجة بالمصل والاستهلاء المعالجة بالهيولى ومنها

anthrax

الجمرة الحميدة

charbon

الجمرة الخبيثة

فكلاهما جمرة وهما ترجمة الكلمتين ولا يخفى ان هذين المرضين مختلفان تمام الاختلاف وان الاستعمال الفرنسي مخالف للانكليزي في المرضين بعض المخالفة

embolie graisseuse

الصمامة الشحمية

lipemie

تشحم الدم

ولو كان المجمع اللغوي لقال في الاولى الصمامة الدهنية وفي الثانية دم دهين او دهنه الدم وكل ذلك مخالف لما جاء في القرآن الكريم في الشحم والدهن كما بينت سابقاً

هذا شيء يسير جداً من هذه المصطلحات وهناك مصطلحات كثيرة جداً منها الوهرط والتبويل والابالة والتبويل خلاف الابالة ومنها المفلوب والمكبود والمأروق والارقاء والمتحولة وهي التي سماها المجمع اللغوي المتمورة والمعهد الطبي أسبق الى هذا الاصطلاح . فانتا لو سرنا على هذا المنوال ونحن في أول عهدنا في وضع المصطلحات وتوحيدها فانه لا يمضي زمن الا ويكون عندنا لغة أخرى وتزداد شقة الخلاف بيننا ونحن نريد التوحيد . ومن هذه المصطلحات الاح وقد وضع المجمع كلمة أخرى فيها خلاف الاح . والاح عربية فصيحة ولعل بعض أعضاء المجمع لم يرقهم الاح لأن فيها آح فآح وإيح وأوح لغة عامة شائعة ليس في الشام ومصر وحدها

بل جميع أنحاء المعمور . فهل نترك كلمة علمية فصيحة لأن أحد الاعضاء لم يستسغها . ومن هذه المصطلحات ملتهم الجراثيم والداخلية المنشأ والخارجية المنشأ والعُصاب الوربي والتنحي العظمي والورم العظمي وأم الدم والزور والعقارب والحشة والنزيف وهو خلاف النزف وغيرها وهي تعد بالملئات والالوف وجميعها مع الاصطلاح الفرنسي

وهنا مسألة يحسن بأعضاء المجمع اللغوي الانتباه لها والتروي فيها . فقبل ان ينهي المجمع الموقر من وضع خمسة مصطلحات يكون المعهد الطبي قد وضع الوفا . المعهد له الحق في وضع هذه المصطلحات لأنه في قلب عاصمة من عواصم البلاد العربية ولأنه يعلمها ولأن أساتذته من جهابذة اللغة والعلم فلا يسعني إلا القول هنا ان الزميل الفاضل وسائر الاساتذة قاموا بعمل تعجز عنه الجبارة وهم جبارة فليستمرروا في عملهم ولا بد أن عملهم يثمر والناس من حولهم يختصمون على كلمة ويتحذلقون في غيرها . ومن شاء البرهان على ذلك فهذا المجلد الأول امامنا وسيليه خمسة اخرى والمجلة ستة وهذا المجلد عدد صفحاته تكاد تكون الف صفحة مكتوبة بلغة عربية فصيحة وانه قبل الانتهاء من العمل يكون أتحفنا المؤلف وزملاؤه الافاضل بمجمع يكون اساساً لتوحيد المصطلحات العربية في الطب . وصدق الله العظيم في قوله تعالى « ان الارض يرثها عبادي الصالحون » فعباده الصالحون في هذا العمل هم اهل دمشق امين المعلوم .

دائرة معارف المنزل الحديث

للآنسة بسيمة زكي ابراهيم — من قطع المتوسط عدد صفحاته ٣٠٢

اتمت الآنسة بسيمة زكي ابراهيم وضع موسوعة كبيرة تتناول شؤون المنزل وأدارته على أحدث الطرق العلمية والعملية . واخرجت كتابها الاول « دائرة معارف المنزل الحديث » والكتاب مرتب ومبوب . فالفصل الاول في المنزل وطريقة بنائه كتبه مهندس مبان هو الاستاذ الفريد نادرص . اما فصول الكتاب الاخر فكتبتها الآنسة بسيمة نفسها . فالباب الثاني من الكتاب في حديقة المنزل وتنسيقها وزراعة الازهار والباب الثالث في ادارة المنزل وعلاج الجانب المادي فيه ومعاملة الخدم ونظافة البيت والصناعات المنزلية والغسيل والسكي والصباغة . والباب الرابع فيه مبادئ عن تربية الطفل وملابس الطفل وغذاء الطفل . والتغذية الطبيعية وفوائدها والرضاعة وغطام الطفل . وهذا الكتاب احوج ما تكون اليه المرأة المثقفة لكي يوجهها الى طريقة « فن ادارة المنزل » والواقع ان عائلاتنا المصرية محتاجة الى درس هذه الناحية من الحياة الاجتماعية . والبيت هو المسكن الذي يأوي اليه الانسان عقب الانتهاء من عمله فيجب ان يكون مكاناً صالحاً للراحة والهدوء والشعور بالنعيم العائلي وهذا لا يتأتى إلا بما تبذله فيه ربة الدار . واتنا لنهى الآنسة بسيمة بعملها الاجتماعي وزوجوها اضطراد النجاح

اسماعيل المفترى عليه

تأليف القاضي كرايتس — ترجمة فؤاد صروف — صفحاته ٢٧٨ — منه ٣٠ قرشاً مصرياً

كان عصر اسماعيل ، جد حضرة صاحب الجلالة الملك فاروق الاول ، حافلاً بالحوادث الخطيرة ففي سنة ١٨٦٦ فاز من السلطان بحق توريث أبنائه العرش بدلاً من اتباع نظام التوريث العثماني القائم على قاعدة الأرشد فالارشد ، وفي سنة ١٨٦٧ اتخذ لقب خديو ، تمييزاً له عن سائر الولاة العثمانيين ، وفي سنة ١٨٧٣ اعترفت الاستانة لمصر باستقلالها مع بقاء الجزية . ثم ان اسماعيل وجه عنايته الى تنظيم الحكومة والادارة والتجارة ومد السكك الحديدية وخطوط التلغراف وبنى المنائر ومرفأ السويس وحاجز الامواج في ميناء الاسكندرية وشق الترع للري وشيد الكباري وحارب النخاسة وبعث بحملة الى السودان لاستكشاف مجاهل القارة السوداء ، وفي عهده احتفل بافتتاح ترعة السويس وأنشئت المحاكم المختلطة ولو ان ملكاً أو أميراً ترك نصف هذه المآثر في بلاد أخرى لفعت بالعظيم . ولكن من نكد الدنيا ان الاغراض المالية والسياسية تألبت على اسماعيل ، فتحكمت في مصيره فأزل عن العرش ثم لوثت سمعته بما وصف به

فهل يرضى التاريخ بهذا الحكم على اسماعيل ؟ وهل كان حقيقة مبذراً للمال لنقص في ملكات التدبير ؟ وهل كان حقيقة طالب لذة يقدمها على شؤون الدولة ؟ وكيف يمكن ان نوفق بين هذا القول الاخير وقول الصحافي البريطاني ما كوان إذ قال — « من المفاوضة على معاهدة الى الموافقة على عقد لشراء فحم او آلات ، انه كان يعرف كل تفصيل من تفصيلات الادارة ولا يفوته من الاعمال الادارية الا ما كان عادياً يسير من تلقاء نفسه . . . وبكلمة ، من الاسكندرية الى وادي حلفا . . . لا يكتفي سموه بالجلوس على الاربكة بل يحكم كذلك » وكذلك قول القنصل الاميركي في تقرير سري « لقد وقف نفسه ونشاطه الذي لا يفتر على

تقدم مصر » وتاريخ هذا الكتاب ١٥ سبتمبر سنة ١٨٧٣
فهل يعقل ان اسماعيل كان كما وصفه خصومه السياسيون والمرابون الدوليون الذين ابزوا ماله واستعانوا بالسياسة على قضاء اوطارهم ؟

هذه الاسئلة تنزل في الصميم من تاريخ مصر الحديث . وقد اتاح الله للحقيقة نصيراً في شخص القاضي كرايتس فقد فصل هذه المسائل وعشرات غيرها ، اوفى تفصيل مستنداً الى جميع المراجع المنشورة ، والى وثائق لا تزال مطوية ومحفوظة في سراى عابدين والمفوضية الاميركية بالقاهرة ووزارة الخارجية الاميركية بوشنطن

ان صدور كتاب من هذا القبيل بقلم قاض ومؤرخ اجنبي يجب ان يكون من الحوادث

ذات الشأن في حياة هذه البلاد العقلية والوطنية . فانه علاوة على كونه كتاباً في التاريخ يغرى بالمطالعة ، هو كتاب في الوطنية تحب مطالعته

وقد عني باخراجه باللغة العربية الاستاذ فؤاد صروف رئيس تحرير « المقتطف » بسماع من المؤلف وترخيص من دار النشر الانكليزية ، وطبعه طبعاً متقناً وجلده تجليداً فخماً في دار النشر الحديث . فعسى ان يستفاد به في التربية الوطنية ، لان تبيان مآثر الملوك والامراء والاقطاب ونقض مطاعن الاجانب فيهم ، من خير الوسائل لاقامة التربية الوطنية على اساس صحيح من العزة والكرامة

« القصر المسحور »

تأليف الدكتور طه حسين — والاستاذ توفيق الحكيم — دار النشر الحديث بمصر

قصة ممتعة اشترك في وضعها علمان من اعلام الادب في هذا الجيل . وليس من المفروض ان اتحدث عن شخصيتهما في هذه العجالة . وان كنت حريصاً الحرص كله على ان اتحدث عن أثر ثقافتهما في ادب هذا العصر

تمتاز قصة « القصر المسحور » بما فيها من أخيلة قوية غشيتها استار من الفلسفة والنقد واي موضوع اثاره أي من السكاكين خلا من الفلسفة او النقد ؟ ! يتحدث الدكتور طه عن قرية « سالنش » الباريسية وعن جبالها وكأن تلك القرية بما ينعم فيها المصطاف من روعة وجمال وهدوء اتاحت لهما ان يجعلاهما « مسرحاً » لقصتهما . ولقد تناول الدكتور في بدء حديثه بل في رسالته الاولى التي اسماها « سميع شهر زاد » الاستاذ توفيق الحكيم بشيء من النقد لا يخلو من لذة او فكاهة او علم . قال عن لسان شهر زاد وهو يسألها لم تقض الشتاء في مصر « فتعجب » « هو الذي ردني عن مصر بكتابه هذا الذي لم احبه ولا استطيع ان احبه . . . لانه كشر يار لم يفهمي وما اظنه سيفهمني » . وهي هنا تذكر قصة « شهر زاد » . ثم يتحدث الدكتور طه حسين فيقول « اني لم افهمك ولم احاول فهمك ولن احاوله لانك احب اليّ وأثر عندي وأجمل في نفسي من ان امسك بهذا السوء الذي نسميه الفهم واستكشاف الحقائق . . ومن فهم شيئاً فقد قتل » . وليس من شك في ان « موضوع شهر زاد » او شخصيتها الخيالية قد كتب عنه طائفة كبيرة من الكتاب في اوربا . وكل اديب عاج شخصيته « شهر زاد » فهو بلا ريب اكسب تلك الشخصية الواناً من شخصيته هو وأضفى عليها طابعاً فنياً لادبه وانا لست أنسى هذه الخصومة التي قامت بين الاستاذين عقب نقد الدكتور طه حسين « لشهر زاد » ورد الاستاذ توفيق الحكيم في هذا الصدد بقوله « ولقد قرأت مقالك عن شهر زاد وما احسبنا

تلاقينا فيه عند رأيي». ويشاء «الزمن» ألا أن يسجل «الحكم» الدكتور طه حسين على لسان «شهر زاد» في أولى مقالات الكتاب. ولكن لعل أن يكون هذا التسجيل سيلاً لخلود هذا الأثر الأدبي للاستاذ توفيق الحكيم مما تفخر به نهضة «التأليف» عندنا ولست أقول الاقتباس أو الترجمة ولا سيما في «قصة» أراد بها الاستاذ الحكيم «التبثيل». وهكذا يمضي المؤلفان في رحلة طويلة تجمع إلى اللذة هذا الشعور المغنوي الذي يعرضه الكاتبان لدرس الأغراض الأدبية والاجتماعية في الحياة. فلقد حوى الكتاب احاديث خصبة عن طبيعة الاديب وعن ضميره وعن الحرية الفكرية التي عجزت عن مأوى لها في عالم الاشباح كما عجزت عن مكان تعيش فيه بين الاحياء. فاذا تقدمت في قراءة الكتاب فانت بين رسائل كلها ادب حي يتحدث عن نفسه وافكار تسوقها الاخيلة الرفيعة الى ذروة البلاغة. ومن امتع ما قرأت ذكر «آلات الزمن» و«فلسفة نسبيتها» ولعلها اذكرتني بقصة ولزالمعروفة The Invisible Man الرجل «غير المنظور» وآلة الزمن Time Machine. وقصة «شهر زاد» لا بل كتاب «القصر المسحور» عمل ادبي ينزع الى الدرس والتحليل في قالب غزلي خيالي ولعل طابع الكتاب يجمع بين طبيعة الحياة الفرنسية واحتها الشرقية. ويثبت ان «النثر» العربي قد ارتقى بل تجدد في الوانه وفنونه واغراضه وهو ما لم يصل اليه الشعر بعد. فالكتاب يخلو من التزيق والهياكل والتراكيب القديمة التي يتلوى بها النثر القديم الذي يقوم عليه مثلاً «الف ليلة وليلة» وغيره من كتب القصص العربي. وكذلك لم «يتقيد» الدكتور طه في رسائل هذا الكتاب—ولعل أسلوبه يتم على انه قد كتب أغلبها—في نظراته للحياة، ولم «يتقيد» في فنه فجاءت رسائله وحي الخاطر وكأها تنبع من سجية نفسه. فأما «الحوار» وطبيعي ان يختص به «الاستاذ توفيق الحكيم» فقد بلغ حد الروعة والاعجاب. فقصة «القصر المسحور» اذن فتح جديد في بناء الادب المصري الذي يجب ان يكون قوامه المعاني لا الالفاظ والدرس والتحليل لا الخيال الاجوف القائم على الزينة

حليم متري

تاريخ الاستعمارين الفرنسي والاطالي

في بلاد العرب

تأليف الاستاذ امين سعيد

منذ شهور تقل عن عام اخرج الاستاذ امين سعيد مؤلف الثورة العربية الكبرى وسلسلة تاريخ الاسلام السياسي كتاباً جديداً عن تاريخ الاستعمار الانكليزي في بلاد العرب، ووعد المؤلف قراء هذا الكتاب، بانهم عندما يفرغون من اتمام قراءته سيجدون جزءاً ثانياً له هو تاريخ الاستعمارين الفرنسي والاطالي في بلاد العرب. وقد بر المؤلف بوعده، وها هو ذا الكتاب

يظهر، فيضيف الى مكتبة الدراسات العربية التاريخية الحديثة سفرًا هامًا يسد فراغًا كبيرًا، ويتناول بالبحث موضوعاً ظهرت فيه بشق اللغات الاوربية عشرات ان لم نقل مئات المؤلفات
تأول المؤلف بالبحث ، في هذا الكتاب ، اتصال فرنسا الاستعماري ببلاد العرب ، وعد الحملة الفرنسية على مصر في عهد نابليون اولى مراحل هذا الاتصال . وسار في بحثه مع الفاتح الفرنسي الكبير من الاسكندرية حتى الوجه القبلي ، ثم شهد معه ثورات المصريين المتصلة، وعودته الى بلاده ، ثم مقتل كليبر ، وتحالف انكرا مع تركيا على اجلاء الحملة . وبعد ان اتم اخراجها من البلاد وقف وقفة غير قصيرة عند النتائج السياسية والعلمية التي انتهى اليه غزو الفرنسيين لمصر وانتقل المؤلف بعد هذا الى الحديث عن فرنسا في الجزائر ، ورسم صورة واضحة لجهاد شعب هذه البلاد، تحت قيادة الامير عبد القادر الحسني ، وما انتهى اليه الصراع من غلبة الجيوش الفاتحة واستباحة حريات البلاد وتملك الفرنسيين لها

وفي الفصل الثالث من الكتاب تفصيل لاستيلاء فرنسا على تونس ، مع التهديد بذكر لحمة سريعة عن تاريخ البلاد . وفي الفصل الرابع وهو اطول فصول الكتاب تفصيل استيلاء فرنسا على المغرب الاقصى وما احاط استعمار هذه البلاد من تنافس دولي اشتركت فيه ايطاليا وفرنسا وانكرا والمانيا ، وما تمخض عنه التنافس من عقد مؤتمر الجزيرة الذي اطلقت فيه يد فرنسا ، فأخذ تكيد للحكم الوطني ، حتى اوقعت الشقاق في البيت المالكي ، ونفذت منه هي حتى استولت على الغنيمة الكبرى . . وهي المغرب الاقصى نفسه

وينتقل المؤلف بعد هذا من افريقيا الى آسيا ، ليجت في اسهاب عن المعاهدات البرية التي مهدت لاحتلال الشام والعراق، وموقف اليهود، وما انتهى الامر من انتداب فرنسا في سوريا ثم يناقش المؤلف نتائج الحكم الفرنسي لسوريا ، ويذكر في ايجاز ثورات السوريين الاستقلالية وآخر فصول الكتاب ، هو القسم الخاص باستعمار ايطاليا لطرابلس الغرب وما سبق احتلالها من حروب اشترك فيها بعض قواد الدولة العثمانية، وختام هذه الحروب باستيلاء ايطاليا على شطوط طرابلس الشمالية ، ثم قيام الشعب الطرابلسي للنضال عن حريته

هذا مجمل سريع لكتاب تاريخ الاستعمارين الفرنسي والايطالي في بلاد العرب ، ولا يفوتنا ان نذكر ان هذه الكتاب — ككتب المؤلف جميعاً — حافل بمجموعة من اهم وانفس الوثائق التاريخية والخرائط والصور النادرة للحوادث والاشخاص ، التي يتعذر جداً الوقوف عليها في غيره

ويقع الكتاب في أكثر من خمسمائة صفحة من القطع الكبير ، وقد تمهدت نشره دار احباء الكتب العربية لصاحبها عيسى البابي الحلبي وشركاه بالقاهرة

تاريخ التربية

تأليف عبد الله مشنوق — مطبعة الكشف بيروت — طبعة ثانية صفحاته ٢٢٥ قطع المقطف
 مما يثلج له الصدر ان يتاح لمؤلف هذا الكتاب طبعة ثانية ، لان هذا الاقبال على كتاب في
 تاريخ التربية ، دليل على ان في العالم العربي طبعة من القراء تهتم بالاصول فتعرض عن الزبد وتغني
 بما ينفع الناس . والكتاب جدير بهذه العناية . فهو كاحسن ما اطلعنا عليه من مؤلفات الغربيين في
 تاريخ التربية في عصورها المختلفة ، وتطورها وقواعدها وفلسفتها وسير أقطابها ، وان كانت السير
 في هذا الكتاب خاضعة بحكم الطبع ، لسياقه الخاص وهو يقتضي الابهاز فيها لتغليب المبادئ على
 التراجم . وجبذا الحال لو عني المؤلف باحاف المقطف ، أو بتأليف كتاب ، يكون غرضه
 الاول كتابة سير الاقطاب التربية ، او رسم صور قلمية لهم في فصول خاصة ، بحيث تكون السيرة
 سيلاً الى تشويق المطالع واغرائه بتتبع البحث . ومن بواعث اعتباطنا اننا ادركنا بعض هذا
 الغرض بكتاب « اساطين العلم الحديث » . واننا لا نتردد مطلقاً في القول بان هذا الكتاب
 خير كتاب عربي لتدريس تاريخ التربية في مدارس المعلمين في الشرق العربي ، على نحو اتيحت
 لنا دراسته في كتابي مونزو وسيلي باللغة الانكليزية في عهد الطلب

سمير اميس

تأليف ارنستاستار — ترجمة سليم سعده — دار النشر الحديث

ان يكن قد أصاب الشرق ما أصابه من علل وأوصاب ، قتت في عضده ، ونالت من كيانه ،
 وعطلت من نشاطه ، وجعلته تابعاً متعقباً بعد ان كان رأساً هادياً متبوعاً ، ان يكن قد أصاب
 الشرق من الوهن ما جعل شأنه من الهوان هذا الشأن ، وحاله من الزرارية هذه الحال ، فليس
 ثمت شك في انه باق كما كان عظيماً بقوته الروحية ، ماحوظاً بسموه المعنوي ، ينفث من سره
 ومن سحره ما يحير الغرب ، وما ياجثه دائماً — حين يعجزه اكتشاف كنهه — الى ان يصفه
 بالغموض ، وان يضيف على سيرته اهاً من الحقاء

مهما قيل اذن في الشرق فلا ينكر عليه انه مهد الانسان الاول ، ومشرق حضارة البشر ،
 ومهبط رسالات النبوة ، ومصدر القوى الانسانية المعجزة الخارقة ، تلك القوى التي علمت
 الانسانية العلم ، وولفتها الحكمة ، وعرفت الفنون والآداب . وهو وان غني برجاله ، واعز بسيرهم ،
 فهو كذلك قد غني بنسائه ، واعز بسيرهن ، ولئن ذكر التاريخ أولئك النساء ، واحدة اثر
 واحدة ، فذكر مثلاً كيلوبترا ، وحتشبسوت ، وهيبشيا ، وبلقيس ومن اليهن فهو لا بد ذاكر
 على رؤوسهن تلك الملكة العظيمة الخالدة التي ان لم تكن ذهبت في أسلوب حكمها مذهب الاثرة

والاستبداد الفكري لكان يمكن ان تكون قد أفلحت في ان تغير خريطة الدنيا ، وتبدل من معالم الناس ، وتبعث شيئاً جديداً في التاريخ

هذه سميراميس ، ملكة آشور وعاهلة نينوى ، المرأة التي لم تكن الدنيا على رحبها لتسع لما كان يحيش به صدرها من آمال ، الملكة التي وهبتها الطبيعة الى نعمة الجمال نعم القوة والرشاد والتوفيق . . توسعت في بناء ملكها ، فكانت تقود جيشها الزاخر الكبير وتوجهه يمنة ويسرة حيثما شئت ، غازية ، فاتحة غائمة ، رابحة ، مصيبة ما تحلم به من اتساع ملكها ، وحقوق علمها فوق بلاد شتى وامصار ، حتى لقد مست آمالها مصر وكادت ان تحدث فيها حدثاً جليلاً

كانت ملكة واسعة الجاه ولكنها كانت كذلك امرأة ، ذات جمال ، وذات قلب ، وذات هوى . لذلك لم يكن بد من ان يصطدم اسلوبها في تسيير دفعة سفينة الدولة باسلوبها في الاستمتاع بحياتها الشخصية الخاصة . . اصطدم اذن السيلان احدهما بالآخر ، وكان لرجال الدين في هذا الاصطدام العنيف شأن ويد وكلمة ، وكان مبعث هذا في كثير من الاحايين هوى عنيف تملك قلب رئيس ديني كبير نحو سيدته وملكة بلاده ، وصاحبة العرش العظيم سميراميس فاخذت الدسائس تعمل من جانب خفي لا علم لها به ، ولا سلطان لها عليه ، واخذ هواها الخاص يطرد في سبيله لا تسبغ ان يعترضه معترض أو يقف في طريقه واقف ، وكان طبيعياً وقد انتهى الحال الى هذا الحد ان يتخرج ، وان يطرد في تخرجه ، وان يكون له غاية ، وان يكون منه نهاية — وقد كان — بعد جهاد شاق عنيف — المصير المحتوم ، فسقطت سميراميس تبخرت الملكة القوية النابذة ، ذات الجمال والسحر والسلطان على جناح طائر صغير وفي كان يحتل مكانه اللين الوديع الا من طيلة حياته على كفها الحنون الدفيء — هكذا كانت نهاية سميراميس وهكذا اتاحت بهذه النهاية الموجهة ، كما اتاحت بسيرتها الحافلة ان يفرد لها التاريخ من تاريخ النابهات صحيفة مشرقة باقية

وقد راق الاستاذ سليم سعده ، قصة هذه الملكة العظيمة النعسة ، فأفرد لها من وقته الثمين المملوء بالمشاغل والمتاعب ، ففقلها الى العربية في أسلوب شائق وبيان ساحر كأنه العذير الهادئ الفياض ، او النغم المسترسل الحلو الحنون . يذهب بك مأخوذاً بعيداً بعيداً ، الى عصر غامض جميل من عصور التاريخ فيحييك بينهم ، في ظل سميراميس ، وصحبة عاشقها ورجالها الدينين ، حيناً من الدهر ويعرض عليك مشاهد حياتها المجيدة المجهدة اللذيذة عرضاً اخاذاً طريفاً لا تشعر له بآخر الا حين تقلب ورق الكتاب فلا تقع عينك الا على غلافه الازرق الجميل ، فتعلم بذلك ان الحلم قد مضى ، وان القصة قد تمت فصولاً

فهرس الجزء الرابع من المجلد التسعين

٣٩٣	اين تبدأ الحياة : بحث في دقائقها الصغرى
٤٠٠	منطقة السدود ومستقبل الري في مصر : لحسين سري باشا
٤١١	تأثير الشمس في شؤون الناس
٤١٧	التعليم المختلط : للدكتور رسل جولد
٤٢٠	الصحافة وأثرها في النهضة القومية : للدكتور سبنسر
٤٢٥	عمر بن أبي ربيعة : لجيراثيل جيور
٤٣٣	النشوء الخالق : لحنا خباز
٤٣٨	مهمة الحكومة في التربية : لعلبي حسن الهاكع
٤٤٤	السيلو تكس : خشب صناعي خفيف كالفلين . لعوض جندي
٤٤٦	حيوانات مشهورة وصحة أسنانها : للفريرق الدكتور أمين المعلوف
٤٥٢	صيحة الشاعر : ذكرى حافظ ابراهيم
٤٥٧	حديقة المقتطف * غيو الشاعر او اشعار فيلسوف ومختارات من شعر « غيو »
	خليل هنداي — النبي : قصيدة لبوشكين
٤٦٥	سير الزمان * خريطة العالم كيف تبدلت بعد الحرب الكبرى : للاستاذ رمزي ميور .
	اوستن تشمبرلن
٤٧٨	باب الاخبار العلمية وفيه ست نمذ
٤٨٤	مكتبة المقتطف * كتب المستشرقين : للدكتور بشرفارس . الامراض الجراحية .
	دائرة معارف المنزل . اسماعيل المفترى عليه . القصر المسحور . تاريخ الاستعمارين
	الايطالي والفرنسي في بلاد العرب . تاريخ التربية . سمير اميس
٥٠١	مؤتمر الطفل * الرجل الصغير : لمحمد صادق عنبر
٥٠٣	التربية الاستقلالية : للدكتور عبد العزيز القوسي
٥٠٥	اطفال الشوارع : للسيدة برتا كمال الدين فهمي
٥٠٨	دكتور المنزل : لامين الغريب
٥١٤	اللعب في حياة الاطفال : للدكتور علي فؤاد بك
٥١٧	تأثير صحة الام في صحة الطفل : للدكتورة كوكب حفي ناصف
٥١٩	الاطفال الخدم : لفتح الله محمد المرصفي
٥٢٣	خاتمة : وجوه الاصلاح الاجتماعي : للدكتور محمد عبد المنعم رياض



الرجل الصغير : لمحمد صادق عتير
التربية الاستقلالية : للدكتور عبد العزيز القوصي
اطفال الشوارع : للسيرة برنا كمال الدين فهمي
دكتاتور المنزل : لامين الغريب
اللعب في حياة الاطفال : للدكتور علي فؤاد بك
تأثير صحة الام في صحة الطفل : للدكتور كوكب هفي ناصف
الاطفال الخدم : نفع الله محمد المرصفي
خاتمة : وجوه الاصلاح الاجتماعي : للدكتور محمد عبد المنعم رباح

الرجل الصغير

للمحمد صادق عفر

بمجمع اللغة العربية الملكي

أهو طفلٌ وليدٌ . وضع لساعته ، أم ملك ؟ أم كوكب جديد ، طلع في هاتمه ، من فلك ؟
فهذه غرته على رسم هلال . وهذه طرته تبارك الله ذو الجلال .
وتلك بشرى شعره ، كأن يد الله لوته من ألم أمه ليلة وضعته . على جبين كأنه من
لون فرحتها ، ساعة استقبلته .

وتان عيناه الجميلتان صنعهما الله كأنهما من المسك أجمل نقطتين ، في أصغر سبيكتين ، بديعتين
من أصفى لحين .

وذاك ثغره ما أبدع وما أجمل ! إنه يعد ابتسامة بل يوشك ان يرف عليه طيفها فيذوب
فيه هم قلبين ، ويشترها بالعمر كل محرومين . وبالدنيا كل مملكين غير معقين
وها تان شفتاه . كلتاها جل مصورها على اتمسها . من وردة في كمسها .
وذا ن خداه طبعاً شبه وردتين . لا تقطف واحدة منهما إلا بشقتين اثنتين .
وذاك انسانه الحبيب الى أبويه لأنه من بين صلب الأب ورائب الأم خلقه المبدع وقدّره .
وفي الحشا كما أراد صورته .

هو لطف الله يخص به الأسرة المختارة . وتحسد عليه الجارة الجارة .
هو وصلة إنسانية بين سلف وخلف وحاضر بين ماضٍ غير . ومستقبل متظر .
وهو حلم الأم في نومها ، وشغلها في يومها ، وحبشها الذي تفخر فيه بعذها ولومها ، وهو قلب
الأب وعنوان كتابه ، ورجاء شبابه ، وضنه من بين أحبابه . يقظته لمستقبل عمل ونومه في
رجولته أمل .

وهو كونٌ ضعيف ضعيف ، ولكنه أقوى ما في السكون ، بل هو ضعف كمنت فيه القوة

كمن النار في الزناد، واستسرى فيه الصبا والفتوة، كما يستسرى النور من العين في سواد، وعزائم الشباب المرجوة، يوم الكريمة والجلاد.

وهو للأُمومة عنوان مثالتها، وبيان رسالتها، وما رسالتها إلا أن تتفرق نفسها لتجتمع في بنين وبنات، يتساوقون في سنوات، أو يتعاقبون في فترات.

وهو بذاته أستاذ أبويه، ومرشد كافليه، لأنه ساعة تضعه أمه يضع على رأس أمه تاج الأُمومة، والأُمومة معني من السماء، وبهذا المعنى تعز الأُم وتتخايل لأنها تبدأ به رسالتها في الحياة، وما رسالتها إلا أن تبني الفرد وهو وحدة الأسرة. وهذا يكون الأسرة وهي وحدة الجماعة، وهذه تكون الأمة وهي وحدة الانسانية، ناهضة في سبيل ذلك بأثقل عبء من الواجب وتبعاته. صابرة على نوائب الحق ومقتضياته. وذلك لعمرى معنى نبيل ينظر الى معنى جليل من الرسالة الالهية التي شرف بها الانبياء.

فهذا الطفل بل هذا الاستاذ الفنان الصانع يعلم أمه أول ما يعلمها الحنان، وهو أنبل معاني الحب، ويفرس في قلبها الرحمة، وهي خير خلال الخير، وينقث فيها الصبر، وهو أعقل العقل، ويطبها على الايثار، وهو أكرم مظهر من الكرم، ويفريها بالشجاعة وهي من أداة البطولة ويزين لها انكار الذات، وهو أفضل ما في الفضيلة، ويحملها ان تعول على نفسها، والتعويل على النفس رأس النجح في الحياة، ورأس مال الاحياء. وهذه لعمرى سبع خلال. ينتهي اليها في الانسانية الكمال. وهو ينشئ في حس أبيه طبقة من الرهافة والالهام لم تكن في حسه من قبل ان يكون أباً. وهو على الاجال يجعله بالملك أشبه منه بالانسان، بل يسمو بانسانيته الى مستوي يكاد يسمح فيه رفيف أجنحة الملائكة، ويتفجر في نفسه بفضل طفله نبع سحري من السعادة لا سرته يفيض. ولا يفيض. ويتفجر. ولا يتغير.

ومن آية حنان الام أنها تدع اسمها الذي كانت تتسمى به وهي بعد فتاة، فلا تعود تعرف إلا بالاضافة اليه.

ومن آية حب الأب لابنه أنه يرى فيه أحب شخصيه اليه وعونه في غده، وخليفته في أهله من بعده، ولله در القائل:

وإنما أولادنا بعدنا أبكادنا تمشي على الارض
لو هبت الريح على بعضهم لامتعت عيني على الغضب

التربية الاستقلالية

للمر كتنور - عمر العزيز الفوصي

الاستاذ بمعهد التربية

سأحاول ان احدثكم عن التربية الاستقلالية لا تنا مقبلون على عهد استقلالي . ولا يمكن للامة ان تعيش وتقوى فيه الا اذا اعددنا لها افرادها اعداداً خاصاً . فيلزمنا اذن ان نربي اطفالنا بحيث تصبح شخصياتهم حرة مستقلة . ولاجل ان تكون الشخصية كذلك يجب ان تتوفر فيها خصال ثلاث الخصلة الاولى : هي ان يعتمد المرء على نفسه في اعماله وأفكاره . والخصلة الثانية : هي ان ينسجم مع بقية افراد المجتمع ويكون عضواً نافعاً فيه . وبعبارة اخرى لا يكون شاذاً عن المجتمع خارجاً عليه بل يتصل ببيئة افراده في الرغبات والافكار والمصالح . والخصلة الثالثة : هي ان يكون الشخص قادراً على مواجهة شدائد الحياة بشجاعة وقوة وصبر فيناجزها ان ناجزته ويتحداها ان تحدته هذه هي الشخصية المستقلة تعتمد على نفسها وتنسجم مع افراد المجتمع بحيث لا تشذ عنهم ولا تتلاشى فيهم وتتصف بالشجاعة والاقدام ولكن كيف يمكننا ان نربي اطفالنا على كل هذا ؟ الطريقة سهلة وتدور من حول محور واحد وهو الثقة بالنفس . وهذه — اي الثقة بالنفس — لا يجوز ان يفهمها البعض على انها صفة الغرور فالشخص المغرور هو الذي لا يرى عيوب نفسه او يراها على انها محاسن . وزيادة على ذلك فهو لا يرى محاسنه الا بمنظار مكبر . وعلى عكس هذا تماماً الشخص المحتقر نفسه الذي يبغض نفسه حقوقها وينكر عليها حسناتها . وكلا هذين الشخصين المغرور والمحتقر نفسه لا يمكن اعتبارهما من الشخصيات الحرة المستقلة المتصفة بالثقة بالنفس . فالواثق من نفسه هو الذي يفهمها على حقيقتها ويدرك ما بها من نواحي الضعف ونواحي القوة ولتربية الطفل تربية استقلالية مبنية كما قلنا على تعزيز الثقة بالنفس يلزمنا اولاً ان نلقي نظرة سريعة على الطفل في ادوار نموه المختلفة : الدور الاول هو السنتان الاوليان من الحياة ففهما يظل الطفل معتمداً على امه في كل ما يحتاج اليه . بعد ذلك يكون قد تقدم في المشي والكلام وعلى ذلك تتسع دائرته الاجتماعية فبعد ان كانت مقتصرة على امه تمتد الى بقية افراد الاسرة . ويستمر هذا حتى السنة الخامسة حيث تمتد الحلقة الاجتماعية الى المدرسة . ويظل معتمداً على هذه في تعليمه وتهذيبه حتى يخرج الى الحياة . فالطفل اذن يستقل اولاً عن امه ليصبح عضواً في مجتمع الاسرة . ثم يستقل عن الاسرة ليكون عضواً في المدرسة . وبعد ذلك يستقل عن المدرسة ليعتمد على نفسه في الحياة . فيمر الطفل بالضرورة في مراحل استقلالية مختلفة ويلزمنا ان نسهل له الانتقال من مرحلة الى اخرى لناخذ الطفل في الدور الاول من الحياة حيث نجده يفوز بجميع رغباته معتمداً في ذلك على امه فهي تطعمه وتقضي حاجته وتعمل على توفير راحته وتجري لاسعافه عند بكائه . وعلاوة على ذلك فهي لا تعاقبه ان أزعجها طول الليل بصياحه ولا تضربه اذا كسر أو اتلف شيئاً .

فحياة الطفل اذن في هذا السن حياة سعيدة هادئة محفوفة بالامن والطأنينة. والشعور بالامن في هذا السن هو بادئة الثقة بالنفس والانتقال من هذا الدور الى ما بعده يجب ان يكون تدريجياً ما امكن ولكن قد يحصل غير هذا فربما يضرب الطفل اذا بكى ويعاقب اذا اتلف وينهر اذا لعب أو تكلم امام الضيوف . وكثيراً ما يصيح الآباء في وجوه ابنائهم في هذا السن قائلين (دا عيب ودا ما يصحش ودي قلة حياء ..) الى غير ذلك مما لا معنى له في نفسه كطفل

وهذا التغير من حالة السعادة والراحة الى حالة الايلام والايذاء والمنع من شأنه ان يغير الشعور بالامن الى شعور بالقلق والاضطراب وهذا اول ما يبرز في الطفل ثقته بنفسه وبما يضعفها ايضاً كثرة النقد والتحقير والتثبيط فمن شأنها ان تشعر الطفل بأنه لا يمكنه ولن يمكنه ان يأتي عملاً مرضياً . ونتيجة هذا الشعور المؤلم القاسي ان ينزوي عن الناس ويرغب عن مقابلتهم . وان قابلهم فانه يظل هادئاً صامتاً منكشاً في نفسه وهذا هو الشخص الخجول الحساس الذي يخشى ان تكلم او تحرك امام الناس ان يسخروا منه

وعلى نقيض الطفل الذي نكث من نقده نجد الطفل الذي نسرف في مدحه . فمن الخطأ ان يظن الآباء ان كثرة المدح مشجعة للطفل . بل الحقيقة ان الاسراف فيه يؤدي الى شدة الغرور والاسراف في كل من النقد والمدح يؤدي الى نتائج اخرى سيئة لا يتسع المقام لها الان ولننتقل الى غلطة اخرى يرتكبها الآباء مع ابنائهم وهي عدم اتاحة فرصة المخاطرة للابناء . يقوم بعض الآباء بحراسة ابنائهم ومنعهم من لمس هذا خوفاً من الايلام وهذا خوفاً من جرح ايديهم ولكنهم بهذه العناية يمنعونهم من التجريب واكتساب الخبرة . نعم انهم يحافظون عليهم من بعض الخطرات البسيطة ولكنهم يحرمونهم اكتساب خصلة المخاطرة التي هي أساس الاقدام والشجاعة والحصلة الاخيرة التي تتطلع اليها هي الاستقلال في الرأي . وكثير من الآباء يفكرون لاولادهم ظناً منهم ان في هذا توفيراً للوقت فيشيرون على اولادهم في كل صغيرة وكبيرة وبعبارة اخرى يملون عليهم كل شيء املاً . وبهذا يشل تفكير الطفل لان هناك من يفكر له فيعود لا يفعل شيئاً ما من تلقاء نفسه فتكون النتيجة ان ينشأ الولد تابعاً لغيره في تفكيره وليس له في نفسه ثقة ما

فليعلم الآباء والمدرسون اذن ان من يبرز في الطفل ثقته بنفسه فهو انما يصيبه في صميمه وقد يترك لديه عاهة نفسية مستديمة . وأما من اراد ان يربي طفله تربية استقلالية حقة فليحذر التغيرات الفجائية في معاملة الطفل وليحذر كثرة النقد والتثبيط والتحقير . وليكبح في نفسه رغبة الاسراف في المدح وليكتف باظهار علامات الرضا والاستيلاء على بعض الاعمال وليعطه فرصة اداء اعماله بنفسه وكذلك فرصة المخاطرة وليدعه يفكر لنفسه وليكن موقف الآباء والمدرسين موقف الموجهين ليس الا . بهذا كله تنمو في الطفل ثقته بنفسه ولكنها تنمو كاملة اذا كان لنا في الطفل ثقة بحسبها بنفسه فينا . فاذا حافظنا اذن على ثقة الطفل بنفسه وأظهرنا له ثقتنا به نجحنا في نشأته كشخصية قوية مستقلة

أطفال الشوارع

للسيرة برنما كمال الدين فرهمي

ان مشكلة الطفل الذي يعيش في الشوارع من أهم المشكلات الاجتماعية . والمعلومات والتناج التي سأبني عليها كلتي هي نتيجة مباحث قمت بها بمساعدة بعض اصدقائي وتناولنا فيها خمسين طفلاً كانوا يعيشون وينامون في الشوارع . من المستحيل ، ان ألم بالموضوع كله في الوقت القصير الذي عندي ولكن سأجهد ان اذكر لكم بعض الوقائع والحالات الضرورية التي ظهرت لي وأملئ اثاره اهتمام جميع المهتمين بمصلحة الطفل المصري وشعورهم

لما حضرت الى مصر (المقطف : السيدة اميركية الاصل) وسألت بعض الناس عن سبب وجود اطفال كثيرين يعيشون وينامون في الشوارع كانوا دائماً يردون عليّ بأحد الاسباب الآتية :

(١) هؤلاء الاطفال يتامى (٢) هؤلاء الاطفال عاطلون ولا فائدة منهم

(٣) ثمة ملاجئ كافية لهم ولكن لانهم عاطلون لا يريدون ان يذهبوا اليها ولكن الجأثي اظهرت انه ليس بين هذه الاسباب سبب صحيح . فأولاً من الخمسين طفلاً واحد فقط كان يتامياً . ثانياً ما كان يمكن ان يقال عنهم انهم عاطلون ولا فائدة منهم . ثالثاً بالرغم من مجهودات الحكومة وبعض الهيئات الخصوصية فانه لا توجد موارد كافية لسد حاجات هؤلاء الاطفال

الواقع ان وجود هؤلاء الاطفال في الشوارع ومعظمهم يعيش فيها من اشهر وسنين يدل على وجود مشاكل اجتماعية خطيرة لا بد من حلها لان استمرارها يؤثر تأثيراً سيئاً في حياة الاطفال عموماً يعيش الاطفال في الشوارع لاسباب كثيرة مختلفة متداخل بعضها في بعض .

ولكن بين العوامل الكثيرة التي لاحظتها عاملين مهمين جداً ، العامل الاول كثرة الطلاق والزواج بالنسبة لاحد الزوجين او كليهما . ان اكثر من ٣٠٪ من الخمسين طفلاً الذين درستهم وزرت عائلاتهم كانوا ضحية هذا العامل لان نتيجة هذا الطلاق والزواج كانت اهمال الطفل وسوء معاملته وكرهية الزوج الجديد او الزوجة الجديدة له وعلى العموم عدم امكان الطفل ان يتمشى مع حياة عائلية منقسمة — على نفسها — مفرقة . أما العامل الثاني المهم فكان عدم استطاعة الوالدين او اولياء الامور ان يديروا شؤون الطفل ادارة جيدة . هذا العامل ظهر في ٣٠٪

من الاولاد الذين درستهم ويرجع الى اسباب كثيرة منها (١) موت الاب او الام (٢) ارسال الطفل للعمل وهو صغير السن جداً وتحت احوال صعبة (٣) الجهل العام بادارة الوالدين لشؤون اطفالهم وعلاوة على العاملين السابقين المهمين جداً هناك عوامل اخرى كان من نتيجتها وجود هؤلاء الاطفال في الشوارع . من هذه العوامل (١) الانتقال من الارياف الى المدينة (٢) عاهات عقلية او جسمية في الطفل (٣) فساد اخلاق الوالدين (٤) اهمال الطفل (٥) رغبة العائلة في زيادة دخلها . ولكن

من المفيد جداً هنا ان نلاحظ ان هذا العامل الاخير كان عاملاً ثانوياً في الحالات التي درستها وعلاوة على العوامل الكثيرة المباشرة التي ذكرتها هناك عوامل عامة كان لها تأثير غير مباشر. ولسكنهم مهم جداً في مشكلة اطفال الشوارع. هذه العوامل هي (١) سوء حالة العمل (اعنى ساعات عمل طويلة ومعاملة خشنة وأجر قليل) (٢) الفقر (٣) عدم وجود وسائل صحية للرياضة في المنطقة وطبعاً كان نتيجة ذلك ان حركة الشوارع وضوضاءها كانت مغرية جداً للطفل (٤) نقص التعليم والتدريب على صنعة. من الخمسين طفلاً سبعة فقط ذهبوا الى المدارس ومن هؤلاء السبعة واحد فقط قضى في المدرسة اكثر من خمسة اشهر

في هذه الكلمة الموجزة ليس لدي من الوقت متسع لان اقدم لكم صورة شاملة لحاجة هؤلاء الاطفال وآلامهم وبؤسهم الذي يثير الشفقة. ولا لأن اطليل الكلام في التأثيرات المضرة جداً التي تنتج من حياة الشوارع التي سميت بحق «مدرسة تعليم الاجرام». وانما يكفي ان اشير الى ان ٣٠٪ من الخمسين طفلاً الذين درستهم بدأوا فعلاً يسرقون. اي انهم بدأوا فعلاً حياة الاجرام. من المحقق اذن سواء من وجهة نظر تخفيف وطأة العذاب والتعاسة او من وجهة نظر حماية المجتمع من الاجرام ان هؤلاء الاطفال يستحقون شيئاً من عنايتنا. ولكن كيف السبيل الى مساعدة هؤلاء الاطفال وكيف يمكننا ان نمنع اطفالاً آخرين من الالتجاء الى الشوارع؟ من المهم جداً ان نفهم من الاول ان بناية الملاجىء والاصلاحيات ليست حلاً كاملاً للمشكلة على جليل فائدها. بل يجب علينا ان نصل الى العوامل الاساسية التي تسبب هذه المشكلة فنستأصلها. فاذا اردنا ان نقوم بالاعمال الواقية المفيدة وجب وضع برنامج منسجم لخدمات اجتماعية جديدة واصلاح اجتماعي شامل

لذلك فان اي برنامج هدفه معالجة مشكلة اطفال الشوارع يجب ان يكون على اساس مبدئين المبدأ الاول: يجب ان يكون العلاج شخصياً. لان كل طفل يمثل مشكلة شخصية مستقلة. فاية مساعدة تسدى الى الطفل يجب ان تسدى بحسب حاجته الشخصية. ولا يمكن معرفة هذه الحاجة من نواحيها المختلفة الا بعد دراسة هذا الطفل دراسة دقيقة في بيئته الاجتماعية المبدأ الثاني: سياسة انشائية للوقاية ضرورية جداً. اذ يجب علينا ألا ننظر حتى يرتكب هؤلاء الاطفال الجرائم او يثوروا ضد الهيئة الاجتماعية بل يجب علينا في اي وقت كان ان نساعد الطفل في بيئته الاجتماعية العادية وهو صغير السن. وسأعرض الآن مقترحات مختصرة للخطوات التي نحن في اشد الحاجة اليها والتي يجب ان تكون جزءاً من اي برنامج انشائي مفيد لمعالجة هذه المشكلة فأولاً يجب انشاء مأوى بسيط لاطفال الشوارع يولهم شيئاً من العناية وذلك على سبيل الشروع فقط والى ان يتاح القيام بعمل اوسع نطاقاً. فان هؤلاء الاطفال—وفي الشتاء خصوصاً—يتحملون

المأ وعذاباً كثيراً وينكمشون معاً في الشوارع — وهم يرتجفون برداً — طلباً لشيء من الدفء والنوم ثانياً . لعل أفضل عمل في سبيل يتاح للذين ليس لهم اقارب او الاطفال الذين لا يصلح اهلهم للعناية بهم هو انشاء ملاجئ او مدارس صغيرة للتعليم الصناعي او الزراعي . ولكن من المهم جداً في هذه المعاهد ان تتيح للاطفال العناية الفردية الشخصية لانها ضرورية جداً لنمو اخلاق الطفل وشخصيته . واحسن طريقة للقيام بذلك هو تقسيم الاطفال الى جماعات صغيرة تشبه الاسر ويكون شخص واحد مسئول عن جميع حاجاتهم وكل اوجه الاصلاح الخاصة بهم ويعيش على اتصال وثيق بالطفل وعلاوة على ذلك فانه من المهم جداً استمرار الاتصال بالطفل ومساعدته بعد خروجه من هذه المعاهد . . . من ذلك نرى اتنا في شدة الحاجة الى اشخاص اخصائيين عندهم دراية كافية بطبيعة الاطفال ومشكلاتهم للقيام بالاعمال المطلوبة في هذه المعاهد

ثالثاً : نحن في شدة الحاجة الى بحث القوانين الخاصة باستقرار الاسرة وتعديلها . فالطفل المصري في احتياج شديد الى قوانين عصرية لحمايته من القسوة وتأثير فساد الاخلاق والاستغلال والاهمال . والى هيئة لتنفيذ هذه القوانين . وكذلك نحن في احتياج الى هيئة عمالها الوحيد هو العناية بالاطفال المهملين والذين تساء معاملتهم . ويكون لها السلطة لنقلهم من بيوتهم اذا اقتضى الامر ذلك . أليس من الغريب ان يكون في مصر جمعية للرفق بالحيوان ولا يكون فيها جمعية للرفق بالاطفال وحمايتهم من القسوة ؟ رابعاً : نحن في اشد الحاجة الى زيادة نشر التعليم الانزامي المبني على احتياجات هؤلاء الاطفال مع العناية بالتعليم الصناعي خاصة . اما الاطفال ذوو العاهات العقلية او الجسمية في احتياج شديد الى تربية وحماية خاصة

خامساً : نحن في شدة الحاجة الى معاونات اجتماعية ورياضية . مثال ذلك انشاء ميادين للعب واندية للاطفال ومنشآت كمحلة الرواد يجد فيها الاطفال لذة تشغلهم وتحل محل حياة الشوارع سادساً : نحن في شدة الحاجة الى زيادة الموارد اللازمة لمساعدة الام التي تترك بلا معين مع صغارها بعد وفاة والدهم ولمساعدة الاسر التي تعاني شدة الفقر ولكن لكي تكون هذه المساعدة افقع ما يمكن ان تكون يجب ان يرافقها مساعدة اجتماعية فعالة مجدية للاسر واخيراً علاوة على المتطوعين فاننا في شدة الحاجة الى اشخاص اخصائيين والى شخصيات

قادرة لتخصص كل وقتها للقيام بهذا البرنامج من جميع وجوهه

ايها السادة : الغرض من هذه الكلمة هو المطالبة باتخاذ الاجراءات التي ذكرتها ، هو المطالبة بالقيام باعمال للوقاية من التشرذم والاحرام . هو المطالبة بمد يد المساعدة والحماية للطفل المصري المحروم . هو المطالبة بتنمية تلك المواهب الفنية كالذكاء والنبوغ والشخصية التي توجد في هؤلاء الاطفال والتي اذا تمت زياد كثيراً في ثروة الامة المصرية وهئامتها وتساعد على رقيها وتقدمها

دكتاتور المنزل

للصبي الغريب

سادتي : ليست الارض وحدها تدور . بل كل الحياة عليها دائرة تهبط اليوم بمن كان عالياً بالامس وتعلو بمن كان هابطاً . انظروا الى مركز الاب في الاسرة ولا نبعد الى العهد الهمجى اذ تربع في دست الرأسة جباراً عنيداً يأمر بالموت والحياة ، يبيع بنيه ويثد بناته حين يشاء ، بل تنحدر الى عهد قريب اذ تلتطف مع الايام فصار يكتفي بان يحتل رأس المائدة يلتهم اطيب الطعام بلا اعتراض من زوجة ولا حاملة من ولد ، يتكلم في كل العلوم والفنون ، وامراته وأولاده يصغون ويتساکتون ، وعلى كل كلمة يؤمنون ، ولكل اشارة يخضعون ، ذلك عهد ذهبي كان للآباء ولن يكون ، وباطلاً يتهدون وعيناً يتحسرون

وجاء عهد صارت فيه الام في المنزل كالمملكة في الخلية صاحبة السلطة المطلقة والقول الاخير . عهد تراجعت اصوله الى زمن بعيد ينتسب البنون فيه الى امهم لا الى ابيهم وامتدت ذبوله الى عصر قريب يحجى الاب فيه ويحلب كالبقرة الحلوب وزوجته وبناته كنزنا بق الحقل لا تتعب ولا تغزل ومع ذلك سليمان في كل مجده لم يلبس كواحدة منها . فهل من عجب ترى بعد نزول الاب عن كرسي الدكتاتورية وارتقاء الام ان يدور الزمان دورته الطبيعية وتنزل الام ايضاً ليحل محلها دكتاتور جديد

هذا العصر يا سادتي عصر الولد في الاسرة البشرية . يجلس على العرش الذي نحن له اقمناه ومن حنايا ضلوعنا بنيناه ويحكم بالامر الذي وليناه

لما كان البشر في اوائل عهدهم يعيشون في الآجام والكهوف متقاتلين وفاتكين بعضهم بعض كانت علاقاتهم العائلية ضعيفة يحمي الكبار صغارهم الى اجل معين ثم يتركونهم ليتولى كل فرد مهمة الدفاع أمام الخطر عن نفسه وكلما أمعن البشر في الحضارة والترف ازداد انكسار الاولاد على والديهم ومال والادون الى اطالة عهد الطفولة فيهم حتى قال أحد كبار الاجتماعيين في اوربا آخراً ان المتمدنين صائرون الى عهد قريب لا يبلغ الانسان سن الرشد فيه حتى الاربعين وفي الواقع يصل اليوم الى سن الرشد كثيرون وهي الحادية والعشرون لكنهم لا يرشدون .

وهكذا نجد الحضارة الحديثة تبدع العجائب في اختراعاتها وتم من العظام ما يبي الجسارة وفي الوقت عينه تتلخخ با ثام حقيرة يقترفها اشخاص بلغت اجسادهم سن الرشد وظلت عقولهم تدب على الركبتين . فهم كبار يرون آراء الصغار . وهم رجال يعملون كالاطفال

مع ان الغرض من وجود الاسرة هذه الجامعة التي بارك الله فيها واعتمد التمدن عليها انما هو تهذيب الطفل كي ينضج ويتمرن على واجب التعاون مع الناس . فاذا تقاست الاسرة هذا الغرض وصيرت محض وجودها غرضاً لا وسيلة لادراك ذلك الغرض وجعلت من صغارها الاعيب في ايدي كبارها ، اذا لم تمرن الاسرة اطفالها على طرق الاستغناء عنها والاندماج في أسرة العالم الكبرى شذت عن وظيفتها الحقيقية وأخفقت في مهمتها الطبيعية وهي اعداد بنينا لعضوية الهيئة الاجتماعية

اذا نظرنا الى الاحتياجات الجديدة في هذا العصر وجدنا النظام الذي تمشي عليه في تربية اولادنا لا يسد هذه الاحتياجات . نحن في دور انتقال نزيد التمسك بأساليب ألفناها في عصر سابق فنصطدم بمقتضيات حضارة جديدة غزتنا من كل جانب وتغلغت في صفوفنا واجتاحت منازلنا رغم انوفنا مدفوعة بتيار شديد لا ينثني ولا يجيد . فصرنا نكتم جهراً في ما نحافظ عليه سرّاً . ونستهجن التمدن الحديث وندعي على مضض أننا آخذون باهدايه لثلاث تهننا الاكثرية العالمية بالتأخر والرجعية . فاذا اخلدنا الى نفوسنا او الى الاصفياء المتناقضين يوماً فيوماً من أصدقائنا استسلمنا الى التأوه والتمرم وناديننا بالويل والثبور وعظائم الامور

وكان مثلنا مع التيار الجارف مثل ذلك القروي الساذج الذي جاء القاهرة لاول مرة وسار على خط الترام . واقبل السواق من خلفه يقرع له الجرس ويناديه « حوّد يا راجل . حوّد يا راجل » وهو ماش مطمئن . لا يكثرث ولا يهتم حتى اذا اقترب السواق منه صاح به : « ماتحوّد يا راجل » فالتفت قليلاً واجاب « حوّد اتنا »

هذا النزاع الداخلي الحالي في اعماق نفوسنا بين ما نحن وما يجب ان نكون طبيعي في كل انقلاب من حال الى حال وهو منشأ الفوضى الاجتماعية التي تروّعنا وتذهلنا في هذه الايام وتبدد انما طبقات متباعدة تكاد تنفي كونها أمة واحدة وتدفع اولادنا الى ما يسوؤنا من خطط وبخيفنا من عواقب فلا تكاد ترى والداً يستصوب سلوك بنيه . ولا ولداً يؤمن بمعارف ابيه . واضمححل كالماء المنشور قول الشاعر المأثور :

والابن ينشأ على ما كان والده ان الاصول عليها ينبت الشجر

لكن المسألة وجهاً آخر ، ولكل مسألة في الدنيا وجه آخر . فكيف ننتظر يا سادة من ولد تفتحت عيناه في المهد على طيارات سابحة في الجو تبسط سلطة الانسان على مملكة النور . وغواصات نازلة في اليم تنازع الاسماك أسرار البحور . وأذناه على هدير سيارات خاطفة كالبرق . وراديو ناقل الى غرفته أحاديث الارض بالطول والعرض — كيف ننتظر منه وقد تلقى هذه الغرائب مع فطرته الاصلية مألوفة طبيعية ان يحترم آراء والده الجائرة وأفكاره الحائرة بين حقائق العصر الحالي وخيالات الزمان الخالي على ان للوالدين حقاً مقدساً في توجيه خطى الاطفال الى الطرق القويمة وسبيلهم الى ذلك ان يبدأوا العمل في الوقت المناسب

عقدت نقابة اطباء البريطانيين مؤتمراً في ملبورن خطب فيه الدكتور سطن أستاذ طب الوقاية في جامعة سدن فقال : « ان أهم السنوات في تكوين اخلاق الطفل هي بين الثانية والخامسة . في هذه الاعوام الثلاثة تذاب طباعه وتصهر ويصنع منها كيانه المقبل . فماداته وميوله وأطواره وخوافه حتى أسباب صحته وأمراضه تنشأ كلها في ذلك العهد الباكر »

اجل وفي هذه الاعوام ايضاً يبالغ الاهل في تدليل الطفل والترفيه له حتى يصير بطبيعة الحال دكتاتوراً

جاءت امرأة فقيرة الى جيرانها الاغنياء تشكو لهم بلباقة ان ابنهم رشق نافذة بيتها بحجر فطم الزجاج . فصاحت أمه متلهلة : « تسلم عنه . وهل استطاع ذلك . بالله عليك هاتي الحجر لنحفظه مع مآثر طفولته كي يسر رؤيتها حينما يكبر »

وهكذا أيها السادة ، ما بين رخاوة الابوين وجهلها الملقين خطأ بالعطف والحنان ينشأ اليوم في كل منزل طاغية عنيد هو بالقياس الى محيطه والوسائل الميسورة له أشد تحكماً من تيمورلنك وجنكيز خان وهولاكو . وهكذا كلما انعمنا النظر في الاسباب التي تمهد للطفل سبيل الدكتاتورية وجدناها صادرة من اهله لامطبووعة فيه

تظهر في بعض الاطفال مزايا تسوء والديهم . فيشكل هؤلاء على الزمن في اصلاحهم . هذا يميل الى الكذب والاحتيال وذاك الى الضرب والتعدي وذلك الى السرقة او اشعال النار او تحقير الناس . فيقولون ان الزمان كفيل بتقويم هذا الاعوجاج . يا هذا ان الزمان يغير بعض المظاهر . لكن ولدك مريض في اخلاقه فداوه بالتعليم والارشاد . وان تشعر بعجزك عن ذلك فاستصح واستشر ولا تتكل على الزمان لأنك بهذا الاهمال الجنائي تهنيء لوطنك اعداء داخليين أشد خطراً عليه وفكاً به من أعدائه الخارجيين

في لندن معهد مخصوص لاصلاح الاولاد الشاذين . أسسته الدكتورة بهلر الاستاذة في جامعة فينا . وقضت وقتها من أجله متنقلة بين انكلترا والنمسا . فتقاطر الناس اليها من كل فج وصوب لتجارتها في وقف العلل قبل استئصالها . وقد نظمت سلسلة من الوف الحوادث التي عالجتها . واستنتجت من مجموع تلك الحوادث ان الآباء والامهات أولى بالاصلاح من الاطفال . جئنا يوماً بولد اخرس عمره ثلاثة أعوام . فقادها البحث في امره الى سبب غريب هو ان امه ذكية جداً تدرك ما يريد الطفل قبل ان يطلبه . وهو حبيب قلبها طبعاً فتلييه دون ان يشعر بحاجة الى الكلام . قال الشاعر العربي : « ذكاء المرء محسوب عليه » . اما هذه المرأة فكان ذكاؤها محسوباً على طفلها . وقد عولج الولد في المعهد بمحض ابعاده عن امه الذكية . فصار الآن من فصحاء اللسان

كل ولد في الدنيا يتمنى لو يكون رجلاً . ويتعجب في ان يعامل كرجل . كانت احدى الامهات الفقيرات تعطي ولدها الصغير مكنسة كبيرة فيسربها جداً ويكنس مدخل البيت . ويمر به اولاد الاغنياء فيحتقرون مكانتهم الصغيرة ويقفون ناظرين اليه بعين الحسد ويتمنون لو ترق بهم امهاتهم كما وثقت به امه . اذاً اكانوا يكنسون البيت مثله بطيئة خاطر

الولد يحب القوة ويميل الى كل شيء قوي . واذا كان يضح ويصخب ويضرب الصفيح في المنزل فلان الضجيج يمثل في رأيه القوة . هذا الميل فيه قابل للتعديل والتحويل الى مظاهر الشهامة والاباء والمروءة . ولكن بالايضاح والاقتراح لا بالاستبداد والتحكم . قال فقلون . « ما من قوة بشرية تستطيع نزع الحرية من صدور البشر . ان الضغط لا يعلم الناس بل يحولهم الى مرأين » وقال لامرأتين : « كل نفس بشرية في صباها تكون ديمقراطية والبرهان على ان الحرية هبة من الله هو انها اول حلم من احلام الشباب » وما اصدق امام العرب الكبير عمر بن الخطاب حيث يقول : « متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم امهاتهم احراراً »

لهذا السبب ايها السادة منعت الحكومات الراقية ضرب الاولاد في المدارس وحدها بل في البيوت ايضاً . ومفذهد قريب رأيت في جريدة اميركية صورة امرأة مسجونة وراء الحديد وتعلمون لماذا ؟ لمحض انها ضربت ابنتها الصغيرة بخيزرانة على اسفل ظهرها . رحم الله افلاطون الذي قال : « لا تقسروا اولادكم على آدابكم فانهم مولودون لزمان غير زمانكم »

وعلى ذكر البنات الاميركيات وتقلب الايام والتبدل الدكتاتوري في المنزل ، أروي لكم طرفة صغيرة من عهدي في نيويورك اعادها الى ذهني زواج الاميرة جوليانا وولية عهد هولندا منذ عشرين يوماً

فقد تزوجت أمها الملكة ولها من قبل ٣٦ عاماً . فانتدبت جريدة ايغفن جورنل كاتبة اميركية هي السيدة الاهويلر ولككس الشاعرة الشهورة للذهاب من نيويورك الى لاهاي وموافاتها بوصف الحفلات . واذكر من رسائلها مقابلتها الاولى للعروس . والروع الذي تملك لها عند اقترابها في الموعد المعين من الغرفة الملكية . ثم قالت : « ترددت امام الباب خاشعة كيف اجالس انا المرأة العادية ملكة من ربات العروش ! ولكن بعد هنيهة تذكرت اني من بلاد كل امرأة فيها ملكة . ودخلت مطبئة »

فهذه الطائفة الفكرية ، في المرأة الاميركية ، سرى مكروها اليوم الى جميع فتيات الكرة الارضية . ذهب الحياء الذي كان اسلافنا يرونه زينة الزينات للنساء والبنات . وحل محله الاطمئنان المرسوم على وجوه ساطعة انيقة ، وقامات هيفاء رشيقة ، تمتنى في المحافل كالسمهرات الذوابل لكن السيدة ولككس على حسن حالها لم يكن لها من المظاهر الخارجية ما تطاول به ذوات التيجان . ولهذا لم تتكل في راحتها النفسية على شعرها المعقوص المموج وثيابها الفاخرة بل على علمها الصحيح وذهنها المتوقد . لا بأس في ان يذهب من اولادنا الحياء السالف ليحل محله اقدام متبثق من العلوم والمعارف . لكن الخطر الخطير والشر المستطير في ان يذهب الحياء ولا يخلفه شيء من هذه الاشياء

ثم ان الولد يميل الى من يشعرون شعوره فلا تسخروا باولادكم ايها الوالدون ولا تهكموا عليهم بل دلوهم على مكان الخطأ بلطافة وبمعدرة . بلطافة لان التهم سهم حاد يجرح الولد في قلبه جرحاً لا يندمل . ويريه في اهله اعداء لا اصدقاء . وبمعدرة لان اجدادنا العرب كانوا اساتذة كباراً في الكرم وقد تركوا لنا فيه امثلة دقيقة . فلم يقولوا « الكريم من اعطى » بل قالوا « الكريم من عذر »

لقد ربتم اولادكم وأطعمتموهم واسقيتموهم لكن فيهم خلة اساسية اودعها الله في كل رأس وهي عزة النفس . فهلا حسبتم لها حساباً ؟ انت يا سيدي قد تطعم الجائع وتروي غلة العاطش وتحسب انك رفعت السماء عن نفسه . لكن كلمة واحدة منك جارحة لنفسه العزيزة تذهله عن كل فضلك وتنسيه جميل فعلك لأن عزة النفس ليست في معدة الجائع كي تظن ان اشباع جوفه يعفيك من احترام عزة نفسه

أحصت الولايات المتحدة اولادها آخرأ . فبلغت أن بينهم عشرة ملايين ولد مرضى في جسومهم او اخلاقهم او عقولهم فراغ الحكومة مستقبل الدولة يبني على مثل هذا الاساس ولم تقل « بعدي الطوفان » كما قال لويس الخامس عشر ملك فرنسا ، وكما يقول الموظفون المستهترون وهم في الدنيا كثيرون . كلاً بل انشأت فوراً مصلحة عامة للعناية بالاولاد . وانتدبت جيشاً من

الاطباء والمرضات والمعلمين والمعلمات يطوفون في طول البلاد وعرضها يعلمون الغافلين من والدين والجاهلات من الوالدات حسن تنشئة البنين والبنات ثم سعت لدى البرلمان فقرّر معاشاً للامهات الفقيرات كي تتحسن حالة الاولاد على نفقة كل الوطن الذي سيكونون يوماً عماده ولم تحرم عنايتها قرية ولا دسكرة لاعتقادها ان ساكن الريف بشر لا تقل قيمة نفسه عن نفس الغني المقيم في واشنطن او نيويورك . وان طفلاً صغيراً في قرية حقيرة قد ينبثق منه العالم بستانور او اديسون

موسى كليم الله ألقته أمه الفقيرة على ضفة النيل كي تحنو عليه الميراث والسيد المسيح لم يولد في قصور الاغنياء بل في مغارة صغيرة . والنبي محمد الرسول الكريم لم ينشأ بين الحرير والديباج والقطيفة والاطالس . ومع ذلك أي رأس شامخ في الأجيال لا ينحني حتى الحضيض امام المهود الصغيرة التي احتضنت منذ عهد بعيد أولئك الأطفال الثلاثة !

احترموا جميع الأطفال أيها النساء والرجال . لان علم الغيب لم يعط لكم فتقولوا : ان هذا الطفل الحقير ابن ذلك الرجل الفقير ليس مهملاً ولن يصير . عولس غرانت رئيس الولايات المتحدة كان صعلوكاً زريماً مهملاً الى سن الأربعين وبعد ذلك برزت في نفسه العوامل السكائمة خاض غمار الحرب الاهلية وكان أول من قاد في التاريخ مليون جندي الى ساحة القتال . ومن كان يدري سنة ١٧٦٩ ان ذلك الولد اللاعب في أزقة اجكسبو من جزيرة كورسكا سيسوق يوماً امبراطرة العالم بعصاه كالغنم ويدعى نابوليون بوناپرت . ومن كان يدري في مدينة قوله البلقانية الصغيرة ان طفلاً من اطفالها اللاعين في ازقتها اسمه ابراهيم سيقف عند بلوغه الحسين امام اسوار قونية يهدد السلطنة العثمانية ويروع دول اوربا على رأس جيشه المصري الظافر . ومن كان يدري في حي بني مخزوم من بلاد العرب ان طفلاً ولدته لبابة الصغرى بنت الحارث وهو يلعب قدميه بيديه ولا يعرف آله قدماء أم لسواه — من كان يدري ان ذلك الطفل الصغير سيخوض في سن الحسين معركة ذات السلاسل وهو من أعظم قادة التاريخ يلقب بسيف الله ويدعى خالد بن الوليد

لو تراخى والدو هؤلاء الاطفال معهم وأباحوا لكل طفل ان يصير دكتاتوراً في منزله لانحصرت عظمتهم كلها ضمن جدران البيوت التي ترعرعوا فيها . وما هدموا ولا شادوا ممالك ولا عرف عنهم الدنيا شيئاً بعد ذلك . فلا تسمح ايها الوالد بان يكون ابنك دكتاتوراً . ولكن لا تحكم انت فيه ولا تبخر في حكمك عليه . بل ابعد الروح الدكتاتورية عنك وعنه لانها مستمكرة منك ومنه . وقد يصير هذا الولد الصغير عظيماً عالمياً . بعد ما تصير انت نسياً منسياً

اللعب في حياة الاطفال

للمركز على فؤاد بل

مدير قسم رعاية الطفل بوزارة الصحة

سادتي :موضوع مقالي الليلة « اللعب في حياة الاطفال » وكان يجدر بي أن أجعل عنوانه « اللعب حياة للأطفال » لأن كوني أصدق تمييزاً وأدنى الى الواقع والحقيقة اذ ان الحركة والالعاب هما روح الطفولة ودليل الصحة

حياة الطفل تطالبه بالحركة لينمو ويكبر — لذلك نراه يقضي نهاره يرح ويلهو . ولكن يظهر مع الأسف ان كثيراً من الناس يجهلون أو يتجاهلون هذه الحقيقة . كم من أم شككت ضعف وليدها وهي لا تقنأ تربطه باللفائف وتمنع أعضائه عن الحركة وهي ألزم اليه من الغذاء يجب ان تدرك الأم أن من الضروري — اذا أرادت لطفلها جسماً نامياً — أن تترك له الحرية التامة ليتحرك ويلعب بين الهواء النقي والشمس المشرقة . اذ ان الحركة تزيد سرعة الدورة الدموية فيزداد تبعاً لذلك الاكسجين والغذاء الذي يصل الى الانسجة ، بالحركة والرياضة تقوي العضلات والأعصاب وأعضاء التنفس فيقل استعداد الطفل للمرض ويصفو دمه وينضج لون وجهه . الحركة تساعد عملية الهضم كما تساعد على إفراز العرق وتزيد شهوة الطفل للطعام بدأت بالكلام عن الحركة لأنها أسبق من اللعب ظهوراً عند الاطفال

يأتي الطفل أول عهده بالدنيا ببعض الحركات البسيطة كالبيكاء وتحريك الاطراف فاذا وصل الى شهره الرابع أمكنه ان يرمي ما بيده ثم اجتهد في الحصول عليه وواجب الأم في هذه السن أن تقدم له أشياء صغيرة غير مضرّة بصحته . أو قابلة للكسر كالكرات المصنوعة من المطاط . فاذا حان للطفل ان يحبو لزم أن تسمح له بذلك على ملاءة نظيفة مدّة ساعتين كل يوم وأن تتركه ينهض على ركبته كلما عن له ذلك ولا بأس من مساعدته بعض الشيء . فاذا اتقن الطفل تمرينه هذا فانه يتدرج منه الى نزول درجات السلم وهذا التمرين الأخير يقوي عضلاته ويثبت فيه الشجاعة — يأتي بعد ذلك دور الوقوف ويليّه دور المشي وعند ذلك يتسع المجال أمام الطفل للجري والوثب واللعب ويعرف في هذا الوقت كيف يرضي رغباته وغرائزه

سادتي : بعد سن الثالثة تزداد قدرة الطفل على الحركة فنراه لا يستطيع السكون ولذا يسمى هذا الدور بدور النشاط واللعب . وفي هذا الوقت تنمو حواس الطفل وتظهر غرائزه كلما تقدّمت به السن . وفي هذا الدور تتأثر حياة الطفل الى حد بعيد وبالتالي يتوقف مستقبله على أمور ثلاثة أولها الوسط الصالح الذي يعيش فيه كالأهل والمزلاء . ثانياً — الألعاب التي يميل

إليها — ثالثاً — ملاحظته وإرشاده لتتجه ميوله في اللعب إلى النافع المفيد من الوجهتين الجسمية والحلقية والعقلية . لذلك يزداد واجبنا نحوه عن ذي قبل

لا شك في أن البيت هو أول مكان لأطوار اللعب والأبوان هما أول من يعنى بالأطفال ثم يأتي بعدها المربون سواء في مدارس رياض الأطفال أو المدارس الابتدائية ، وسيدقى دائماً أبدأ لألعاب البيت شأنها الخاص في تعليم الأطفال وتعويدهم حسن الخلق وحيد الصفات

عرفت الأسرة الأوربية مزاياء ألعاب المنزل وما تجلبه من سعادة حقيقية . فخصصت للأطفال غرفة في المنزل للألعاب وسمحت لهم بالمرح والجري واللوثب والصياح والغناء في فناء المنزل وحديقته ووضعت لهم في الحديقة أدوات اللعب وحددت مواقيت الألعاب مع تخصيص أيام الأحاد للترفيه في الحدائق العامة والحقول ولزيارة الأهل والجيران ليقضي الأطفال أطول وقت ممكن في الهواء الطلق والشمس المنعشة . بهذا العمل تنسى هذه الأسرة متاعها وتتبع بقسط وافر من السعادة والهناء وتعلم أولادها معنى العشرة وقيمة الصداقة وترضعهم منذ الصغر حب الفضيلة والاخلاص

سادتي : يتساءل الكثيرون — ألم يكف ما نتحمل في سبيل تعليم أطفالنا في المدارس حتى نقرض علينا واجبات جديدة نحو لعبهم . وجوابي هؤلاء أن اللعب هو نوع العمل الذي يرتاح إليه الطفل . وأن الطفل إنما يفضل لعبة على أخرى طبقاً لميوله وغرائزه فواجبنا نحو لعبه لا يقل عن واجبنا نحو المدرسة . لا تقولوا أننا سنترك الجربة لأولادنا في اللعب مادام ذلك من حقهم للاحتفاظ بالصحة وليترونا في راحة من أمرهم — لا يأسادة أن عليكم واجبات أخرى لا تقل عن كل ما تقدم وسأجهد أن ألخصها لكم في الأمور الآتية

أولاً — عليكم بدرس ميول أطفالكم أثناء اللعب لتسميتها وتوجيه غرائزهم توجيهاً نافعاً ولنضرب مثلاً لذلك غريزة المحاكاة . فإذا لعب طفلك بعصاه الخشبية مثلاً دور الفارس وجب أن تلفت نظره إلى خلوها من اللجام ثم تدرج معه من اللجام إلى السرج ومن السرج إلى العربية والاسطبل . أنك بعملك هذا تكون خير مرشد وشريك لطفلك على فهم ما يحيط به من الأشياء . أما الواجب على المربي في المدرسة فلا يقل عن الواجب عليك لأنه يشجع الأطفال على محاكاة الخطباء والممثلين والمغنيين وتقليد الرسوم ومحاكاة بعض الأشغال اليدوية . وما يقال عن غريزة المحاكاة يمكن أن يطبق على باقي غرائز الطفل

ثانياً — عدم السماح للأطفال ببعض الألعاب الضارة كاللعب بعلب الثقاب والمفرقات والسكاكين أو الاشتراك في المراجيح أو الأضرار بالغير بقصد الفكاهة والضحك أو هدم أعشاش الطير أو حضور حفلات السينما في سن مبكرة

ثالثاً — الحرص على اختيار الزملاء في اللعب وأن تكون ألعاب الجماعات تحت مراقبتنا

وارشادنا ولا بأس بمشاركتنا لهم اذا اقتضى الامر ذلك ليتذوقوا جمال الالفة والمعاشرة وليعرفوا حقوق الزمالة . فالطفل وسط رفاقه يشعر بضرورة خضوعه لقانون الجماعة والاّ ابعد من بينهم فزاه دائماً يعمل لكسب مودتهم فيمثل للنظام ويضحى برغبانه الذاتية اذا تعارضت مع رغبة الجميع . ان ألعاب الجماعات النظامية مع ما فيها من فائدة جسمانية تغرس في نفوس الاطفال حب النظام واحترام السلطة والمنافسة الصادقة والتغلب على العقبات وضبط النفس عند النصر والصبر عند الهزيمة والاعتراف بغلبة الغير

رابعاً — تحديد ساعات اللعب واختيار الاماكن الصالحة للالعاب واللعب الموافقة للسن والميول ومخضوض حجرة بالمنزل اذا امكن لتمريناتهم واستصحابهم للنزهة وزيارة الاقارب والحيوان خامساً — علينا ان نملاً عطلم الصيفية بكل ما يهيجهم ويعود على صحهم بالنفع فنصحبهم مثلاً الى بلاد السواحل ليقسموا وقتهم بين لعب في الماء وجري على الرمال . وما ايهج ان نراهم اكثر النهار يبنون من الرمال بيوتاً ومدناً يلعبون ويمرحون بكامل حريتهم بين الهواء التي والشمس الساطعة يلاطمون الموج ويملاًون صدورهم بالهواء فاذا حان وقت عودهم رجعوا وقد اكتست اجسامهم سمرة تم على انتعاش وصحة

سادساً — تشجيع الاطفال على الاشتراك في الفرق الرياضية بالمدرسة (كالكشفافة وكرة القدم وكرة السلة والسباق والسباحة) لتقوى اجسامهم فتقوى مداركهم تبعاً لذلك

سابعاً — السماح لهم بالاشتراك في الرحلات المدرسية لما في ذلك من مزايا عظيمة الاثر من الوجهتين الجسمية والخلقية او العقلية

ثامناً — الاستعانة بالموسيقى والاعاجبي والقصص في وقت الفراغ في تنمية الخواص وتهذيب النفس ويجب ان تجمع القصص بين الفكاهة والعظة البالغة لتكون داعية للفضيلة ولا بأس من ادخال المعلومات في قالب قصصي مشوق جذاب كسير الابطال وحروب الامم ورحلات المستكشفين

سادني : قبل ان اختم مقالتي اري لزماً عليّ أن اُتوه بفضل (فروبل) الذي عرف طبيعة الطفل وميله للعب ونفوره من كل ما يقيد حركاته من مقاعد خشبية او نظام بفيض فأعد مدرسته التي اُسمهاها (روضة الاطفال) ولم ينس ان يلبس العلوم ثوب الزخرف واساليب الالاعيب وبذلك كسب حب الاطفال ونجح في استدراجهم لقبول ما يفرضه عليهم وراح يعطي دروسه في الهواء الطلق ممزوجة باللعب فتجاشى بذلك الوقوف امام ميلهم للحركة وطبيعتهم الطروب ووصل في الوقت نفسه الى غرضه من تقوية اجسامهم وتهذيب مداركهم فكللت اعماله بالفوز واصبحت رياض الاطفال في عهدنا تزرع الميل والرغبة في الدراسة وتسير بالنشء شوطاً بعيداً نحو الرقي والكمال

تأثير صحة الأم في صحة الطفل

للكنيسة كوكب هفتي ناصف

مديرة مستشفى كشتنر

يحمل الكثيرات من نساء مصر الاعتناء بصحتهن ، فيسببُ لهنَّ ذلك أمراضاً قد تغدو مزمنةً مستعصيةً العلاج . فالمرأةُ الفلاحةُ تضعُ طفلها عند الولادة ثم تبادرُ الى العمل بنشاط في أشغال المنزل أو الحقل فيسببُ ذلك انتقال بعض أعضائها التناسلية الداخلية من مكانها داخل البطن وتظل المرأة معلولةً الى الأبد . وليس الذنبُ في ذلك ذنبها هي قدر ما هو ذنبنا نحن الذين لم نفهمها في وضوح أن الربح الذي يعودُ عليها من مبادرتها الى العمل عقب الولادة ضئيلٌ جداً إذا قيس الى الخسارة الفادحة التي تنالها من جرّائه

وكذلك يشاهد فقر الدم في الفلاحات الفقيرات لسكناهن أكوأخاً طينيةً لا تصح مقابلتها بمقابر الطبقة الوسطى بسلامة الغنية من أبناء هذا البلد ، وتُشاهد بعض الأمراض الجلدية أيضاً كالبلجرا نتيجةً لسوء التغذية . وقد صارت مصلحة الصحة ووزارة كبيرة ذات نفقات طائلة وزجوا أن تقوم بعمل سريع في سبيل إصلاح هذه الحالة . ومن المعروف أن جميع الأمراض المتوطنة في مصر وفي الريف خاصة كالرمد والبلهارسيا والانكلستوما منتشرة بين الرجال والنساء على السواء ، وهناك أمراض أخرى خاصة بالنساء كأمراض الجهاز التناسلي في المرأة . وعلينا أن نلنسى البدانة أيضاً فإنها مرضٌ قبيحٌ منتشرٌ بصفة خاصة بين نساءنا المتزوجات اللواتي لا يقمن بأية حركة لحرق المقادير العظيمة التي يأكلنها من الاغذية الدسمة التي لا يكاد يعرف لها مثيل في البلدان الخارجية

ولا ريب أن سقم ربة البيت يجعلها تشعر بالؤس — وإن لم تظن هي الى ذلك — وبصرفها

عن العناية باطفالها ، ويجعلها ذات اخلاق غير رضية فتنتشر في البيت جوًّا من التعس يحدث أثره السيء في هناء الاسرة وفي مزاج زوجها وأولادها

وهناك امراضٌ — كمرض السل وبعض أمراض القلب — تُعرّض المصابة بها عند الوضع لخطر الموت ، وهناك امراض يرثها الطفل فلا يصر نور الشمس الا وهو محكوم عليه مقدماً بالشقاء المؤبد . ولو ان رجالنا شاهدوا بعض الاطفال المشوهين الذين أصيبوا وهم في بطون أمهاتهم بمرض معد كالزهري فخرجوا الى هذا العالم ضعيفي العقل بلهائم مكسحي الايدي عسري النطق ، لادركوا وجوب العناية بالأم باعتبار ذلك جزءاً من العناية بالطفل . وقد قررت الحكومة المصرية ضرورة تقديم طالبي الزواج وطالباته شهادات طبية تقرر خلوّهم من الامراض المعدية ولكن هذه الاجراءات تكاد تكون شكلية ليس لها قيمة حقيقية . أما في اوربا فالعناية بالفحص الطبي أتم ، بل إن بعض البلدان جرى على تعقيم النساء والرجال المصابين بأمراض وراثية سواء أكانت عقلية ام جسمانية

وتحدث عدوى الأم لا بنها ببعض الامراض كالزهري عن طريق الصبغيات (الكر وموسومات) التي في بويضتها ، وهناك امراض اخرى يرثها الجنين بعد تكوينه . واذا كانت إحدى النساء مدمنة شرب الخمر فانها تصيب ابنها عن الطريقتين معاً فيعجز عن العمل فاقدر العزيمة متعطّل الاعصاب كارهاً للعمل ذا عينين مطفأتين لا يعبران عن اي نشاط ولا يستطيع تركيز فكره في شيء معين . ولحسن الحظ لا يكاد يوجد في مصر نساء أدمن الخمر

وعدا ذلك فهناك أمراض كثيرة كالرمد الصيدي والسل ، تورثها الأم لطفلها بعد ولادته ، وبذلك تكون قد جنت عليه اكبر جنابة على الرغم من الحنان الزائد الذي تظهره نحوه بلا فائدة واني لا أقررُ بكل أسف أن عدداً كبيراً من أبناء الريف عندنا ما زالوا ينظرون الى المرأة نظرهم الى شيء قليل القيمة حتى انهم يستحلون أن يجرموا بناتهم من ميراثهن الشرعي ليزيدوا من نصيب اولادهم الذكور ، بل إن البعض منهم يعنون بمعالجة جاموسهم والحفاظه على صحته اكثر مما يعنون بمعالجة نساءهم . فمثل هؤلاء الرجال يجب افهامهم أن إهمالهم المرأة المسكينة لا يقتصر على الاضرار بها وحدها بل يُشرك في جحيمها اولادها الحاليين والمقبلين

الأطفال الخدم

لفتح الله محمد المرصفي

مفتش التعليم بمصلحة السجون المصرية

﴿تمهيد﴾ صاحب السعادة الرئيس ، سيداتي ، سادتي : يحيط بالامة المصرية كغيرها من امم العالم خاصة بعد الحرب الكبرى مشكلات سياسية واخرى اقتصادية وأزمات مالية ومعضلات كبرى اجتماعية لا حدها ولا نهاية، الى عدم استقرار في سياسة التعليم العام بين ابنائنا في المدن والقرى الى اصلاح القرية واسعاد الفلاح . تلك المعضلات مع اهمال الاخذ في اسباب علاجها والتغلب عليها وعلى ما يحيط بها من ظروف لا شك انها ستجعل حل كل مشكلة وما يتفرع عليها عسيراً الا اذا هبّ القوم عاملين ملين صوت الرأي العام فتتعاون الجماعات وتتضافر الهيئات والحكومة متجهة الى الاصلاح الاجتماعي المنشود — وحينئذ يسهل حل كل ما استعصى من معضلات . ومن اهم معضلات اليوم مشكلة الخدم وأخصها « مشكلة اطفالنا صغار الخدم »

﴿منازلنا والخدم﴾ اصبحنا اليوم ولم يخل منزل من منازلنا منهم . وحتى من لم يزد دخله على ثلاثة جنيهات شهرياً لا بد وان يكون لديه او تابع لزوجته خادم او خادمة قد لا تزيد سنّها على سبع سنوات ولا يمكن الاستغناء عنها ولا ترضى ان تعيش بغيرها او بدونها — هؤلاء الاطفال صغار الخدم هاجروا من الريف في طلب الرزق وفراراً من الفاقة والجوع . فهم على هذا يجهلون مهنتهم « الحديثة » لا يدرون من امرها شيئاً ولا من « التدبير المنزلي » كثيره ولا قليله بل انهم انقسم احوج ما يكونون الى ان يتعرفوا ابسط قواعد النظافة الشخصية

فاذا جاز لنا ان نشير الى مجموع الخدم في انحاء المملكة المصرية من واقع احصاء الدولة لسنة ١٩٣٢ بما قدر ٨٣٧ ٢١٢ فما ذلك الا لتقنين نسبة صغار الخدم من هذا الاحصاء بما قدر ١٠٥٥٤ وعمن لا تزيد اعمارهم على اربع عشرة سنة . وغير هؤلاء ممن نرى لزماً علينا ان نخصهم بالذكر في هذا اليوم « من ايام عيد الطفل » ومن هم لا يزالون بين جدران السجون ودور الاصلاحات يقضون مدد احكامهم جزاء ما اقترفوا من جرائم وآثام بين ظهرانينا وفي منازلنا

ومما هو جدير بالذكر تنبيه القوم الى مهاجرة القرويين الى المدن والمحافظات فها هي شغلت الافكار فعالجها المفكرون من قادة الرأي العام وها هي ذي حكومتنا الرشيدة الدستورية ساهرة عاملة على تنفيذ برنامجها الاصلاحى لخير الفلاح والقرية المصرية مما سيكون له اثر ظاهر في حياة الاحداث الهمل وصغار المجرمين ومن وجدوا السبيل الى الخدمة المنزلية والتشرد والاجرام في المدن دون اي عناية او مشقة

﴿ جرائم صغار الخدم ﴾ لعلنا نتعظ بأغاليطنا وحوادث الخدم بيننا وتعلم . فاذا لم نستطع سرد اقرب الحوادث واشهرها في هذه العجالة فلا اقل من اجمالها في جرائم السرقة والحريق والنصب والتزوير وهتك العرض وغيرها مما هو مألوف لنا . واغلب تلك الجرائم ارتكب في منازلنا وعلى مسمع منا وعلى حد ابصارنا ونقرأ كل يوم عن تلك الحوادث والجرائم الفادحة ما يشيب لها الولدان شيباً

ومن الغريب في الامر ان كثيرين من اطفالنا صغار الخدم لهم صلة وثيقة بكبار اللصوص والعصابات هؤلاء يستخدمونهم « ككشافة » أو دليل لفهم محتويات المنازل . ولافراد العصابات في استمالة هؤلاء الصبية شتى الحيل المختلفة وما اقدرهم على اختيار ما يتفق وعقلية الاطفال من طرق الاستهواء . . .

لست ممن يقولون ان معالجة مشكلة صغار الخدم من جهة هؤلاء الاطفال انفسهم فحسب . بل علينا ان نبحث عن الاسباب والدوافع التي كانت ولا تزال سبباً في تكون افراد هذه الطوائف من ابناء الامة على ما هي عليه من جهل واقترار الى الصحة وضعف في الاخلاق الى البطالة والفقر المدقع الى بحث وتحليل الحالة النفسية والعقلية بين هؤلاء الاطفال ما كان ولا زال الاصل في مبعث الاجرام ونكبة الاسرة المصرية كما اتنا بسوء معاملتنا لهم والتشديد عليهم وتعذيبنا اياهم الى حد ان زههم فيملك الخوف مشاعرهم ويسكن الحقد والانتقام قلوبهم فلا مشاحة في اتنا نسيء الى انفسنا بذلك قبل ان نسيء اليهم . . . فما أحوجنا الى الحزم والتبصر وما أحوجهم الى العطف والشفقة منا — ولعمري فان منازلنا من ناحية هؤلاء الاطفال اقرب الى دور الاصلاح منها الى المنازل الحقة — قال رسول الله صلى الله عليه وسلم — « اتقوا الله فيما ملكت ايمانكم اطعموهم مما تأكلون واكسوهم مما تلبسون ولا تكفوهم من العمل ما لا يطيقون » — وفي حديث آخر « للمملوك طعامه وكسوته بالمعروف ولا يكلف من العمل ما لا يطيق » — ورأى ابو هريرة رضي الله عنه رجلاً راكباً دابته وغلامه يسعى خلفه فقال « يا عبد الله احمله خلفك فانما هو اخوك روحه مثل روحك »

﴿ الحالة العقلية وصغار الخدم ﴾ ان الحوادث العديدة والجرائم الشائنة بين كثيرين من

اطفالنا صغار الخدم ما هي الا مرآة تظهر فيها بجلاء صور مختلفة من حياتهم العقلية فتجد منهم الابله وضعيف العقل او به مس من الجنون وما ذلك الا نتيجة لازمة لما هم مصابون به من امراض مزمنة او ما يحيط بهم من ظروف وعوامل نفسية متنوعة ينبغي تحليلها واقرارها هؤلاء الاطفال أحوج ما يكونون الى عطفنا وحناننا

﴿سوء معاملتنا لصغار الخدم وحوادث التعذيب﴾ ومن أروع تلك الحوادث التي لم تغب بعد عن الاذهان حادثة تعذيب خادم صغير بكيهه بالنار ووضعه تحت الرشاش «الدش» البارد طوال ليلة من ليالي الشتاء القارس — وتلك الفتاة التي القت بنفسها من نافذة منزل عال تخصاً بما كانت فيه من تعذيب وسوء معاملة على الرغم من انها حاولت الانتحار مرتين كما قررت . — وتلك الخادمة الصغيرة التي قذفت بنفسها من نافذة الحمام حيث كانت قد سجنحت فيه — وغير هذا مما يضيق المقام عن سرده وفوق هذا ما لا يعد تحت الحصر من حوادث الانتحار والهرب والاختفاء — وان الشدة وسوء المعاملة لهم من جانبنا لا تقل عما تنتجه الحرية المطلقة من الجرائم وسوء العاقبة فننازلنا في قبضة يدهم واولادنا تحت سيطرتهم واعراضنا في حمايتهم

ومما يجب الجهر به ان صغار الخدم على ما هم عليه من فوضى مطلقة من وسائل التخديم بواسطة سيطرة السوء ودون قيد ولا شرط فهم في عذاب دائم وبؤس من عمل لا طاقة لهم به ولا راحة تعوض عليهم متاعب اليوم وهم مفتقرون الى حسن معاملة تطف من حدة ذلك الشقاء اذ يستيقظون في الصباح المبكر بغير شفقة ولا رحمة فن الساعة الخامسة صباحاً الى الهزيع الاخير من الليل ولا ينامون الا بعد ان يهرع كبار الاسرة الى مضاجعهم وبعد عودتهم من سهراتهم المملة الشائنة وقد تجاهل القوم او تناسوا ان هؤلاء صغار الخدم ما هم الا اطفالنا لهم حق الطبيعة عليهم فهم على ما فطروا عليه من غرائز طبيعية حق علينا معاملتهم معاملة اطفالنا . ومما يؤسف له كثيراً ان هؤلاء صغار الخدم لا يعلمون من امر اجورهم اليسيرة شيئاً فكأنهم يعيشون في ظلام العصور الحالية وسوف يفيض الله عليهم رحمته وحنانه بما يقيم شر الناس « في عصر حرية الطفل » المباركة

وانا سنجمل فيما يلي ما نستطيع ان نراه من توجيه عام نحو طرائق العلاج ووسائل الاصلاح لهذه المشكلة التي نحن بصدد بحثها

اولاً — سياسة التربية والتعليم

١ — من حيث تدريب الطلبة والطالبات بالمدارس والجامعات على الخدمة المنزلية بأنواعها فيشبون على القيام بخدمة انفسهم ولا يأنفون من اداء الواجبات المنزلية

ب — توجيه الفتاة واعادها لان تكون ربة منزل رشيدة في ادارة شئون مملكتها

الصغيرة من دون كلفة او عناء وعن رغبة وحب طبيعي للأسرة والاطفال

ثانياً — نشر التعليم الاولي

١ — من حيث تنفيذ قانون التعليم الانزاعي على ان تهيأ للاحداث وسائل التدريب على الحياة العملية الشريفة بحسب استعدادهم وميولهم

ب — ان يكون للتربية الدينية المقام الاول في تربية النشء وبث الفضيلة في نفوسهم فلا خير في امة نبذت امور دينها ورأها ظهرياً

ثالثاً — نشر المدارس الخصوصية في المدن والمحافظات لمختلف الطوائف من الشعب وحتى تشبع الرغبات المتباينة والميول الفطرية وليمكن اعداد الافراد منذ نعومة اظفارهم للحياة الصحية الشريفة

والثاني التوجيه العام — وضع القوانين التي تحمي القرية المصرية وتقي الامة من شر الجريمة والمجرمين وتحفظ كيان الاسرة المصرية فمن هذه القوانين

١ — قانون بوقف تيار الهجرة من الريف وبحفظ ابناءه وقياته للحياة الزراعية

٢ — قانون ينظم الاسرة ويحدد مسؤولية الآباء والامهات حفظاً لكيان الامة

٣ — قانون مكافحة الجريمة والوقاية منها ويشتمل على تنظيم النواحي المهجورة من الحياة الاجتماعية خاصة بين الاحداث الهمل وصغار المجرمين ومن هم دون الخامسة عشر سنة خصوصاً فيما يحول دون وجود الاطفال في البيئات الفاسدة ومن اما كن الخمر والميسر والبغاء

﴿النهاية﴾ وهانحن نرى اليوم في افق حياة الامة المصرية بوارق الامل والاصلاح القومي

فالافراد والجماعات والهيئات تعمل متعاونة مع الحكومة في خدمة البلاد ورفعة شأنها وان مشكلة الخدم في مصر واخصها صغارهم لا تقل شأنًا عن مشكلات الطوائف العاملة ولها شأنها وخطرها ان لم تفوقها لصلتها بالاسرة المصرية وكيانها

اما آن الوقت الذي يجب ان نصغى لصوت الحق ما يحرك فينا الاحساس بالخير فنعطي هؤلاء الاطفال حقهم الطبيعي وحريةهم الفطرية وسوف يأتي القريب الذي نرى فيه هؤلاء الاطفال جميعهم وانبأونا جنباً الى جنب بين جدران « المدرسة الحديثة » يحميهم القانون ويرفع من شأنهم الحرية والمساواة والاخاء ويأخذ بناصرهم العلم والصناعة الشريفة في ظل ملك البلاد الديمقراطي ورجال الحكومة الدستورية وزعماء الاصلاح الاجتماعي من أبناء الامة العاملين المخلصين

والله تعالى ولي التوفيق

وجوه الإصلاح الاجتماعي

في مسائل الطفولة في مصر

لـ دكتور محمد عبد المنعم رياض بك

عاجت البحوث التي القاها خطباء مؤتمر الطفل اهم المسائل المتعلقة بالطفولة في مصر واطهر ما يتبين منها ان هناك جملة وجوه للإصلاح الاجتماعي تحتاج اليها البلاد لا تقاذ الطفل صحياً وعلمياً وأخلاقياً بل انه يمكن القول بانه لما يطرق اي باب من ابواب الإصلاح العملي في هذا الشأن **﴿الإصلاح الصحي﴾** في الصحة لم نسر بعد في الطريق الصحيح فاطفال القرى لا يزالون في حالة من القذارة والاهمال يجعلهم اقرب الى ما كانوا فيه منذ العصور المظلمة — يكفي ان يلقي الانسان نظرة على اطفال الفلاحين في القرى واطفال الطبقات الفقيرة في المدن وهم اطفال اكثرية السكان ويرى الذباب يحوم حول اعينهم والامراض تنهش اجسامهم والجراثيم والحشرات والهوام تقتكهم — تكفي نظرة واحدة ليتساءل المرء هل هذه حال اطفال يعيشون في عصر المدنية والتقدم والنور والعرفان؟ والاطفال المصريون مع هذا الشقاء يتكاثرون ويزيد عددهم كل يوم فالباء يقذفون بأطفالهم دون مبالاة في هوة من الشقاء لا قرار لها ولم تقم بأي عمل جاد لا تقاذ هؤلاء الاطفال ولا بأية حركة لوقف تيار الاطفال الذين يولدون وما أجدرنا ان نبدأ بدرس نظام تحديد النسل في مصر وقد افقت فقهاء الشريعة الغراء بجوازه (١) بل يجاوز التعقيم ايضاً عند الضرورة ثم تتخذ الوسائل الفعالة لحفظ صحة الاطفال وصيانة عيونهم واجسامهم من العاهات والأمراض

﴿إصلاح التعليم﴾ والتعليم أيضاً لا يزال في حاجة الى اصلاح فجميع الاطفال يعلمون تعليماً واحداً دون تمييز بين استعداد كل منهم فالاطفال الشواذ وضعفاء العقول يحشرون مع غيرهم في صعيد واحد ليتلقوا دروساً واحدة من معلم واحد فتجد الطفل الشاذ او الضعيف يتأخر ثم يتأخر الى ان يفصل من مدرسته ويوسم بالبلادة والكسل وما العيب الا عيب النظام اذ لو ان هذا الطفل ضم الى امثاله في فرقة تدرس حالتها دراسة خاصة حتى اذا ما عرفت أسباب النقص فيها عولجت علاجاً خاصاً — لو كان هذا الصالح حال هؤلاء الاطفال ونخرج منهم رجال نافعون للامة. فدراسة شخصية كل طفل وتوجيهه التوجيه الذي يلائم شخصيته ووضع نظام خاص لتعليم الاطفال الشواذ يجب ان يكون اول ما يعتنى به القائمون بشؤون الإصلاح الاجتماعي للاطفال في مصر

(١) راجع في ذلك بحث حضرة صاحب العزة الاستاذ الجليل احمد ابراهيم بك استاذ الشريعة الاسلامية في كلية الحقوق المنشور كقدمة لكتاب الاستاذ الفاضل الدكتور الصعيد دكتور في الصيد «مدى استعمال حقوق الزوجية»

كذلك يجب ان يعاد بين آن وآخر بحث تعليم الاطفال حتى لا يبقى على وتيرة واحدة على مر السنين فهناك طرق حديثة استجبتها التجارب والدراسات الحديثة التي قام بها امثال مدام ماريا مونتيسوري Mme. Maria Montessori التي اخذت منذ سنة ١٩١٤ تلتقي في مختلف البلدان الاوروبية والاميركية محاضرات في الطرق الحديثة لتعليم الاطفال على اساس التدرج وعدم الارهاق مع ترغيب الطفل في النظام واعداد معلمين صالحين لهذا العمل الكبير وأنشأت بعض مدارس لتطبيق طريقتها تطبيقاً عملياً . وأمثال الانسة الزابت أروين التي نادى بترك الفرصة للاطفال ليكسبوا تجربة بأنفسهم دون ضغط . والاستاذ الزورث كوتنجر الذي خرج من تجاربه بضرورة ترك التعليم وفقاً لمنهج دراسي معين حتى لا يقيد المدرس بل يكون حراً في اختيار المنهج الملائم لحالة تلميذه (١)

ويجب ان يعلم القارئون بتعليم الاطفال ان من اول واجباتهم ان يكسبوا ثقة اولادهم وتلاميذهم فيأتي الولد لوالديه او لمعلمه هادئاً ليفضي بما لديه او ليقدم ما عمله . وهنا دور تقسائي كبير يجب ان لا يغفله الوالد او المعلم اذ يجب ان لا يفوته تشجيع الطفل اذا احسن وتنبيهه اذا أساء ولا يخفى ان للتشجيع أثراً كبيراً في نفوس الاطفال . كذلك يجب ان يشعر المعلم كل تلميذ بأنه خير بحاجة وانه بجانبه يعاونه اذا كان في حاجة الى مساعدة او معونة وان يتم كل ذلك في هواة وبدون اسراف وان لا يتوانى المعلم في علاج اي انحراف يجده في الطفل . فكما يبادر الطبيب عند ظهور اول اعراض المرض باعطاء دواء يلائم الحالة يجب ان ينتبه المعلم عند ظهور مبادئ تقيصة من النقائص كالكسل او الكذب او عدم الطاعة او اتباع الاهواء وان يعنى بالامر عناية سريعة لان هذه المبادئ قد تكون مظاهر لحالة نفسية تجب المبادرة الى علاجها — واهمال شأنها كترك الحى تفعل في الجسم افاعيلها بعد ان ظهرت اعراضها او كترك المريض لتصاريف القدر دون علاج . على ان عمل المعلم لا يقتصر على العلاج بل يجب ان يلجأ كالطبيب الى اسباب الوقاية فيلاحظ بقاء الطفل محوياً بالنظام وفي جو يتفق مع حالته ونشاطه وابتعاده عن كل ما يؤثر في تكوين اخلاقه . فالمحافظة على اخلاق النشء في مصر هي الاساس الذي يجب ان يبنى عليه مستقبل البلاد . لهذا تجب العناية باختيار القائمين بأمور تربية الاطفال ولا يمكن اصلاح الاحداث الا اذا اصلح الكبار من الالباء والامهات والمعلمين الذين يقومون بتربية الاطفال وتهذيبهم — وليس في هذا قلب للاوضاع بل ان الوضع الصحيح هو ان يكون المعلم الكامل مثلاً يحتذى به للطفل وينسج على منواله فمثل هذا المعلم الكامل يستطيع ان يربي الطفل تربية صحيحة وان يقوم ما يجده معوجاً في خلقه بل يتشدد في تقويمه فاذا وجدته كذباً او شرساً او غير مطيع او كسولاً تنبهه لهذه العيوب لا نه يشعر بأنه هو براء منها

﴿ نزع السلطة الابوية السيئة ﴾ فاذا كان والد الطفل ووالدته او القائمون بربيته بلغوا

(١) راجع كتاب « ضحايانا الاطفال » تأليف أجنس دي ايلما وتعريب الاستاذ محمد عبد الواهد خلاف

من الفساد مبلغاً لا سبيل الى تقويمه فيجب ابعاد الطفل عن هذه البيئة قبل ان يفوت الاوان — لهذا يوجد في اكثر القوانين الحديثة احكام تقضي بامكان نزع السلطة الابوية في الاحوال التي يتبين منها ان الآباء او أولياء الامور غير أهل لتولي تربية الطفل لقسوتهم او سوء خلقهم او استغلال الطفل لمنفعتهم الشخصية كتحريضه على التسول او الدعارة ومما تجدر ذكره هنا ايضا ان مبادئ الشريعة الاسلامية لا تعارض هذه الاحكام، بل تساعد عليها — ومن الاسف ان القانون المصري لا يزال خلواً منها

✽ اصلاح المجرمين والمتشردين الاحداث ✽ ويتصل بالاصلاح الخلقي بحث اجرام الاحداث ومنع اسبابه وابعاد المجرمين والمتشردين عنهم واعادتهم الى الطريق القويم وقد بذل المصلحون في اكثر البلاد جهوداً موفقة في هذا السبيل فنظمت محاكم الاحداث بشكل يجعلها محاسن عائلية تبغي التهذيب لا العقاب وجعلت الاصلاحات دوراً للتعليم والتربية واوجد بجانب كل محكمة عدد من الرجال والسيدات مهمتهم الاشراف على الاحداث ورعايتهم ومساعدة القاضي الى الوصول الى المعلومات الصحيحة عن الطفل وعن بيئته ومعالجة حالة كل طفل يوكل اليهم، وهم يختارون من المشتغلين بالمسائل الاجتماعية (١) Social Workers، وهذا عمل تستطيع السيدة ان تقوم به وأن تتقنه اكثر من الرجل، ويا حبذا لو وجدت في مصر هيئة للقيام بالتدريب على هذا العمل ويمكن على الاقل ان يخصص من الآن قسم من معهد التربية للتخصص على أعمال الخدمة الاجتماعية

هذه هي بعض وجوه الاصلاح التي رعى اليها مؤتمر الطفل وقد آن الوقت لمصر ان تنبه لاطفالها فان في اصلاحهم صلاح الجيل القادم الذي سيتعهد شئون الوطن في المستقبل ونحن في حاجة كبرى — لا الى مؤتمر واحد — بل الى عدة مؤتمرات تبحث فيها مثل هذه الشئون الاجتماعية الهامة . وقد فطن كثير من البلاد الغربية الى خطورة دراسة المسائل الاجتماعية وانشئت لذلك هيئات ومعاهد خاصة . وتلك هي باكورة الاقتداء بتلك الاعمال الصالحة قد ظهرت في مؤتمر الطفل وقد احسنت رابطة الاصلاح الاجتماعي صنفاً بهذه البداية فالطفل اهم ما يوجه اليه الاصلاح الاجتماعي حتى انه يسمى بحق صاحب الجلالة الطفل

(١) في مصر عدد من القائمين بالخدمة الاجتماعية ولهم اتحاد يسمى اتحاد القائمين بالخدمة الاجتماعية
Alliance of Social Workers